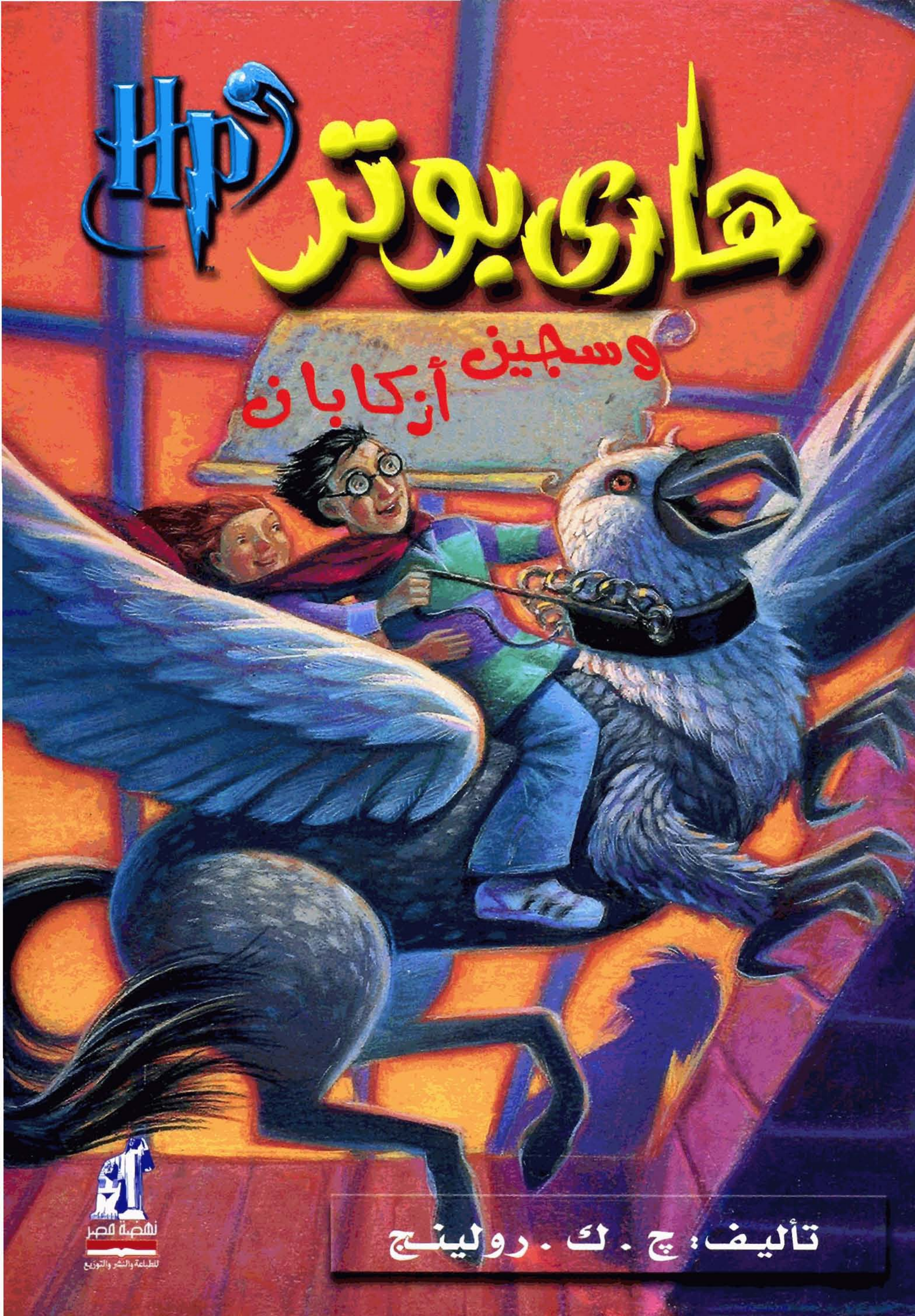
Hp
هاري بوتر
وسجين أزكابان
تأليف: ج . ك . رولينج
نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

هارى بوتر

وسجين أزكابان

تأليف : ج.ك.رولينج

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

العنوان: هارى بوتر وسجين أزكابان

Harry Potter and The Prisoner of Azkaban

تأليف: ج.ك رولينج

ترجمة: أحمد حسن محمد

مراجعة: رجاء عبدالله

إشراف عام: داليا محمد إبراهيم

Original English title: Harry Potter and The Prisoner of Azkaban
Copyright © 1999 J.K. Rowling.
Harry Potter, characters, names and related indicia are trademarks of and © Warner Bros. Entertainment Inc. s 08. All rights reserved.
Published by arrangement with J.K. Rowling c/o Christopher Little Agency,
10 Eel Brook Studios, 125 Moore Park Road, London SW6 4PS, UK

ترجمة قصة Harry Potter and The Prisoner of Azkaban
تصدرها شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
بترخيص من J.K. Rowling c/o Christopher Little Agency

يحظر طبع أو تصوير أو تخزين أى جزء من هذا الكتاب سواء النص أو الصور بأية وسيلة من وسائل تسجيل البيانات، إلا بإذن كتابى صريح من الناشر.

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

الترقيم الدولى: 8-2373-14-977   رقم الإيداع: 2003/14235   الطبعة 5 : مايو 2008

الإدارة العامة:
21 شارع أحمد عرابى - المهندسين - الجيزة
تليفون: 33466434 - 33472864 02
فاكس: 33462576 02

المركز الرئيسى:
80 المنطقة الصناعية الرابعة - 6 أكتوبر
تليفون: 38330287 - 38330289 02
فاكس: 38330296 02

مركز التوزيع:
18 شارع كامل صدقى - الفجالة - القاهرة
تليفون: 25909827 - 25908895 02
فاكس: 25903395 02

فرع الإسكندرية:
408 طريق الحرية . رشدى
تليفون: 5462090 03

فرع المنصورة:
13 شارع المستشفى الدولى التخصصى - متفرع
من شارع عبد السلام عارف - مدينة السلام
تليفون: 2221866 050

Website: www.nahdetmisr.com
E-mail: publishing@nahdetmisr.com — customerservice@nahdetmisr.com

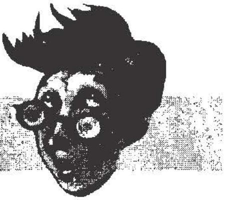

١ بريد البـــوم

لم يكن «هارى بوتر» ولدًا عاديًا مثل بقية الأولاد، فقد كان يختلف عنهم فى كثير من الأمور.. فهو مثلاً يكره الإجازات الصيفية أكثر مَن أى وقت آخر فى السنة، كما يحب تأدية واجباته الدراسية، إلى جانب أنه يستعد ليصبح ساحرًا.

كان الوقت منتصف الليل تقريبًا، وقد استلقى «هارى» على فراشه.. ووضع فوقه الغطاء.. حتى غطى رأسه مثل الخيمة.. وفى إحدى يديه مصباحه الصغير، وفى الأخرى كتاب جلدى عنوانه «تاريخ السحر» بقلم «أولبرت ووفينج» وفتحه فوق الوسادة.. وأخذ يمر بريشته على السطور؛ بحثًا عن شىء يساعده فى البحث الذى يكتبه عن «الحريق الفاشل للسحرة والساحرات فى القرن الرابع عشر!!» ووضع «هارى» ريشته بين أسنانه، ومد يده تحت وسادته وأخرج زجاجة الحبر، وفتحها بحرص شديد.. وغمس ريشته فيها.. وبدأ يكتب، ويتوقف بين لحظة وأخرى؛ ليطمئن على أن أحدًا لم يسمع صرير الريشة فوق الورق.. فلو اكتشف أحد من عائلته وهو يمر ذاهبًا إلى الحمام ما يفعله؛ لوجد نفسه سجينًا فى الدولاب أسفل السلم بقية الإجازة.

كان العامة فى العصور الوسطى يخافون من السحر.. وعندما يلقون القبض على أحد السحرة، يحكمون عليه بالموت حرقًا..

لكن السحرة كانوا يعمدون إلى ممارسة سحرهم بتبريد حرارة النيران، ثم يتظاهرون بالصراخ من شدة الألم، رغم استمتاعهم بالحريق.. حتى أن الساحرة «وندلين» تنكرت على شكل شخصيات مختلفة سبعًا وأربعين مرة؛ كى تستمتع بالحريق مرات ومرات.

وكانت عائلة «درسلى» التى تقيم فى شارع «بريفت دريف» رقم ٤ هى السبب فى كراهيته للإجازة الصيفية، العم «فيرنون» والعمة «بتونيا» وابنهما «ددلى».. كانوا هم عائلته الوحيدة الباقية على قيد الحياة.. وكانوا من العامة.. ويشعرون بكراهية عميقة للسحرة والساحرات، ولأن والديه كانا من السحرة، فلم يكن مسموحًا ذكرهما فى البيت على الإطلاق.. وتصور العم «فيرنون» والعمة «بتونيا» أن ذلك سيكون كافيًا لتخليص «هارى» من السحر.. ولكن الذى أثار غضبهما أن ذلك لم ينجح، وقضى «هارى» السنتين الأخيرتين فى مدرسة «هوجوورتس» للسحرة والساحرات.. وكان أقصى ما استطاعا فعله هو إخفاء كتب السحر وعصاه وأدواته فى الدولاب؛ حتى يمنعوه من استعمالها منذ بداية الإجازة.. كما منعوه من الحديث مع الجيران.

لكن فراق كتبه كان مشكلة بالنسبة له، فهو يحتاج إليها؛ ليؤدى الواجبات الكثيرة التى كلفه بها المدرسون.. خاصة الأستاذ «سناب»، وهو آخر أستاذ يمكن أن يحبه «هارى».. وكان

بدوره ينتظر فى لهفة أى إهمال منه؛ ليعاقبه لمدة شهر على الأقل.

وانتهز «هارى» فرصة خروج خالته وابنها إلى خارج المنزل لمشاهدة سيارة العم «فيرنون» الجديدة.. وأخذوا يصيحون إعجابًا بصوت عال؛ حتى يسمعهم الجيران، وأسرع إلى الدولاب أسفل السلم، وفتحه بحرص شديد، وأسرع إلى حجرته.. ولأنه حريص على تجنب المشاكل مع عائلته، فقد أخفى كتبه تحت لوح من خشب أرضية حجرته تحت السرير.

ثم حدث ما زاد من كراهية آل «درسلى» له.. فقد وصلته مكالمة تليفونية من أحد زملائه فى المدرسة.

كان «رون ويزلى» واحدًا من أفضل أصدقاء «هارى» فى مدرسة «هوجوورتس» للسحر، وهو سليل عائلة من السحرة.. ولهذا لم يكن قد سبق له استخدام الهاتف مطلقًا.. ولسوء الحظ، كان العم «فيرنون» هو من ردَّ على الهاتف قائلاً: «هنا فيرنون درسلى».

وقد تصادف وجود «هارى» فى نفس الحجرة فى ذلك الوقت، فتجمد فى مكانه حينما سمع صوت «رون» يصيح: «نعم.. هل... هل تسمعنى؟ أنا.. أريد... أريد... أريد أن أتحدث مع هارى.. «هارى بوتر».

كان «رون» يصرخ بصوت مرتفع جدًّا لدرجة أن العم «فيرنون» قد أمسك بالهاتف بعيدًا عن أذنه وهو يحدق به، صاح مجيبًا: «مَنْ هذا؟ مَنْ أنت؟!».

أجابه «رون» وهو يصيح كما لو كان ينادى على شخص فى أحد طرفى ملعب كرة قدم:

«أنا.. «رون».. «رون ويزلى» صديق «هارى» فى المدرسة».

استدارت عينا العم «فيرنون» نحو «هارى» الذى تجمد فى مكانه، ثم صاح:

«لا يوجد أحد هنا باسم «هارى بوتر»، ثم تابع وهو يبعد السماعة على امتداد ذراعه: «أنا لا أعرف المدرسة التى تتحدث عنها، فلا تتصل هنا ثانية ولا تقترب من عائلتى».

ثم وضع سماعة الهاتف كما لو كان يلقى عنكبوتًا سامًا ولكن ما حدث بعد ذلك كان أسوأ ما يمكن، فقد صاح العم «فيرنون» وهو يغمر «هارى» برذاذه: «كيف تجرؤ على إعطاء هذا الرقم لأشخاص مثل... لأشخاص مثلك».

وقد أدرك «رون» أنه قد تسبب فى مشكلة لـ«هارى»؛ لأن هارى لم يتصل به منذ ذلك الحين.

لم تتصل به أيضًا «هيرميون».. وهى ثانى أفضل أصدقاء «هارى» فى «هوجوورتس».. وتوقع «هارى» أن «رون» قد اتصل بها وحذرها.. وقد أحزن هذا «بوتر»، فقد كانت «هيرميون» من أبوين من العامة، وتعرف جيدًا كيف تستخدم الهاتف، وكانت من الذكاء بحيث إنها لن تذكر اسم المدرسة.

وهكذا لم يحدث أى اتصال بين «هارى» وزملائه لمدة خمسة أسابيع؛ مما جعل هذا الصيف يبدو أسوأ من الصيف الماضى.

شيء واحد نجح فى فعله، فقد اضطر «فيرنون» لإطلاق سراح بومته «هيدويج»؛ لكثرة الضجيج الذى تحدثه فى قفصها.. وهكذا استطاع «هارى» أن يرسلها برسالة إلى أصدقائه بعد أن كان قد أقسم على ألا يستخدمها فى ذلك!

أنهى «هارى» كتابة مقاله عن الساحرة «وندلين»، وكان يتوقف كل حين لينصت فيجد المنزل هادئًا لا يخترقه سوى زمجرة ابن خالته الضخم «ददلى» وهو نائم، كانت عيناه قد بدأتا تؤلمانه بشدة، ففكر فى أن الوقت قد تأخر وأن عليه أن يكمل مقاله فى مساء الغد، فأعاد غطاء زجاجة الحبر، ثم جذب حقيبته من أسفل فراشه، ووضع بها مقال «تاريخ السحر» وكذلك مصباحه وريشته، ثم أخفى كل شيء تحت أحد الألواح الخشبية الفارغة أسفل فراشه ونهض متثائبًا، ثم نظر فى ساعته الموضوعة على المنضدة المجاورة للفراش ليجدها الواحدة صباحًا، وهنا فقط أدرك أنه قد بلغ عامه الثالث عشر منذ ساعة واحدة.

وها هو سبب آخر يجعل من «هارى» طفلاً غير عادى؛ فهو لا ينتظر يوم عيد ميلاده؛ ولم يحصل على أى بطاقة معايدة طوال حياته، فقد تجاهل آل «درسلى» يومى عيد ميلاده الأخيرين ولا يوجد سبب يجعلهم يتذكرونه هذا العام.

سار «هارى» عبر الغرفة المظلمة خلف قفص «هيدويج» الخالى؛ ليفتح النافذة ويميل برأسه فوق حافتها ليقابل هواء

الليل البارد بعد وقت طويل أسفل الأغطية فى فراشه و«هيدويج» غائبة منذ ليلتين.. ورغم أنه لم يكن قلقًا بشأنها لأنها غابت هكذا من قبل كان يتمنى أن تعود قريبًا؛ فقد كانت «هيدويج» هى الكائن الوحيد فى هذا المنزل الذى لا يجفل حين يراه، ورغم نحافة «هارى» فقد نما طوله بضع بوصات هذا العام وبدت عيناه الخضراوان البراقتان من خلف نظارته أسفل شعره الأسود الداكن المنسدل على جبهته بغير نظام، الذى تظهر من بين خصلاته تلك الندبة الرفيعة التى تشبه ومضة البرق والتى كانت أبرز ما يميز «هارى»، ولم تكن كما يدَّعى آل «درسلى» نتيجة حادث سيارة أودَى بحياة والديه؛ لأن والدى «هارى» لم يلقيا مصرعهما فى حادث سيارة.. لقد قتلهما أخطر ساحر شرير ظهر فى المائة عام الأخيرة وهو «لورد فولدمورت» الذى نجح «هارى» فى الهروب منه بلا شىء سوى هذه الندبة التى تعلو جبهته.

وقف «هارى» ينظر إلى النجوم من خلال نافذته، يأمل ظهور «هيدويج» وسط الظلام.. ومرت لحظات قبل أن يرى شيئًا..

ظهر ظل كبير أمام القمر المنير.. وأخذ يقترب منه شيئًا فشيئًا.. ونظر إليه «هارى» فى حيرة وهو يتساءل: هل يغلق النافذة أم لا؟! ثم اتضح له فجأة حقيقة الشىء الطائر الذى يقترب.

اقتحمت النافذة ثلاث بومات.. اثنتان منها تحملان الثالثة،

التى كانت تبدو وكأنها فى غيبوبة.. وهبطت بهدوء على فراش «هارى».. وسقطت الوسطى، واستلقت بلا حراك.. وكانت هناك بعض العلب المعلقة فى سيقانها..

وعرف «هارى» البومة الغائبة عن الوعى.. إنها «إيرول» بومة عائلة «ويزلى».. وحل الرباط من ساقها، ثم حملها بهدوء لترقد فى سلة «هيدويج».. وفتحت «إيرول» عينيها ونظرت إليه شاكرة.. وشربت بعضً الماء!

وما إن خلّص «هارى» البومة مما تحمله، حتى نشرت جناحيها وانطلقت نحو الظلام عبر النافذة، فجلس «هارى» على فراشه وجذب اللفافة التى كانت تحملها «إيرول» ليجد بها أول بطاقة معايدة تصله، فارتعشت أصابعه وهو يفتح الظرف لتسقط منه ورقتان هما خطاب وقصاصة من جريدة «المتنبئ اليومى» وعرفها «هارى» بمجرد أن رآها؛ لأن الصورة كانت تتحرك، كان الأشخاص الموجودون بها يتحركون، فالتقطها وبدأ يقرأ:

جائزة وزارة السحر الكبرى

فاز «آرثر ويزلى» رئيس مكتب شئون العامة بوزارة السحر بجائزة «المتنبئ اليومى» السنوية الكبرى، وقد صرح السيد «ويزلى» للجريدة قائلاً: «سوف نرتب إجازة نقضيها فى مصر، حيث يعمل ابننا الأكبر «ميل» كمفسر للتعاويذ فى بنك «جرينجوتس السحرى» وستقضى أسرة «ويزلى» شهرًا فى مصر

لتعود فى بداية العام الدراسى الجديد لـ«هوجوورتس» التى يدرس بها خمسة من أبناء الأسرة.

ابتسم «هارى» وهو ينظر للصورة المتحركة حين رأى آل «ويزلى» يلوحون له وهم يقفون أمام هرم كبير، السيدة «ويزلى» القصيرة ممتلئة الجسم والسيد «ويزلى» الأصلع طويل القامة وستة أولاد وفتاة، وجميعهم لهم شعر أحمر نارى (رغم أن الصورة لا توضح ذلك؛ لأنها أبيض وأسود)، وفى وسط الصورة تمامًا يظهر «رون» وهو يحمل فأره الأليف «سكابرز» فوق كتفه، وذراعه ملتف حول شقيقته الصغرى «جينى»، ولم يستطع «هارى» أن يفكر بشخص يستحق الفوز بهذه الجائزة أكثر من آل «ويزلى»، فقد كانوا جميعًا فى غاية اللطف والفقر معًا، ثم التقط الرسالة وفضها ليقرأها:

عزيزى «هارى»

عيد ميلاد سعيد!

انظر .. أنا آسف حقًا بشأن المكالمة الهاتفية، وأتمنى ألا يكون العامّة قد تسببوا لك فى أوقات عصيبة، فقد سألت أبى وأخبرنى أنه لا داعى لرفع الصوت أثناء الحديث فى الهاتف، إن الجو فى مصر رائع وقد ذهبنا فى جولة لزيارة المعابد، ولن تصدق كَمَّ التعاويذ التى استخدمها المصريون القدماء، لدرجة أن أمى لم تسمح لـ«جينى» بدخول المعبد الأخير، ولم أصدق فوز أبى بالجائزة، سبعمائة قطعة ذهبية، أنفقنا معظمها فى هذه

الإجازة ولكنهم سيبتاعون لى عصا سحرية جديدة هذا العام.. وهنا تذكر «هارى» المناسبة التى تحطمت فيها عصا «رون» السحرية، لقد حدث ذلك عندما كانوا يطيرون بالسيارة فى «هوجوورتس» واصطدموا بشجرة فى فناء المدرسة – سنعود قبل بدء العام الدراسى بأسبوع تقريبًا وسنذهب إلى لندن لشراء عصا سحرية جديدة وكذلك كتب العام الجديد.. تُرَى، هل هناك أى فرصة لمقابلتك فى لندن؟

لا تدع العامة يهزمونك وحاول أن تأتى إلى لندن.

«رون»

ملحوظة : لقد حصل «بيرسى» على شارة التلميذ المثالى وتسلَّم الخطاب الأسبوع الماضى.

عاد «هارى» ينظر للصورة فوجد «بيرسى»، وهو فى السنة السابعة والنهائية بـ «هوجوورتس»، وقد بدا أنيقًا وهو يضع الشارة فوق قبعته، بينما نظارته التى يشبه إطارها شكل البوق تلمع تحت شمس مصر.

عاد «هارى» إلى هديته، ففض لفافتها ليجد بالداخل ما يشبه كوبًا صغيرًا جدًّا له رأس دوَّار ورسالة أخرى من «رون»:

«هارى، هذا جهاز استشعار للجيب، فإذا كان هناك شخص غير موثوق به فى مكان ما، سيضىء ويدور حول نفسه ويقول «بيل»، إنه حثالة تباع للسحرة السائحين، كما أنه غير فعال؛

لأنه ظل يضيء طوال وقت العشاء أمس، ولكنه لم يلحظ أن «فريد» و«چورچ» قد وضعا له حشرات فى حسائه.

إلى اللقاء.

«رون»

وضع «هارى» الجهاز على المنضدة المجاورة لفراشه، فتوقف قليلاً حتى توازن وهو يعكس صورة عقارب ساعته، فنظر له بسعادة لثوانٍ معدودة، ثم التقط اللفافة التى أحضرتها «هيدويج» والتى كان بداخلها أيضًا هدية، بالإضافة إلى بطاقة وخطاب ولكن من «هيرميون» هذه المرة.

عزيزى «هارى»

أخبرنى «رون» عن محادثته الهاتفية مع عمك «فيرنون» وأتمنى أن تكون بخير، أنا الآن فى إجازة بفرنسا، ولم أكن أعرف كيف أرسل لك هذه الهدية؛ خوفًا من فتحها فى الجمارك، ولكن «هيدويج» حضرت، وأظن أنها أرادت التأكد من حصولك على هدية فى عيد ميلادك على سبيل التغيير.

لقد اشتريتها عن طريق خدمة التوصيل بالبوم، التى تنشر إعلاناتها فى جريدة «المتنبئ اليومى» (إنها تصل لى بانتظام، فمن المفيد أن يطالع المرء ما يحدث فى عالم السحر).

هل رأيت صورة «رون» وأسرته منذ أسبوع؟ أراهن أنه سيتعلم الكثير، فأنا فعلاً أشعر بالغيرة؛ لأن السحرة فى مصر القديمة كانوا فى غاية المهارة، وهنا فى فرنسا يوجد تاريخ قومى

للساحرات. وقد أنهيت مقال «تاريخ السحر» الخاص بى متضمنًا الأشياء التى اكتشفتها وأتمنى ألا يكون طويلاً عمّا طلبه الأستاذ «سناب»!

يقول «رون» إنه سيكون بلندن فى الأسبوع الأخير من الإجازة.. ترُى، هل تستطيع الحضور؟ هل ستسمح لك خالتك وزوجها بذلك؟

أتمنى أن تتمكن من ذلك.. وإن لم تستطع، فسأراك فى «هوجوورتس» فى الأول من سبتمبر.

إلى اللقاء

«هيرميون»

ملحوظة : يقول «رون» إن «بيرسى» قد حصل على شارة التلميذ المثالى، أراهن أنه سعيد بذلك، كما أن «رون» يبدو سعيدًا أيضًا.

ضحك «هارى» مرة أخرى، ثم وضع خطاب «هيرميون» جانبًا والتقط هديتها وكانت ثقيلة جدًا، ولأنه كان يعرف «هيرميون» فقد كان واثقًا أن هديتها ستكون كتابًا ضخمًا مليئًا بالتعاويذ الصعبة ولكنها لم تكن كذلك؛ فخفق قلبه فى عنف عندما رأى الحقيبة السوداء اللامعة والحروف الفضية المطبوعة فوقها عدة «عصا المكنسة السحرية»، فتح «هارى» فمه فى انبهار، ثم فتح الحقيبة؛ ليرى ما بداخلها، فوجد بها علبة كبيرة من ورنيش التلميع عالى الجودة وزوجًا من المقصات الفضية اللامعة

وبوصلة صغيرة؛ لتوجيه العصا فى الرحلات الطويلة، هذا بخلاف كتاب يمكِّن المستخدم من العناية بالعصا شخصيًا.

كان أكثر شيء يفتقده «هارى» بالإضافة إلى أصدقائه هو «الكويدتش» وهى أكثر الألعاب شيوعًا فى عالم السحر، فهى شديدة الخطورة والإثارة معًا، وتمارس باستخدام عصى المكانس، وقد كان «هارى» لاعب «كويدتش» ماهرًا وأصغر شخص يتم ضمه فى فريق «هوجوورتس».

أبعد «هارى» الحقيبة؛ ليلتقط آخر لفافة ليلاحظ أن بها شيئًا غير منتظم السطح، كانت من «هاجريد» حارس «هوجوورتس» وعندما فض الورق لمح شيئًا جلديًا أخضر اللون صدرت عنه حركة مريبة قبل أن يكمل فتح اللفافة، ثم صوت مرتفع كما لو كان بداخلها شيء له أنياب.

وتجمد «هارى» فى مكانه، فهو يعرف أن «هاجريد» لن يعمد إلى إرسال شيء خطير له، ولكن «هاجريد» كانت له وجهة نظر خاصة فى تحديد ما هو الشيء الخطر، فقد عرف عنه صداقته للعناكب العملاقة وشراء الكلاب ذات الرءوس الثلاثة وتهريب بيض التنين الممنوع إلى غرفته، فالتقط «هارى» اللفافة بعصبية ليصدر عنها ذلك الصوت مرة أخرى، فمد يده للمصباح الموجود على المنضدة المجاورة لفراشه ورفعه لأعلى كما لو كان يستعد للانقضاض على الشيء الموجود بداخل اللفافة، ثم جذب الغطاء بيده مرة واحدة؛ ليسقط ما بالداخل.. لقد كان كتابًا ذا

غلاف أخضر، كُتب عليه بحروف ذهبية: «كتاب الوحوش»، فغمغم «هارى»: «أوه!».

سقط الكتاب من فوق الفراش ليصدر عنه صوت مرتفع فوق أرضية الغرفة وهو ينزلق عبرها بسرعة، فتتبعه بنظره وهو فى مكانه ليجده وقد اختفى فى المساحة المظلمة بين مكتبه والفراش، فراح يدعو ألا يكون أحد أفراد آل «درسلى» مستيقظًا، ثم انحنى على ركبتيه؛ ليلتقطه، ولكن الكتاب عاد يقفز خلفه مرة أخرى وراح يتقلب على غلافه، فاستدار «هارى» بسرعة؛ محاولاً الإمساك به ليسمع صوت العم «فيرنون» وهو يزمجر نائمًا فى الغرفة المجاورة وشاهده كل من «هيدويج» و«إيرول» وهو يحاول الإمساك بالكتاب حتى استطاع أن يمسك به بقوة بين ذراعيه وأحاط به تمامًا، فراح الكتاب يزمجر فى غضب، ولكنه لم يستطع الإفلات هذه المرة، فاتجه «هارى» نحو أحد الأدراج والتقط حزامًا أحاط به الكتاب الذى استمر فى زمجرته حتى ألقاه «هارى» فوق الفراش، ثم التقط البطاقة التى أرسلها له «هاجريد»:

عزيزى «هارى»

عيد ميلاد سعيد

أتمنى أن يكون هذا مفيدًا لك فى العام القادم، أخبرنى متى سأراك وأتمنى أن يكون العامة يحسنون معاملتك.

مع أطيب تمنياتى

«هاجريد»

وتساءل: كيف يمكن أن يفيده مثل هذا الكتاب؟ فوضع بطاقة «هاجريد» إلى جوار بطاقتيّ «رون» و«هيرميون»، وازدادت ابتسامته اتساعًا، فالآن لم يبق سوى خطاب «هوجوورتس» وقد لاحظ أن وزنه أكبر من المعتاد وعندما فتحه وجد:

عزيزى السيد «بوتر»

نذكركم أن العام الدراسى الجديد سيبدأ فى الأول من سبتمبر، وسيغادر قطار «هوجوورتس» من محطة «كنج كروس» رصيف رقم ٩ وثلاثة أرباع فى الساعة الحادية عشرة، وقد تم السماح لطلبة الصف الثالث بزيارة قرية «هوجسميد» فى عطلة نهاية الأسبوع، ونرجو تقديم تصريح الزيارة المرفق بعد توقيعه من الوالدين بالموافقة، كما توجد قائمة مرفقة بكتب العام الجديد..

المخلصة

أ/ «ماكجونجال»

نائب مدير المدرسة

التقط «هارى» تصريح الزيارة ونظر إليه وهو لا يزال مبتسمًا يفكر.. كم سيكون الأمر رائعًا أن يزور «هوجسميد» فى عطلة نهاية الأسبوع، كانت قرية يسكنها السحرة ولكنه لم يذهب لها من قبل مطلقًا.. ولكن، كيف سيقنع العم «فيرنون» أو الخالة «بتونيا» بالتوقيع؟

ونظر إلى ساعته فوجدها الثانية صباحًا، كان يعرف أنه سيواجه متاعب بشأن هذا التصريح عند الاستيقاظ؛ فتوجه إلى

مفكرته؛ ليزيل منها اليوم الذى انقضى ويحصى الأيام الباقية على نهاية الإجازة وعودته إلى «هوجوورتس»، ثم خلع نظارته واستلقى مفتوح العينين وفى مواجهته بطاقات عيد ميلاده الثلاث، وشعر لأول مرة بهذا الشعور السعيد فى يوم عيد ميلاده مثل أى شخص آخر.

* * *

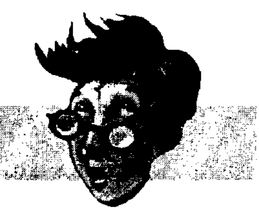

٢ «خطأ العمة مارج الكبير!»

وفى صباح اليوم التالى، توجه «هارى»؛ لتناول الإفطار ليجد آل «درسلى» جالسين بالفعل حول مائدة المطبخ؛ ليشاهدوا جهاز التلفاز الجُديد: هدية إجازة الصيف لـ«ددلى» الذى كان يشكو دائمًا من المسافة الطويلة بين الثلاجة والتلفاز فى حجرة المعيشة، فهو يقضى معظم وقت الصيف فى المطبخ، وعيناه معلقتان على شاشة التلفاز وأصابعه الخمسة تتحرك باستمرار أثناء تناوله الطعام.. وجلس «هارى» بين «ددلى» والعم «فيرنون»، ذلك الرجل السمين ذى الرقبة الصغيرة للغاية والشارب الكثيف، دون أن يهنئ أحدهم «هارى» بعيد ميلاده حتى أن أحدًا منهم لم يلحظ أنه قد دخل الغرفة، ولكن «هارى» لم يهتم بهذا، فالتقط قطعة خبز، ثم نظر إلى قارئ النشرة على شاشة التلفاز الذى كان يتلو خبر هروب أحد المجرمين قائلاً: «..ونحن نحذركم من أن هذا الشخص مسلح وشديد الخطورة، وقد تم توزيع منشور بأوصافه، وعلى مَنْ يراه الإبلاغ عنه فورًا».

صاح العم «فيرنون» وهو ينظر للتلفاز من خلف جريدته: «لا داعى لإخبارنا أنه شرير، فمظهره يُغنِى عن ذلك، انظروا لشعره، ثم رمق «هارى» بنظرة جانبية؛ لأن شعره غير المنتظم كان دومًا مصدر إزعاج للعم «فيرنون».. ولكن على أية حال، فقد كان

مظهره أفضل كثيرًا من مظهر ذلك المجرم الذى يبدو على جهاز التلفاز.. لقد كان وجه الرجل شديد النحافة ومحاطًا بهالة داكنة حتى عاود قارئ النشرة الظهور قائلاً: «أعلنت وزارة الزراعة وصيد الأسماك اليوم أن...».

صاح العم «فيرنون» وهو يحدق بشراسة فى قارئ النشرة: «انتظر، إنك لم تخبرنا من أين هرب هذا المعتوه، فما فائدة ذلك؟ قد يكون قادمًا فى الشارع الآن، اندفعت الخالة «بتونيا» النحيفة ومالت خارج النافذة؛ لتنظر منها، ونظر لها «هارى» وهى تفعل ذلك وهو يفكر فى أن خالته هى أكثر السيدات فى العالم إحداثًا للضجيج؛ فقد قضت معظم أيام حياتها فى التجسس على جيرانها.

وعاد العم «فيرنون» يضرب المائدة بقبضته الكبيرة صائحًا: «متى سيتعلمون؟ إن مثل هذا الإعلان هو السبيل الوحيد للتعامل مع هؤلاء الناس».

أجابته الخالة «بتونيا» وهى لا تزال تتلصص من النافذة: «هذا صحيح!».

شرب العم «فيرنون» كوب الشاى الذى فى يده جرعة واحدة، ثم نظر فى ساعته قبل أن يقول: «من الأفضل أن أذهب الآن يا«بتونيا»، فسيصل قطار «مارج» فى العاشرة»، وأخرجت هذه المفاجأة غير السارة «هارى» من أفكاره التى كانت تدور حول عصا المكنسة الجديدة التى بغرفته إلى الواقع الذى حوله، فغمغم:

«العمة مارج؟ إنها لن تأتى إلى هنا.. أليس كذلك؟».

والعمة «مارج» هى شقيقة العم «فيرنون»، ورغم أنها لا تمت بصلة دم لـ«هارى» ـ لأنها شقيقة العم «فيرنون»، بينما أمه هى شقيقة الخالة «بتونيا» ـ فإنه كان مجبرًا على مناداتها باسم العمّة طوال حياته.

وتعيش العمة «مارج» فى الريف بمنزل ذى حديقة كبيرة حيث تربى كلابًا شرسة، وهى لا تطيق البقاء فى «بريفت دريف»؛ لأنها لا تحتمل الابتعاد عن كلابها العزيزة، ولم تترك أى زيارة من زياراتها سوى ذكريات سيئة فى ذهن «هارى».

ففى حفل عيد ميلاد «ددلى» الخامس، ضربته العمة «مارج» بشدة فى مقدمة ساقه بعصاها؛ لتمنعه من اللعب مع «ددلى»، وبعد بضعة أعوام عادت بهديتين: إنسان آلى من أجل «ددلى» وعلبة بسكويت للكلاب من أجل «هارى».. وفى زيارتها الأخيرة فى العام السابق لذهاب «هارى» إلى «هوجوورتس»، تعثر بدون قصد فى قدم كلبها المفضل «ديبر» الذى ظل يطارده فى الحديقة حتى أجبره على تسلق إحدى الأشجار وقد رفضت العمة «مارج» أن تنادى كلبها حتى منتصف الليل وهى الحادثة التى لا تزال تثير ضحك «ددلى» حتى تدمع عيناه.

قال العم «فيرنون» وهو يشير بإصبعه نحو «هارى» متوعدًا: «ستقضى «مارج» أسبوعًا هنا، ومادمنا نتحدث فى الأمر، فإننا نحتاج إلى ترتيب بعض الأمور قبل ذهابى لإحضارها.. ابتسم

«ددلى» ابتسامة متكلفة وهو يبعد عينيه عن التلفاز؛ ليشاهد «هاري»، فقد كانت مشاهدته وهو يتعرض لتوبيخ العم «فيرنون» هى متعته المفضلة.

صاح العم «فيرنون»: «أولاً: يجب أن تحافظ على كلماتك وأنت تتحدث مع «مارج»»، أجاب «هارى» بحرارة: «حسنًا، ولكن إذا حافظت هى على ذلك أثناء حديثها معى»، أجاب العم «فيرنون» كما لو أنه لم يسمع رد «هارى»: «ثانيًا: بما أن «مارج» لا تعرف شيئًا عن طبيعتك غير العادية، فلا أريد أن يحدث شيء غريب أثناء وجودها، يجب أن تحافظ على سلوكك.. مفهوم؟».

أجاب «هارى» وهو يضغط على أسنانه: «سأفعل ذلك إذا فعلت هى».

فأضاف العم «فيرنون»: «وثالثًا: لقد أخبرنا «مارج» أنك تذهب إلى مركز «سان بروتوس» الأمنى للصبية معتادى الإجرام..».

صاح «هارى»: ماذا...؟!

قاطعه العم «فيرنون» بحدة قائلاً: «وعليك بالالتزام بهذه القصة وإلا ستتعرض للمشاكل»، جلس «هارى» شاحب الوجه محدقًا فى وجه العم «فيرنون» وهو يواجه صعوبة فى تصديق ما قاله. ستحضر العمة «مارج» فى زيارة طويلة لمدة أسبوع، لقد كانت أسوأ هدية عيد ميلاد يقدمها آل «درسلى» له

بالإضافة إلى زوج جوارب العم «فيرنون» القديم الذى عاد يقول: «حسنًا يا «بتونيا»، سأنطلق إلى المحطة.. هل ترغبون فى الحضور معى؟».

أجاب «ددلى» وقد عاد لمشاهدة التلفاز بعد أن انتهى والده من تحذير «هارى»: «لا»، فقالت أمه وهى تداعب شعره الأشقر: «اذهب وتأنق من أجل مقابلة عمتك، لقد أحضرت لك ربطة عنق جديدة..».

ثم ربت العم «فيرنون» على كتف «ددلى» وهو يغادر المطبخ قائلاً: أراكم بعد قليل، وواتت «هارى»، الذى كان يجلس مشدوهًا، فكرة مفاجئة، فترك قطعة الخبز من بين يديه وانطلق خلف العم «فيرنون» نحو الباب الأمامى، وكان العم «فيرنون» يرتدى معطفه عندما قال لـ«هارى»: أنا لن أصطحبك معى.

أجاب «هارى» ببرود: أنا لا أريد الذهاب.. أريد أن أطلب منك شيئًا.

نظر له العم «فيرنون» بارتياب، فتابع: إنه العام الثالث لى فى «هوجـ...» فى المدرسة، وهذا يسمح لى بزيارة إحدى القرى أحيانًا.

تساءل العم «فيرنون» باقتضاب وهو يلتقط مفاتيح سيارته المعلقة بجوار الباب:

وماذا بعد؟

أجاب «هارى» فى عجلة : أريد أن توقع لى تصريح الموافقة..

فرد عليه بحدة: ولماذا يجب علىَّ أن أفعل ذلك؟

أجاب «هارى» وهو يختار كلماته بحرص:

حسنًا، سيكون أمرًا شاقًا أن أتظاهر أمام العمة «مارج» بأننى أذهب إلى مدرسة «سان بروتوس»...!

قاطعه العم «فيرنون» بحدة: «مركز «سان بروتوس» الأنسب للصبية معتادى الإجرام».

وكان «هارى» سعيدًا للغاية لنبرة الخوف التى بدت فى صوت العم «فيرنون»، فأجاب وهو ينظر بهدوء لوجه العم «فيرنون» الذى أخذ يزداد احمرارًا: «نعم تمامًا، هذه المعلومات كثيرة وقد لا أستطيع تذكرها، ولابد أن أجعل الأمر يبدو مقنعًا، فماذا لو نسيت شيئًا؟».

زمجر العم «فيرنون» وهو يندفع نحو «هارى» رافعًا قبضته: ستنال منى عقابًا شديدًا.

لم يتحرك «هارى» من مكانه، وقال بخبث: «عقابى لن يجعل العمة «مارج» تنسى ما يمكن أن أقوله لها».

توقف العم «فيرنون» وقبضته لا تزال مرفوعة، فتابع «هارى»:

«ولكن إذا وقّعت لى التصريح، فأقسم أننى سأتذكر اسم المدرسة التى أذهب إليها، وسأتصرف كواحد من العامة.. كشخص طبيعى تمامًا».

ورأى «هارى» أن العم «فيرنون» يفكر فى الأمر على الرغم من أسنانه التى يضغط عليها بقوة، حتى صاح أخيرًا:

حسنًا.. سأراقب سلوكك بحرص طوال فترة بقاء «مارج» هنا، وإذا حافظت على تصرفاتك والتزمت بما اتفقنا عليه، فسأوقع لك هذا التصريح السخيف، واستدار بسرعة وجذب الباب؛ ليخرج ثم صفقه بقوة لدرجة أن إحدى القطع الزجاجية سقطت منه ولم يعد «هارى» للمطبخ بل صعد لغرفته، فإذا كان عليه أن يتظاهر بأنه أحد العامة فمن الأفضل أن يبدأ الآن.

وببطء وحذر، جمع كل هداياه وبطاقات عيد ميلاده وأخفاها تحت ذلك اللوح الخشبى الفارغ أسفل فراشه مع واجباته المدرسية ثم توجه إلى قفص «هيدويج»؛ ليرى «إيرول» وقد تماثلت للشفاء وكلتاهما نائمتان ورأساهما بين أجنحتهما، فزفر «هارى» قبل أن يدفعهما للاستيقاظ وهو يقول بحزن: «هيدويج»، سوف تضطرين للابتعاد عن هنا لمدة أسبوع، اذهبى مع «إيرول» وسيعتنى بكما «رون»، سأكتب له رسالة؛ لأفسر له الأمر ولا تنظرى لى هكذا، فهذا ليس خطئى، كما أن هذه هى الطريقة الوحيدة التى ستمكننى من زيارة «هوجسميد» مع «رون» و«هيرميون».

وبعد عشر دقائق، انطلق كل من «إيرول» و«هيدويج» التى حملت فى قدمها رسالة «هارى» إلى «رون» من النافذة واختفتا عن الأنظار؛ مما جعل «هارى» يشعر بحزن شديد، فحمل القفص

الخالى؛ ليضعه فى الصوان المجاور ولم يستغرق ذلك طويلاً، فسرعان ما سمع صوت خالته «بتونيا» وهى تنادى من أسفل وتدعوه للترحيب بضيفتهم.

وما إن وصل لبهو المنزل حتى باغتته قائلة: «افعل شيئًا لشعرك!».. ولم يجد «هارى» سببًا يجعله يحافظ على شعره منتظمًا، ولكن العمة «مارج» كانت تحب توبيخه دومًا؛ لهذا كانت سعادتها تزداد كلما رأت شعره غير منتظم.. وعلى الفور، سمع جلبة بالخارج، كان صوت سيارة العم «فيرنون» وهى تدخل لممر المنزل، تبعه صوت أبواب السيارة تغلق، ثم وقْع أقدام على الممر، فهمست «بتونيا» لـ«هارى»: افتح الباب، فاتجه «هارى» ليفتح الباب وهو يشعر بكآبة شديدة ليجد العمة «مارج» تقف هناك، وكانت ضخمة وقريبة الشبه بالعم «فيرنون» وحمراء الوجه وفى إحدى يديها كانت تحمل حقيبة كبيرة، وفى اليد الأخرى يوجد ذلك الكلب الشرير من نوع «بولدوج»، ثم صاحت: «أين عزيزى «ددلى»؟».

وظهر «ددلى» وهو يهبط إلى البهو، وشعره الأشقر مصفف بعناية، وملتصق برأسه تمامًا وربطة عنقه الصغيرة لا تكاد تظهر أسفل ذقنه الكبيرة، فدفعت العمة «مارج» بحقيبتها نحو «هارى» فاصطدمت بمعدته قبل أن تعانق «ددلى» بذراع واحدة، وتطبع قبلة على وجنته، وكان «هارى» يعرف تمامًا أن «ددلى» يتجاوب مع عمته فقط؛ لأنه قد حصل على المقابل، كما سيحصل

فور مغادرتها على عشرين جنيهًا فى قبضته السمينة، بعد ذلك صاحت العمة «مارج» باسم الخالة «بتونيا»، ثم تبادلتا القبلات أو على الأدق دست أنيابها فى وجه الخالة «بتونيا» النحيف حتى ظهر العم «فيرنون»، فقالت العمة «مارج»: يمكن أن يتناول «ديبر» بعض الشاى معى.

وبالفعل توجهوا جميعًا نحو المطبخ تاركين «هارى» بمفرده فى بهو المنزل مع الحقيبة، ولكن «هارى» لم يكن مهتمًا بذلك، كل ما كان يهمه أن يظل بعيدًا عنها؛ لذلك فقد حمل حقيبتها إلى حجرة النوم الخالية، مستهلكًا أكبر قدر ممكن من الوقت، وبعدها عاد للمطبخ ليجد العمة «مارج» تتناول الشاى مع كعكة الفاكهة، بينما كلبها «ديبر» يعبث فى أحد أركان المطبخ، ورأى «هارى» خالته «بتونيا» تنظر نحو بقع الشاى التى لوثت أرضية مطبخها فهى تكره الحيوانات، حتى تساءل العم «فيرنون»: «ومن الذى يعتنى بالكلاب الأخرى يا «مارج»؟».

أجابته: نعم.. لقد طلبت من الكولونيل «فوبستر» أن يعتنى بها، فقد تقاعد الآن ومن الأفضل له أن يجد ما يفعله ولكنى لا أستطيع أن أدع «ديبر» المسكين، فهو لا يطيق أن يبتعد عنى.

بدأ «ديبر» يزمجر مرة أخرى عندما جلس «هارى»، فتنبهت العمة «مارج» لوجوده لأول مرة وتساءلت: «إذن، فأنت لاتزال هنا.. أليس كذلك؟».

أجاب «هارى»: بلى.

صاحت فيه: «لا تقل بلى بهذه الطريقة السخيفة، فإن وجودك هنا بمثابة مصيبة لكل من «فيرنون» و«بتونيا»، ولو كنت مكانهما لما احتفظت بك، وإنما كان يجدر بى أن أرسلك إلى إحدى دور الأيتام، إذا ما ألقى بك أحدهم أمام باب منزلى».

وكاد «هارى» يرد قائلاً: «إن معيشته فى دار للأيتام ستكون أفضل كثيرًا من بقائه وسط آل «درسلى»»، إلا أنه تذكر قرية «هوجسميد» والتصريح الذى يريد من العم «فيرنون» توقيعه، فرسم ابتسامة على وجهه؛ مما جعل العمة «مارج» تصيح: لا.. أنت لم تتغير منذ رأيتك آخر مرة وأتمنى أن تزرع المدرسة فيك بعض الخصال الطيبة، ثم رشفت رشفة كبيرة من الشاى قبل أن تتابع: «إلى أين أرسلته يا «فيرنون»؟».

أجاب العم «فيرنون»: «سان بروتوس، إنها مؤسسة من الدرجة الأولى للحالات الميئوس منها».

أومأت قائلة: «نعم»، ثم عادت تصيح متسائلة: «وهل يستخدمون العصى للعقاب فى هذه المؤسسة أيها الصبى؟».

تردد «هارى» فى الإجابة حتى أشار له العم «فيرنون» من خلف شقيقته فأجاب: نعم، ثم شعر أن عليه إتمام العمل بشكل أفضل من ذلك، فتابع: طوال الوقت.

فقالت: رائع.. فأنا لا أقتنع بهذا الكلام الذى ينادى بعدم استخدام الضرب، فهو المطلوب مع ٩٩٪ من الحالات.. هل تعرضت للضرب من قبل؟

أجاب «هارى»: نعم .. كثيرًا.

ضاقت عيناها وهى تنظر نحوه وتقول: مازلت لا أحب هذه النغمة فى صوتك أيها الصبى، فإذا كنت تتحدث عن تعرضك للضرب بهذا الأسلوب، فذلك يعنى أنهم لا يضربونك بالقوة الكافية، لو كنت مكانك يا«بتونيا» لأرسلت لهم حتى يستخدموا أقصى قوة مع هذا الصبى.

وحاول العم «فيرنون» تغيير دفة الحديث، فقال: «هل سمعت أخبار ذلك السجين الهارب هذا الصباح؟».

* * *

بدأت العمة «مارج» استعداداتها للإقامة فى المنزل، فى حين راح «هارى» يفكر فى حياته دون وجودها، وكان العم «فيرنون» والخالة «بتونيا» ينصحانه دومًا بالابتعاد عنها، وكم كان «هارى» سعيدًا بذلك.. وعلى الجانب الآخر، فقد كانت العمة «مارج» تريد أن تُبقى «هارى» أمامها طوال الوقت؛ حتى تقدم نصائحها؛ لتحسين حياته، وكانت دومًا تسعد بالمقارنة بينه وبين «ددلى» الذى كانت تسعد أكثر حينما تبتاع له هدايا غالية، وهى ترمق «هارى» بنظراتها ولا تتورع عن الحديث من حين لآخر عما يفعله بوصفه صبيًا غير سوىٍّ، فبينما كانوا على مائدة الغداء ذات يوم، قالت: «لا يجب أن تلوم نفسك على ما آل إليه حال هذا الصبى يا «فيرنون»، فمادام الشىء فاسدًا من الداخل، فلن يستطيع أحد إصلاحه».

وحاول «هارى» تجاهل ما تقوله، ولكن يده بدأت ترتعش وازداد وجهه سخونة من شدة الغضب، إلا أنه راح يذكِّر نفسه بالورقة التى يريد من العم «فيرنون» توقيعها وقرية «هوجسميد» التى يريد زيارتها دافعًا نفسه؛ لكى لا يتكلم أو يغادر المكان.

مدت العمة «مارج» يدها إلى الكأس الموضوعة أمامها قائلة: «إنها إحدى القواعد الأساسية للتربية، وتراها دومًا بين الكلاب، فإذا كانت الأم فاسدة فلابد أن يكون الجرو الصغير فاسدًا مثلها».

وفى هذه اللحظة، انفجرت الكأس التى كانت تحملها «مارج» وتناثر ما بها، فراحت ترمش بعينيها فى ذعر، ثم قالت الخالة «بتونيا»: ««مارج».. هل أنت بخير؟»».

فزمجرت قائلة: «لا تقلقى، فلابد أننى قد ضغطت عليها بقوة، فقد فعلت نفس الشىء فى منزل الكولونيل «فوبستر»، فلا داعى للقلق يا «بتونيا» فقبضتى قوية جدًّا».

ولكن الخالة «بتونيا» والعم «فيرنون» أخذا ينظران إلى «هارى» بارتياب، فقرر أنه من الأفضل أن يغادر المكان فى أسرع وقت.. وبالفعل أسرع إلى البهو واستند إلى الحائط وهو يتنهد بعمق.. لقد مر وقت طويل قبل أن يفقد قدرته على التحكم فى نفسه، ويستعمل السحر فى تحطيم شىء ما.. ولكنه يدرك أن عليه التوقف عن هذه الأعمال، ليس فقط من أجل رحلة

«هوجسميد».. ولكن خضوعًا إلى قوانين وزارة السحر أيضًا التى تمنع تلاميذ المدرسة من القيام بالأعمال السحرية خارج مدرستهم.. وقد سبق لـ«هارى» أن تلقَّى إنذارًا يحذره من تكرار هذه الأعمال، وإلا فسيتم فصله من المدرسة!

وهكذا، عندما سمع صوت آل «درسلى» يغادرون المائدة، أسرع يبتعد عن الطريق؛ ليختفى فى حجرته.

قضى «هارى» الأيام الثلاثة الباقية يدفع نفسه للتفكير فى كتاب «الرعاية بعصا المكنسة» فى أى وقت تحاول فيه العمة «مارج» مضايقته، وكانت فكرة جيدة على الرغم من النظرات التى كان يتعرَّض لها وقول العمة «مارج» بأنه قاصر عقليًّا.. وأخيرًا، جاء المساء الأخير لإقامة العمة «مارج»، فأعدت الخالة «بتونيا» عشاءً فاخرًا وأحضر العم «فيرنون» أنواعًا متعددة من الشراب، فقضوا الوقت فى تناول الطعام دون أن يذكروا شيئًا عن أخطاء «هارى»، وتخلل العشاء حديث العم «فيرنون» عن «هرننج» وهى الشركة التى يمتلكها، ثم قامت الخالة «بتونيا» بإعداد قهوة، فقال العم «فيرنون»: هل ترغبين فى المزيد من الشراب يا«مارج»؟

كانت العمة «مارج» قد تناولت الكثير من الشراب فاحمر وجهها الممتلئ إلا أنها أجابت: نعم، ولكن القليل.

وكان «ددلى» يتناول الشطيرة الرابعة، والخالة «بتونيا» تحتسى القهوة، فى حين كان «هارى» يفكر فى الصعود لغرفته

لكنَّ عينى العم «فيرنون» الغاضبتين جعلتاه يدرك أن عليه البقاء فى المكان.. حتى صاحت العمة «مارج» وهى تضع كأسها الفارغة: آه.. أمسية رائعة يا«بتونيا»، لقد قضيت وقتًا أكثر متعة من قضاء ليلة مع دستة من الكلاب والعناية بها، ثم ربتت على معدتها الممتلئة، وقالت فى إشارة لـ «ددلى»: معذرة، ولكننى أرغب فى أن يصبح الفتى فى صحة جيدة، ثم تابعت: ستكون رجلاً قوى البنية يا «ددلى» مثل والدك، ثم نظرت لـ «هارى»، الذى شعر بتقلص معدته، ولكنه أسرع يتذكر كتابه ويحاول التفكير فى الصفحة رقم ١٢، وتابعت قائلة:

الدماء الفاسدة لابد أن تنتزع، وأنا لا أقول شيئًا يخص عائلتك يا«بتونيا».

ثم ربتت على يد الخالة «بتونيا» النحيفة وتابعت: «كنت أقول دومًا إن شقيقتك بيضة فاسدة، فقد خرجت من أرقى العائلات ثم انحرفت، وها هى النتيجة أمامنا».

كان «هارى» يحدق فى الصحن الذى أمامه وفى أذنيه يتردد صوت العمة «مارج» مزعجًا له، مثل حديث العم «فيرنون» عن عمله، حتى صاحت : «وهذا الفتى.. ما عمله؟».

وشعرت الخالة «بتونيا» وزوجها بتوتر شديد، لدرجة أن «ددلى» رفع عينيه عن شطيرته؛ لينظر نحو والديه، فقال العم «فيرنون»: «إنه... لم يعمل.. أعنى لم يجد عملاً».

ثم رمق «هارى» بنظرة جانبية.

قالت «مارج» وهى ترشف رشفة كبيرة من شرابها وتمسح ذقنها بطرف ثوبها: «كما توقعت.. مجرد صبى كسول».

ولكن «هارى» صاح فجأة: «لا».

كان يرتعد بشدة، فلم يكن قد شعر بمثل هذا الغضب من قبل، فقالت العمة «مارج» وقد استحال وجهها شاحبًا: «مزيد من الشراب»، فصب العم «فيرنون» باقى محتويات الزجاجة فى كأسها، ثم صاح فى «هارى»: أنت أيها الصبى.. اذهب لفراشك.. هيًا».

قالت العمة «مارج» بصوت متحشرج: لا يا «فيرنون»، وركزت عينيها الحمراوين على «هارى» وقالت: «أنت أيها الصبى.. فخور أنت بوالديك.. أليس كذلك؟ لقد قتلا فى حادث سيارة، هل كانا ثملين؟».

فقال هارى وهو ينهض فجأة: «إنهما لم يموتا فى حادث سيارة».

صرخت العمة «مارج» بغضب شديد: «لقد لقيا مصرعهما فى حادث سيارة أيها الكاذب الصغير، وتركاك لتكون عبئًا على هذه الأسرة الكادحة.. أيها الوقح الناكر للجميل الـ...»، فجأة توقفت العمة «مارج» عن الحديث للحظة كما لو كانت الكلمات قد خانتها، كانت تبدو وكأنها لا تستطيع التعبير عن غضبها فاحتقن وجهها وجحظت عيناها، وأطبق فمها، وراحت تنتفخ مثل البالون وأزرار سترتها تتطاير، وبدأت أصابعها تنتفخ حتى

صارت مثل أصابع المقانق العملاقة، فصاح العم «فيرنون» والخالة «بتونيا» معًا عندما بدأ جسدها يرتفع عن المقعد ويتجه نحو السقف: «مارج»!!

كانت قد أصبحت مستديرة تمامًا وتصدر عنها أصوات غريبة وهى ترتفع فى الهواء، فى حين اندفع «ديبر» للغرفة وهو ينبح فى جنون، فصرخ العم «فيرنون» وهو يحاول الإمساك بإحدى قدميها؛ ليمنعها من الارتفاع: «لا ااااا!»، ولكنه كاد بدوره أن يرتفع معها، ثم هاجمه «ديبر» وغرس أنيابه فى ساق العم «فيرنون»، فانطلق «هارى» خارجًا من الغرفة قبل أن يوقفه أحد، وتوجه إلى الخزانة أسفل السلم، فانفتح بابها من تلقاء نفسه.. وفى لحظات، كان قد أخرج صندوق أمتعته عند الباب الأمامى، ثم أسرع لأعلى وألقَى بنفسه أسفل الفراش؛ باحثًا عن ذلك اللوح الخشبى الفارغ فى أرضية الغرفة؛ ليجذب تلك الحقيبة التى تحمل كتبه وهدايا عيد ميلاده، ثم تناول قفص «هيدويج» الخالى وهبط السلم مرة أخرى فى اللحظة التى خرج فيها العم «فيرنون» من حجرة الطعام وسرواله ملطخ بالدماء صارخًا: «عد إلى هنا وأصلح ما فعلت»، ولكن «هارى» أجابه بأنفاس متلاحقة: «لقد استحقت ذلك.. استحقت ما حدث لها.. ابتعد عنى».

ثم اندفع نحو الباب صائحًا: «لقد حصلت على ما يكفينى».

وخرج إلى ظلام الشارع الهادئ حاملاً صندوقه وقفص «هيدويج».

٣ «حافلة الفارس»

ابتعد «هارى» عدة شوارع قبل أن ينهار فوق سور قديم فى شارع «ماجنوليا كريسنت»، وهو يلهث من التعب.. وقد أعياه حمل صندوقه الثقيل.. وجلس ساكنًا يستمع إلى دقات قلبه السريعة، ومازال الغضب يجتاح مشاعره.

لكن، وبعد عشر دقائق من جلوسه، بدأ شعور آخر ينتابه: شعور بالخوف.. فها هو وحيد فى الظلام، فى عالم العامة.. بلا مأوى.. والأسوأ من ذلك أنه خالف قانون عدم ممارسة الناشئين للسحر.. وهو ما يعرضه للفصل من «هوجوورتس».

وشعر «هارى» أيضًا بالدهشة.. فلماذا لم يتوصل إليه مندوبو وزارة السحر حتى الآن؟ ما مصيره؟ هل هو القبض عليه؟ أم الطرد من عالم السحر؟!

وفكر فى «رون» و«هيرميون» فازداد إحساسه بالخوف، فهو واثق من أنهما سيحاولان مساعدته أيًا كان وضعه، ولكنهما كانا خارج البلاد و«هيدويج» ليست معه؛ أى إنه لا يملك وسيلة للاتصال بهما، ولم يكن معه أى نقود من التى يستخدمها العامة، وإنما كل ما كان معه هو بعض القطع الذهبية فى حافظة نقوده، أما باقى الثروة التى تركها له والداه فموجودة بمصرف «جرينجوتس» للسحرة فى لندن إلا إذا... ونظر إلى

عصاه التى كان لايزال يحملها بيده وشعر بخفق قلبه المؤلم، عندما ظن أنه قد يُستبعد من وزارة السحر، ولكن المزيد من السحر لن يضر، فهو يملك عباءة الإخفاء التى ورثها عن والده، فماذا لو استطاع أن يجعل صندوقه خفيف الوزن كالريشة، وربطه فى عصا المكنسة، ثم غطى نفسه بالعباءة وطار إلى لندن؟ عندها سيستطيع الحصول على بقية أمواله ويبدأ حياته من جديد، كانت الفكرة رهيبة، ولكنه لا يستطيع أن يبقى بجوار هذا الحائط إلى الأبد وإلا فسيجد نفسه مضطرًا للبحث عن تفسير لوجوده فى هذا المكان، وفى مثل هذا الوقت، لشرطة العامة، خاصة أنه يحمل صندوقًا مليئًا بكتب التعاويذ وعصا مكنسة سحرية.

فتح «هارى» الصندوق وراح يبحث عن عباءة الإخفاء، فجأة رفع رأسه؛ لينظر حوله، كان يشعر وكأن هناك من يراقبه، ولكن الشارع بدا خاليًا تمامًا ولا يوجد أى ضوء صادر من المنازل المجاورة. فانحنى نحو الصندوق، ولكن سرعان ما انتصب واقفًا مرة أخرى، وأطبق يده على عصاه السحرية، فقد كان يحس بذلك الشىء أكثر مما يسمعه، لقد كان هناك شخص ما أو شىء ما يقف فى ذلك الممر الضيق بين الجراج والسور الذى خلفه، فنظر «هارى» إلى الممر المظلم أملاً فى أن يتحرك هذا الشىء؛ حتى يعرف إذا كان حيوانًا أم شيئًا آخر. وتمتم «هارى» قائلاً: «لاموس»، فبدأ

ضوء يظهر فى طرف عصاه، ثم رفع العصا فوق رأسه فرأى شيئًا ضخمًا له عينان متسعتان لامعتان، فتراجع «هارى» لتتعثر قدمه بالصندوق وتسقط عصاه، فمد ذراعه محاولاً منع نفسه من السقوط، لكنه ارتطم بالأرض بقوة قبل أن يسمع صوت فرقعة عالية فرفع يديه؛ ليحمى عينيه من ذلك الضوء المبهر المفاجئ، ثم تدحرج على الرصيف وهو يصرخ وخلال ثانية واحدة وجد كرتين من الضوء تمران فى نفس المكان الذى كان يحتله منذ قليل.

كانتا مصباحين لحافلة قرمزية كبيرة ظهرت فجأة، وعلى زجاجها الأمامى كُتبت كلمات بحروف ذهبية تقول: «حافلة الفارس».

وللحظة، تساءل «هارى» فى نفسه عمَّ إذا كان شكل سقوطه مضحكًا أم لا؟! حتى ظهر قائد الحافلة فى زيه القرمزى، وراح يتحدث بصوت مرتفع: «مرحبًا بك فى حافلة الفارس.. خدمة النقل الطارئة للسحرة الخارجين على القانون، هيا أمسك بعصاك السحرية واصعد على متن الحافلة، وسيمكننا نقلك لأى مكان تريد الذهاب إليه، اسمى «ستان شنبيك» وأنا قائد الحافلة هذا المساء و...».

توقف «ستان» عن الحديث فجأة عندما رأى «هارى» لا يزال جالسًا على الأرض إلا أنه أمسك بعصاه ونهض واقفًا، فاكتشف أن «ستان» يكبره ببضعة أعوام، ربما كان فى الثامنة أو التاسعة

عشرة من عمره، وله أذنان كبيرتان، والذى عاود حديثه مرة أخرى: «وما الذى كنت تفعله هنا؟».

أجاب «هارى» : لقد سقطتُ.

عاد ليتساءل : ولماذا سقطتَ؟

أجابه «هارى» بضيق: «أنا لم أقصد أن أسقط، وكان سرواله قد تمزق عند إحدى ركبتيه كما كانت يده التى حاول بها منع نفسه من السقوط تنزف، وهنا تذكر سبب سقوطه، فاستدار بسرعة؛ ليرى الممر بين الجراج والسور، وقد غمره ضوء الحافلة ولكنه كان خاليًا تمامًا، فتساءل «ستان»: «إلامَ تنظر؟».

أجاب «هارى» وهو يشير للمكان: «لقد كان هناك جسم أسود ضخم، شيء مثل كلب عملاق أو ...»، واستدار نحو «ستان» ليجد فمه نصف مفتوح، عابسًا وكأنه لا يفهم شيئًا.. قبل أن تتحرك عيناه إلى تلك الندبة الموجودة على جبهة «هارى».. فتساءل: «ما هذا الذى على جبهتك؟».

أجاب «هارى» بسرعة وهو يخفى الندبة بشعره: «لا شيء!».

كان لا يريد أن يجعل مهمة وزارة السحر فى البحث عنه سهلة، ولكن «ستان» عاد يسأله: «ما اسمك؟».

أجاب «هارى» بأول اسم خطر له: «نيفيل، نيفيل لونج بوتوم».. إذًا، فهذه هى الحافلة، هل قلت إنها تذهب إلى أى مكان؟

أجاب «ستان» بفخر: نعم.. أى مكان تريده، أبعد مكان على وجه الأرض، ولكنها لا تستطيع الغوص تحت الماء.. هيا استعد.

تساءل «هارى» قائلاً: اسمع.. كم تستغرق رحلة الذهاب إلى لندن؟.

أجابه بسرعة: إحدى عشرة دقيقة.

فتح «هارى» صندوقه مرة أخرى والتقط حافظة نقوده؛ ليلقى ببعض القطع فى يد «ستان»، ثم تعاونا فى رفع الصندوق مع قفص «هيدويج»، وصعدا على متن الحافلة، التى لم تكن بها مقاعد وإنما هياكل أسرَّة صُفَّتْ بجوار النوافذ المغطاة بالستائر، وهناك شموع مشتعلة فوق حوامل بجوار كل فِراش، تضىء الحوائط التى تكسوها الألواح الخشبية، وسمع ساحرًا صغيرًا يتمتم فى مؤخرة الحافلة: ليس الآن.. شكرًا، فأنا أنظف الأقراص.

ثم غاص فى نوم عميق، فهمس «ستان» وهو يدفع صندوق «هارى» أسفل الفراش الذى بجوار السائق الجالس على مقعد بذراعين أمام عجلة القيادة: «هذا هو فراشك وهذا هو سائق الحافلة «إيرنى براج» وهذا هو «نيفيل» يا «إيرنى»».

وكان «إيرنى» ساحرًا صغير السن، يرتدى نظارة سميكة للغاية فأومأ لـ«هارى» الذى مرر يده بين خصلات شعره بعصبية، ثم جلس فى فراشه قبل أن يقول «ستان» وهو يجلس فى المقعد المجاور لمقعد السائق: هيا، انطلق بهم يا «إيرنى».

وانطلقت فرقعة أخرى مرتفعة.. وبعد لحظة، وجد «هارى» نفسه يندفع للخلف لسرعة الحافلة، فجذب نفسه؛ لينظر من النافذة المظلمة ليجد أنهم قد غادروا الشارع الذى كانوا به إلى

شارع مختلف تمامًا، وكان «ستان» يشاهد وجه «هارى» المذهول بمتعة كبيرة، ثم قال: «هل هذا هو الشارع الذى حضرنا فيه قبل ذلك؟ أين نحن يا «إيرنى»؟ هل نحن بمكان ما فى «ويلز»؟».

تمتم «إيرنى» بصوت خفيض وكلمات غير مفهومة، فتساءل «هارى»: «كيف لا يسمع العامة صوت الحافلة؟».

أجاب «ستان»: «إنهم لا يسمعون كما ينبغى، ولا يرون كما ينبغى، ولا يبدون كما ينبغى كذلك، ولا يلاحظون أى شىء.. أليس كذلك؟».

قال «إيرنى»: «من الأفضل أن تذهب لتوقظ السيدة «مارش»؛ حيث سنصل إلى «أبرجافنى» بعد دقيقة واحدة».

تخطى «ستان» فراش «هارى» واتجه نحو درج خشبى صغير، فى حين كان «هارى» لا يزال ينظر من النافذة وشعوره بالتوتر يتزايد؛ فقد كان يشعر أن «إيرنى» لا يتحكم فى قيادة الحافلة التى كانت تسير فوق الرصيف، ولكن دون الاصطدام بأى شىء من الموجود عليه: صفوف من المصابيح وصناديق بريد وقُمامة وكلها ترتفع عن الطريق، ثم تعود لمكانها بعد مرور الحافلة حتى عاد «ستان» وبصحبته ساحرة شاحبة اللون ترتدى عباءة سفر، فقال «ستان» بسعادة: «ها قد وصلنا أيتها السيدة «مارش»»، ثم ضغط «إيرنى» على فرامل الحافلة؛ لتنزلق الأسِرَّة قليلاً للأمام، فوضعت السيدة «مارش» مِنديلاً على

فـمـهـا، ثـم هـبـطت درجـات الـحـافـلـة يـتـبـعـهـا «سـتـان» حـامـلاً حقيبتها، ثم أغلقت الأبواب قبل أن يصدر صوت فرقعة مرتفعة مرة أخرى ليجدوا أنفسهم فوق طريق ريفى ضيق، ولم يستطع «هـارى» النوم فـى هذا الجو الصاخب وكذلك مع سرعة الحافلة الفائقة، وتقلصت معدته عند سقوطه للخلف وهو يتساءل عما يمكن أن يحدث له، وهل استطاع آل «درسلى» تخليص العمة «مارج» من التصاقها بالسقف أم لا؟

وكان «ستان» يطالع نسخة من جريدة «المتنبئ اليومى» وهو يضع لسانه بين أسنانه وكان بالجريدة صورة كبيرة لرجل ضخم الوجه، له شعر طويل، يحملق نحو «هارى» وقد بدا مألوفًا له، فقال «هارى» وقد تناسى مشكلاته لدقيقة: «هذا الرجل.. لقد كان فى أخبار العامة».

ونـظـر «سـتـان» إلـى الصورة، ثـم أومـأ قـائـلاً: «بـالـطـبـع إنـه «سيريوس بلاك» وكان فى أخبار العامة بالفعل.. ولكن كيف عرفت يا «نيفيل»؟».

لـم يُـجب «هـارى»، إنما الـتـقـط الـجـريـدة مـنـه قبل أن يقول «ستان»: «يجب أن تكون أكثر اطلاعًا على الصحف يا «نيفيل»».

ورفع «هارى» الجريدة إلى ضوء الشموع وبدأ يقرأ :

«بلاك لا يزال طليقًا».

أفادت وزارة السحر اليوم بأن «سيريوس بلاك» الذى يعتبر أخطر سجناء «سجن أزكابان» لا يزال هاربًا، فقد صرح وزير

السحر «كورنليوس فودچ» هذا الصباح: «إننا نفعل كل ما نستطيع من أجل إلقاء القبض على «بلاك» ونرجو اتحاد السحرة التزام الهدوء حيال هذا الأمر».

وكان «فودچ» قد تعرض لانتقاد من بعض أعضاء المنظمات السحرية الدولية؛ بسبب إبلاغه رئيس وزراء العامة عن هذه الأزمة، فعلَّق «فودچ» على ذلك قائلاً: «حسنًا، لقد اضطررت لذلك، فكما تعلمون، إنه شخص مجنون وخطر على أى شخص يقابله سواء أكان منَّا أم من العامة، ولقد تلقيت وعدًا من رئيس الوزراء بأنه لن يتفوه بكلمة واحدة عن حقيقة شخصية «بلاك» لأى فرد، ودعونا نفترض أنه فعل ذلك، فمن سيصدقه؟ وقد أخبرنا العامة أن «بلاك» يحمل مسدسًا (وهو أداة معدنية يستخدمها العامة فى قتل بعضهم البعض).

إن اتحاد السحرة يعيشون فى ذعر من تكرار المذبحة التى حدثت منذ ١٢ عامًا، عندما ألقى «بلاك» بلعنة واحدة تسببت فى قتل ١٣ شخصًا، ونظر «هارى» نحو عينىَ «سيريوس بلاك» ليجد أنهما الجزء الوحيد فى وجهه الموحى بالحياة، ولم يسبق لـ«هارى» مقابلة أحد مصاصى الدماء، إنما رأى أحدهم فقط فى أحد فصول الدفاع ضد فنون السحر الأسود، وكان «بلاك» بهذا الوجه الذى يماثل الشمع فى شحوبه يبدو كواحد منهم.

وتساءل «ستان» الذى كان يراقب «هارى» وهو يطالع الجريدة: «شكله مخيف.. أليس كذلك؟».

أعاد «هاري» الجريدة إلى «ستان» متسائلاً: «هل قتل ١٣ شخصًا بتعويذة واحدة بالفعل؟».

أجابه: نعم، وفي ضوء النهار وأمام شهود؛ مما أدى إلى مشكلة كبيرة.. أليس كذلك يا «إيرني»؟

لم يُجب «إيرني»، وغمغم بكلمات غير مفهومة، فاعتدل «ستان» في مقعده؛ ليرى «هاري» بشكل أفضل، ثم قال: «لقد كان «بلاك» واحدًا من أهم مساعدي «أنت تعرف مَن»..».

فقال «هاري» بلا تفكير: من؟ فولدمورت؟».

واستحال وجه «ستان» إلى لون شديد الشحوب، في حين انحرف «إيرني» بعجلة القيادة حتى أن منزلاً كاملاً قد قفز من مكانه؛ ليتحاشى الاصطدام بالحافلة، فصاح «ستان»: «كيف تنطق باسمه؟».

فقال «هاري»: «آسف.. لقد نسيت».

فقال «ستان»: نسيت؟! إن قلبي يخفق بشدة.

ولكن «هاري» عاد يتساءل: «أي إن «بلاك» كان من مساعدي «أنت تعرف من»؟ فأجاب «ستان»: نعم.. هذا صحيح، لقد كان قريبًا جدًّا منه، فكل مساعدي «أنت تعرف من» قد قُبض عليهم.. أليس كذلك يا «إيرني»؟ ولكن «بلاك» كان المرشح للحصول على مكان «أنت تعرفه» من بعد رحيله.. وعلى كل حال، فقد كان في منتصف الشارع عندما أخرج عصاه السحرية وألقى بتعويذة أصابت ساحرًا واثنى عشر شخصًا من العامة، ثم تابع في همس

درامى: «أمر فظيع.. أليس كذلك؟ وهل تعرف ماذا فعل «بلاك» بعد ذلك؟ لقد ضحك.. لقد وقف هناك وضحك.. وعندما جاءت قوات وزارة السحر، ذهب معهم بهدوء وهو لا يزال يضحك.. إنه مجنون.. أليس كذلك يا «إيرنى»؟

أجاب «إيرنى»: «إذا لم يكن كذلك، فقد أصبح مجنونًا عندما ذهب إلى «أزكابان»، فأنا قد أفجر نفسى قبل أن أضع قدمى هناك، ولكنه كان يستحق ما حدث له بعد ما فعله..».

تساءل «ستان»: «ولكنهم وجدوا فكرة للتغطية على ما حدث.. أليس كذلك؟ لقد انفجر الشارع ولقى جميع العامة مصرعهم، فماذا كان تفسير ذلك؟

زفر «إيرنى» وهو يجيب: انفجار غاز.

عاد «ستان» يقول وهو يطالع صورة «بلاك» المنشورة فى الجريدة: «وهو الآن هارب، أليس كذلك؟ ألم يسبق لأحد الهروب من «أزكابان»؟ كيف فعلها؟ ترَى، هل كان خائفًا؟ أنا لا أكاد أتصور كيف واجه حراس «أزكابان»، وفجأة ارتعد «إيرنى» وقال: «تحدث عن شىء آخر يا «ستان»، فهناك فتى طيب بالحافلة، وذكْر حراس «أزكابان» يصيبنى بالذعر.

أبعد «ستان» الجريدة، فى حين مال «هارى» نحو النافذة وهو يشعر بقلق ولم يستطع منع نفسه من تخيل «ستان» وهو يقصُّ على الركّاب قصته فى وقت لاحق:

«أسمعتم عن «هارى بوتر»؟ لقد فجَّر العمة «مارج»، وكان

معنا على متن هذه الحافلة. نعم «هاري».. لقد خرق قانون السحرة مثلما فعل «سيريوس بلاك»! وما فعله مع العمة «مارج» يمكن أن يُبقيه في «أزكابان» مثله.

وكان «هاري» لا يعلم أي شيء عن سجن «أزكابان» الذي يسجن فيه السحرة، رغم أن كل من كان يتحدث عنه كان يتحدث برعب، وقد قضى «هاجريد» حارس ألعاب «هوجوورتس» شهرين هناك في العام الماضي، ولن ينسى «هاري» ذلك التعبير المملوء بالرعب الذي ظهر على وجه «هاجريد» عندما عرف أنهم سيرسلونه إلى هناك، مع العلم بأنه من أشجع الأشخاص الذين عرفهم «هاري».

استمرت الحافلة في السير وسط الظلام، متخطية أشجارًا وحدائق وصناديق هاتف، في حين ظل «هاري» جالسًا في حزن فوق فراشه.. وبعد قليل، تذكر «ستان» أن «هاري» قد طلب مشروب شيكولاتة ساخنًا ولكنه سُكِبَ بالكامل على وسادته؛ عندما توقفت الحافلة فجأة وبدأ السحرة والساحرات يغادرونها وعلى وجوههم أمارات السعادة، حتى صار «هاري» هو الراكب الوحيد المتبقي، فصفق «ستان» متسائلاً:

«حسنًا يا «نيفيل» إلى أي مكان في لندن؟».

أجاب «هاري»: «حارة دياجون».

فرد «ستان»: حسنًا.. تمسّك جيدًا.

وانطلق نفس صوت الفرقعة مرة أخرى، فجلس «هاري» يشاهد

المباني وهي تبعد نفسها عن طريق الحافلة، وكان الضوء قد بدأ يظهر في السماء وهو يفكر في أنه سيهبط بعد قليل في «جرينجوتس»، ثم يذهب إلى حيث لا يعرف.

وتوقفت الحافلة أمام «حارة دياجون»، فقال «هاري»: «شكرًا لك»، ثم هبط سلم الحافلة وساعده «ستان» في إنزال صندوقه وقفص «هيدويج».

فقال «هاري»: «حسنًا.. إلى اللقاء».

ولم يجبه «ستان»، إنما ظل واقفًا عند باب الحافلة وهو ينظر إلى مدخل المرجل الراشح قبل أن يسمع صوتًا يقول: «ها أنت ذا يا «هاري!» وقبل أن يستطيع الالتفاف، شعر «هاري» بيد فوق كتفه، في نفس الوقت الذي سمع فيه صيحة «ستان»: «تعالَ يا «إيرني».. تعالَ إلى هنا».

وعندما نظر «هاري» لصاحب اليد، شعر ببرودة شديدة تجتاح معدته، فقد كان «كورنليوس فودج» وزير السحر شخصيًا وهبط «ستان» ليقف بجوارهما متسائلاً:

«بماذا دعوت «نيفيل» أيها الوزير؟».

وكان «فودج» شخصًا صغير الحجم يرتدي عباءة طويلة، فوقها خطوط رفيعة وقد بدا عليه الإجهاد، ردد مزمجرًا: ««نيفيل»؟! إنه «هاري بوتر»».

صاح «ستان»: «لقد كنت أعرف يا «إيرني».. كنت أعرف.. خمن من هو؟».

إنـه «هـاري بـوتـر»، فـقـد رأيت هـذه الـنـدبـة فـى جـبـهـتـه، فـقـال «فودچ»: «حقًا أنا سعيد؛ لأن حافلة الفارس وجدت «هاري»، ولكننا سندخل إلى المرجل الراشح الآن».

وزاد «فودچ» من تشديد قبضته على كتف «هاري» وقاده إلى داخل الحارة.. وظهر شخص نحيل يحمل مصباحًا من باب الحارة.. كان «توم» الذى قال:

«لقد وجدته إذًا يا سيادة الوزير.. هل ستحتاجان مشروبًا؟».

قال «فودچ» الذى كان لا يزال ممسكًا بـ «هاري»: «ربما بعض الشاى!».

ومن خلفهما كان هناك صوت احتكاك وأنفاس مكتومة، ثم ظهر «إيرنى» و«ستان» وهما يحملان صندوق «هاري» وقفص «هيدويج» وينظران حولهما فى سعادة قبل أن يقول «ستان»: «كيف لم تخبرنا عن حقيقة شخصيتك يا «هاري»؟».

فقال «فودچ» فى لهجة آمرة: «أريد حجرة خاصة من فضلك يا «توم»».

فـقـال «هـاري»، وقـد بـدت عـلـيـه الـتـعـاسـة، لـكـل مـن «إيـرنـى» و«ستان»: «إلى اللقاء».

فرد «ستان»: إلى اللقاء يا «هاري».

قاد «فودچ» «هاري» عبر ممر ضيق خلف مصباح «توم»، ثم إلى حجرة صغيرة وفرقع إصبعيه؛ لتشتعل نار المدفأة قبل أن يخرج «توم» من الحجرة، ثم قال وهو يحرك مقعدًا بجوار المدفأة: «اجلس يا «هاري»».

فجلس وهو يشعر بالخوف يسيطر عليه، ثم خلع «فودچ» عباءته وألقاها جانبًا قبل أن يقول: «أنا «كورنليوس فودچ» وزير السحر».

كان «هارى» يعرف ذلك بالطبع؛ فقد رأى «فودچ» مرة قبل ذلك ولكنه كان يرتدى عباءة الإخفاء الخاصة بوالده، ولم يكن «فودچ» يعلم ذلك.

وعاد «توم» – حارس الفندق – إلى الحجرة مرة أخرى وهو يرتدى مئزرًا فوق قميصه؛ ليصب الشاى ويضع بعض الكعك على منضدة بين «هارى» و«فودچ» ثم غادر الحجرة، وأغلق الباب خلفه، فعاد «فودچ» يقول: «حسنًا يا «هارى»، لقد تسببت لنا جميعًا فى مشكلات، فقد هربت من منزل خالتك وزوجها، ولقد فكّرت فى أن ... على كل حال، أنت فى أمان الآن.. وهذا هو ما يهم».

ثم ناول «هارى» كعكة قائلاً: «فلتأكل يا «هارى»، يجب أن تسعد؛ لأننا قد تعاملنا مع ما فعلته مع السيدة «مارج درسلى». لقد قام اثنان من أعضاء قسم مقاومة السحر بالذهاب إلى شارع «بريفت دريف» منذ ساعات، وقد تم محو ذاكرة السيدة «مارجورى» وهى لا تذكر أى شىء عن الحادث الآن؛ أى إنه لم يحدث ضرر».

وابتسم «فودچ» نحو «هارى» من خلال كوب الشاى الممتلئ كمن يداعب ابن أخيه المقرَّب، أما «هارى» الذى كان لا يصدق ما

يحدث، فقد فتح فمه لينطق، ولكنه لم يجد شيئًا يقوله، فأطبق فمه مرة أخرى، وعاد «فودج» يقول: «آه.. أنت قلق بشأن رد فعل خالتك وزوجها؟ لن أنكر أنها غاضبة جدًّا ولكنها قررت استعادتك فى الإجازة القادمة؛ لتقضى أعياد رأس السنة».

وهنا استطاع «هارى» أن ينطق أخيرًا: «ولكننى كنت أقضى رأس السنة دومًا فى «هوجوورتس» ولا أريد العودة إلى «بريفت دريف»».

فقال «فودج» فى لهجة قلقة: «أنا واثق الآن أنك ستشعر شعورًا مختلفًا عندما تهدأ، إنهم أسرتك على كل حال، وأنا واثق أنكم تحبون بعضكم البعض بـ ... بشدة».

ولم يصدق «هارى» ما يقوله «فودج»، فقد كان لا يزال ينتظر ما سيحدث له، حتى قال «فودج»: «ولكن يبقى أن تقرر أين ستقضى الأسبوعين الأخيرين من إجازتك، أنا أقترح أن تكون لك حجرة هنا فى المرجل الراشح...».

وقاطعه «هارى» متسائلاً: «انتظر.. وماذا عن عقابى؟».

تساءل «فودج» فى دهشة: «عقاب؟!».

قال «هارى»: «لقد خالفت القانون ومارست السحر، رغم حظر استخدام السحر لصغار السن».

صاح «فودج» بنفاد صبر: «لا يا صغيرى، إننا لن نعاقبك من أجل شىء صغير كهذا.. لقد كان حادثًا ونحن لا نرسل أحدًا إلى «أزكابان» لمجرد محاولة تفجير شخص ما».

ولم يكن «هارى» مقتنعًا بذلك؛ لما كان يسمعه عن وزير السحر، فقال: «لقد تلقيت إنذارًا فى العام الماضى بسبب ممارستى للسحر فى منزل خالتى، وقد عرفت من وزارة السحر أننى قد أُفصَل من «هوجوورتس» إذا مارست السحر مرة أخرى».

وإذا لم تكن عينا «هارى» تخدعانه، فقد كانت عينا «فودج» تحملان ارتباكًا واضحًا وهو يتكلم ويتابع: «الظروف تتغير يا «هارى».. فلابد أن نكون حريصين فى كل الظروف الحالية، فأنت بالطبع لا تريد أن تتعرض للفصل».

أجابه «هارى»: «لا بالطبع».

فضحك «فودج»، ثم تابع: «حسنًا، إذن فما المشكلة؟ تناول كعكة يا«هارى»، بينما سأذهب لأرى إذا ما كان «توم» قد أعد غرفة لك».

وغادر «فودج» الغرفة بينما كان «هارى» يحدق به، إنه يشعر بأن هناك شيئًا مريبًا يحدث وإلا.. فلماذا كان «فودج» ينتظره فى المرجل الراشح، وإذا لم يكن سيعاقبه، فماذا سيفعل؟! وهنا بدأ «هارى» يفكر: هل معقول أن يتدخل وزير السحر بنفسه فى مخالفة ممارسة أحد الصغار للسحر؟».

وعاد «فودج» بصحبة «توم» حارس الفندق قائلاً: «الحجرة رقم (١١) خالية يا «هارى»، وأظن أنك سترتاح بها، ولكنّ هناك شيئًا واحدًا أنا واثق أنك ستتفهمه، أنا لا أريد أن تخرج إلى

شوارع العامة فى لندن، مفهوم؟ ابق هنا فى المرجل الراشح..

فقال «هارى» بهدوء: «حسنًا، لكن لماذا..؟».

قاطعه «فودج» بضحكة صافية: «إننا لا نريد أن نفقدك مرة أخرى.. أليس كذلك؟».

فمن الأفضل أن تعرف مكانك.. أعنى... ثم ازدرد لعابه بصوت مرتفع والتقط عباءته متابعًا: «سأذهب الآن، فلدىَّ الكثير من الأعمال كما تعلم».

تساءل «هارى»: «هل صادفكم شيء من الحظ فى البحث عن «بلاك»؟».

أفلتت العباءة من يده، ثم تساءل «فودج»: «ما هذا؟ إذن، فقد عرفت.. حسنًا.. لا.. ليس بعد، ولكنها مسألة وقت، فحراس «أزكابان» لم يفشلوا قبل ذلك وهم فى غاية الغضب بسبب هروبه،

ثم ارتعد قليلاً قبل أن يقول: «حسنًا، سأقول إلى اللقاء».

ثم صافح «هارى» الذى واتته فكرة مفاجئة: «سيدى الوزير.. هل لى أن أطلب شيئًا؟».

ابتسم «فودج» مجيبًا: «بالتأكيد».

فقال «هارى»: «حسنًا».. إن طلبة السنة الثالثة فى «هوجوورتس» مصرح لهم بزيارة «هوجسميد» ولكن خالتى وزوجها لم يوقعا لى تصريح الزيارة، فهل يمكنك ذلك؟».

بدأ عدم الارتياح على وجه «فودج»، ثم قال: «لا يا«هارى».. أنا فى غاية الأسف، فأنا لست والدك و...».

قاطعه «هارى» بإلحاح: «ولكنك وزير السحر، فلو صرحت لى...».

قال «فودج» بصرامة: «لا .. النظام هو النظام، فربما تستطيع زيارة «هوجسميد» فى العام القادم.. ففى الحقيقة، أظن من الأفضل أنك.. نعم.. حسنًا.. سأذهب، استمتع بوقتك يا «هارى»».

ثم صافحه مبتسمًا وغادر الحجرة قبل أن يتقدم «توم» نحو «هارى» قائلاً:

«أرجو أن تتبعنى يا سيد «بوتر»، فقد أوصلت أمتعتك لأعلى...».

تبعه «هارى» وهو يصعد سلمًا خشبيًا أنيقًا حتى وصلا إلى باب مكتوب عليه رقم (١١)، فتحه «توم»، وبالداخل كان يوجد فراش مريح المظهر، وأثاث لامع، ومدفأة جميلة كانت فوق الصوان.

لهث «هارى» قائلاً: «هيدويج؟!».

وطارت البومة البيضاء لتستقر على ذراع «هارى»، فقال «توم»: «بومة جميلة، لقد وصلت من خمس دقائق تقريبًا، إذا احتجت أى شىء يا سيد «بوتر» فلا تتردد فى طلبه».

ثم انحنى مرة أخرى وغادر الحجرة.

ظل «هارى» جالسًا على فراشه لوقت طويل وهو ينظر إلى «هيدويج».. وفى النافذة، بدأ لون السماء يتغير من الأزرق الداكن إلى الرمادى، ثم ببطء إلى القرمزى فالذهبى، ولم يكن «هارى» يصدق أنه قد غادر «بريفت دريف» منذ ساعات، وأنه لم يُفصل

من «هوجوورتس»، وأنه سيبتعد عن منزل آل «درسلى» لمدة أسبوعين، فقال وهو يتثاءب: «لقد كانت ليلة غريبة يا «هيدويج»».

ودون حتى أن يخلع نظارته، ارتمى على الوسادة واستغرق فى النوم.

* * *

٤ المرجـل الراشـح

احتـاج «هـارى» لبضعة أيـام حتـى يعتـاد على تلك الحرية الجديدة الغريبة، فهو يستطيع الآن الاستيقاظ وقتما يشاء، وتناول الطعام وقتما يحب، إنه حتى يستطيع أن يذهب إلى أى مكان يريده ما دام هذا المكان داخل حارة «دياجون»، ورغم ضيق هذا الشارع فإنه كان زاخرًا بأروع المتاجر فى العالم ولم يرغب «هـارى» فـى الإخـلال بـوعـده لـوزيـر السحـر «فـودج» والخروج إلى عالم العامة، فكان يتناول إفطاره كل يوم فى المرجل الراشح، حيث كان يحب مشاهدة الرواد الآخرين، هؤلاء الساحرات الصغيرات وكذلك السحرة مهيبو المظهر وهم يتناقشون عن آخر مقالات جريدة «ترانسفجيوريشن توداى» وشاهد إحداهن تطلب طبقًا من الكبد النيئ.. وبعد الإفطار، كان «هـارى» يذهب إلى الساحة الخلفية ومعه عصاه السحرية؛ ليقضى يومًا مشمسًا فى مشاهدة المحال، ويتناول طعامه تحت الشمسيات الملونة خارج المقاهى، ومن حوله رواد المكان يطلعون بعضهم البعض على مشترياتهم، أو آخرون يناقشون حادث «سيريوس بلاك» فيقول أحدهم: «بالنسبة لى، فلن أدع الأطفال يخرجون بمفردهم حتى يعود إلى «أزكابان»»، ولم يكن «هـارى» مضطرًا لـعمل واجباته المدرسية تحت الأغطية

أو باستخدام ذلك المصباح الصغير، فهو الآن يستطيع الجلوس تحت ضوء الشمس في محل «فلورين فورتيسيكو» للآيس كريم، ينهي كل مقالاته بل ويستطيع طلب المساعدة من «فلورين فورتيسيكو» نفسه الذي كان يمنح «هاري» طلبات مجانية كل نصف ساعة، بالإضافة إلى معرفته الواسعة عن حريق الساحرات في العصور الوسطى، وبعد أن أعاد ملء حافظة نقوده بالذهب والفضة والبرونز كان يحتاج إلى تدريب نفسه على السيطرة على ما لديه وعدم إنفاقه دفعة واحدة، كان عليه أن يذكّر نفسه دومًا بأنه لا يزال أمامه خمسة أعوام في «هوجوورتس» ولن يستطيع طلب نقود من آل «درسلي» لشراء كتبه، وكان لابد أن يتوقف عن شراء «لعبة جوبستون الذهبية» (وهي لعبة سحرية تشبه البلي، وفيها تقذف الكرات سائلاً ذا رائحة سيئة على اللاعب الذي يخسر نقطة)، وكان في غاية الأسف؛ لأنه كان سيترك تصميم المجرة المتحركة في كرة زجاجية، مما يعني أنه لن يحصل على دروس جديدة في علم الفلك، ولكن الشيء الذي كان يتحدى قوة إرادته بالفعل هو ذلك المحل الذي يبيع معدات كويدتش فائقة الجودة.

وأثار مظهر الزحام في المحل فضول «هاري»، فدخل إليه وهو يزاحم السحرة والساحرات حتى وقع نظره على منصة مرتفعة، وفوقها عرضت أجمل عصا مكنسة رآها في حياته، ووقف ساحر من العاملين بالمحل يعلن: «جديدة تمامًا.. طراز جديد».. فتساءل

طفل يصغُر «هارى» وهو يجذب ذراع أبيه: «إنها أسرع عصا مكنسة فى العالم .. أليس كذلك يا أبى؟».

عاد الساحر يقول: «لقد طلبت «مؤسسة إيريش» لتوها سبع قطع من هذه الجميلة، كما أنها المفضلة فى كأس العالم».

وتحركت أخيرًا إحدى الساحرات من أمام «هارى»، فاستطاع قراءة ما كتب على تلك اللوحة التى بجوار العصا:

«هذه القطعة الفنية (السهم النارى) لممارسة رياضة عصا المكنسة التى صنعت من خشب الدردار وقد تمت معالجتها بورنيش صلب عالى الجودة، وكل يد مسجلة برقم خاص وكل قطعة تم اختيارها من فرع سليم تمامًا ووضعت فى ذيل المكنسة بشكل رائع؛ لتعطى (السهم النارى) توازنًا تامًّا وتوجيهًا دقيقًا، كما أنها تنطلق من سرعة صفر وحتى ١٥٠ ميلاً فى عشر ثوانٍ، كذلك فإن فراملها ساحرة.. السعر عند الطلب».

ولم يكن «هارى» يرغب فى التفكير فى سعر السهم النارى، إنه لم يرغب فى اقتناء شيء أكثر من رغبته فى هذه طوال حياته، كما أنه لم يخسر مباراة كويدتش طوال حياته، ولكن ما الهدف من إفراغ حافظة نقوده مادام يمتلك عصا مكنسة جديدة بالفعل؟

ولم يسأل «هارى» عن السعر، ولكن كان يحضر كل يوم إلى المحل فقط؛ لينظر إلى السهم النارى.. وعلى كل حال، فقد كان «هارى» يحتاج لشراء بعد الأشياء اللازمة له، فقد ذهب إلى الصيدلية وأعاد ملء خزانة محاليله، كما أن ملابس مدرسته

قد قصرت بضع بوصات من عند الذراع والساق، فقام بزيارة إلى محل أثواب مدام «مالكين» لجميع المناسبات، واشترى ملابس جديدة، والأهم من كل هذا هو شراء كتبه الدراسية التى تحتوى على علمين جديدين، وهما «العناية بالمخلوقات السحرية» و«التنبؤ»، وقد فوجئ «هارى» عندما نظر إلى واجهة المكتبة، فبدلاً من صفوف الكتب، وتلك العناوين الذهبية كان هناك قفص حديدى به مئات النسخ من كتاب «وحش الوحوش» يتصارعون معًا فى شراسة، وتتطاير صفحاتها الممزقة داخل القفص.

ودخل «هارى» إلى المكتبة وأخرج قائمة كتبه من جيبه وراجعها للمرة الأولى ووجد ضمنها ذلك الكتاب فى مادة العناية بالمخلوقات السحرية، وهنا فقط أدرك لماذا أخبره «هاجريد» أن الكتاب سيكون مفيدًا له، وما إن رآه مدير المكتبة حتى أسرع نحوه قائلاً: «هوجوورتس»، هل جئت للحصول على كتبك الجديدة؟ أجاب «هارى»: «نعم، أريد...».

دفعه المدير بنفاد صبر وارتدى زوجًا من القفازات السميكة، ثم التقط عصا واتجه لقفص الكتب الوحشية، فأسرع «هارى» يقول: «انتظر.. إننى أملك واحدًا من هؤلاء»، ظهرت الراحة على وجه المدير وهو يقول: «حقًا؟! حمدًا لله، فقد عضتنى خمس مرات هذا الصباح..».

وارتفع صوت تمزيق شىء فى المكان، لقد كان هناك كتابان

يصارعان كتابًا ثالثًا ويمزقانه، فصرخ المدير: «كفى.. كفى..».

وراح يدفع العصا داخل القفص؛ ليبعد الكتب عن بعضها البعض وهو يصيح: «لن أحتفظ بمخزون من هذه الكتب مرة أخرى، لقد كنت أظن أن أسوأ شيء قد حدث عندما ابتعنا مائتى نسخة من كتاب «الإخفاء الخفى»، لقد كلفنا ثروة، ولكننا لم نربح شيئًا.. أعنى... حسنًا، هل أستطيع مساعدتك فى شيء آخر؟».

أجاب «هارى» وهو يراجع قائمة الكتب: «نعم.. أريد كتاب توضيح المستقبل لـ«كاسندرا ڤابلتسكى»».

أجابه المدير وهو ينزع قفازيه، ويقود «هارى» نحو نهاية المكتبة قائلاً: «آه.. ستبدأ دراسة التنبؤ..».

وكان هناك جناح تحت عنوان «التنبؤ» ومنضدة وُضع فوقها بعض الكتب، مثل «التنبؤ بما لا يمكن التنبؤ به»، «حصّن نفسك ضد الصدمات»، و«عندما تخطئ التنبؤات». صعد الرجل سلمًا صغيرًا ليعود بكتاب أسود ثقيل بين يديه قائلاً: «ها هو.. «توضيح المستقبل»، إنه دليل لبدء مهارة التنبؤ: قراءة الكف، والكرات البللورية و...».

ولكن «هارى» لم يكن منصتًا، فقد وقعت عيناه على كتاب آخر ضمن مجموعة كتب فوق منضدة صغيرة عنوانه: «نذير الشؤم.. ماذا تفعل عندما تعلم بقدوم الأسوأ؟».

فقال المدير وهو ينظر فى اتجاه نظرات «هارى»: «لو كنت مكانك لما قرأت هذا الكتاب، فسترى نذائر الشؤم فى كل مكان، إنه كفيل بإخافة أى إنسان حتى الموت».

لكن «هارى» استمر فى التحديق بغلاف الكتاب الذى كان عليه صورة كلب أسود كبير كالدب، له عينان براقتان وكان يبدو مألوفًا، فقدم المدير كتاب «توضيح المستقبل» إلى «هارى» سائلاً: «أى شىء آخر؟»، فأجاب «هارى»، وهو يبعد عينيه عن الكتاب ويطالع قائمة كتبه مرة أخرى، قائلاً: آه.. نعم أريد كتاب «نماذج التعاويذ» للسنة الثالثة وكتاب «تغيير الشكل الوسيط».

عاد «هارى» من «فلوريش وبلوتس» بعد عشر دقائق مع كتبه الجديدة بين ذراعيه، ثم عاد إلى المرجل الراشح دون أن يلاحظ أنه كان يندفع وسط الكثير من الناس.

ثم صعد إلى حجرته وألقى بالكتب فوق فراشه، ويبدو أن أحدهم كان يرتب الحجرة، فقد كانت النوافذ مفتوحة والشمس تلقى بأشعتها داخل الحجرة، وكان «هارى» يسمع الحافلات المارَّة بالخارج فى شارع العامة الذى لا يستطيع رؤيته، هذا بخلاف ضوضاء كان يسمعها دون مشاهدته للممر.

ونظر «هارى» لانعكاس صورته فى المرآة قائلاً: «لا يمكن أن يكون هذا نذير شؤم.. لقد كنت فى غاية الخوف عندما رأيت هذا الشىء فى «ماجنوليا كريسنت»»، ثم رفع يده بشكل تلقائى؛

لتسوية شعره وقالت المرآة بصوت رفيع: «إنك تخوض معركة خاسرة يا عزيزى».

* * *

ومرت الأيام و«هارى» يبحث فى كل مكان عن أى أثر لـ«رون» أو «هيرميون»، فقد كان العديد من تلاميذ «هوجوورتس» يتوافدون على حارة «دياجون» مع اقتراب بداية الفصل الدراسى، وقد قابل «هارى» فى المرجل كلاً من «شيموس فينجان» و«دين توماس» زميليه فى لعبة الكويدتش، وقد قابل «نيفيل لونج بوتوم» الحقيقى وهو فتى سمح، مستدير الوجه خارج «فلوريش وبلوتس»، ولم يتوقف «هارى» عن الحديث وظهر «نيفيل» وهو يحمل كتبه، ومعه جدته رائعة المظهر التى تمنى «هارى» ألا تكتشف تظاهره بأنه «نيفيل» أثناء خروجها من وزارة السحر.

استيقظ «هارى» فى اليوم الأخير من الإجازة، وقد تأكد لديه أنه لن يرى «رون» و«هيرميون» إلا فى اليوم التالى، عندما يتقابلون فى قطار «هوجوورتس» السريع.

ارتدى «هارى» ملابسه، وذهب إلى محل الرياضة، وألقى نظرة أخيرة على السهم النارى، واستعد للاتجاه لتناول الطعام.. عندما سمع صوت شخص ينادى اسمه: «هارى.. هارى..».

كانا هناك، يجلسان خارج «فلورين تيسيكو» وكان وجه

«رون» مليئًا بالنمش، بينما اصطبغت «هيرميون» بلون داكن، لوَّحا له بحرارة، ثم قال، «رون» مبتسمًا وهو يجلس بجواره: ذهبنا إلى «المرجل الراشح» ولكنهم قالوا إنك غادرت المكان وقد ذهبنا إلى «فلوريش وبلوتس» ومحل مدام «مالكين».

أجاب «هارى» مفسرًا: «لقد ابتعت مستلزمات الدراسة الأسبوع الماضى.. ولكن،كيف عرفتم أننى فى المرجل الراشح؟».

أجاب «رون» ببساطة: «مِن أبى».

بالطبع سيد «ويزلى» الذى يعمل فى وزارة السحر قد سمع القصة كاملة وما حدث مع العمة «مارج».

وتساءلت «هيرميون» بلهجة جادة: «هل فجرت العمة «مارج» بالفعل يا «هارى»؟».

أجاب «هارى» بينما «رون» يضحك: «أنا لم أقصد.. لم أتمالك نفسى فقط».

قالت «هيرميون» بحدة: «ليس الأمر مضحكًا يا «رون»، إننى مندهشة أن «هارى» لم يُفصَل».

أيدها «هارى» قائلاً: «وأنا كذلك، ولكن بصرف النظر عن الفصل، فلقد ظننت أنهم سيلقون القبض علىَّ».

ثم نظر إلى «رون» متابعًا: «ألا يعرف والدك، لماذا تركنى «فودج»؟».

أجاب «رون»: «ربما بسببك أنت.. «هارى بوتر» الشهير.. هذا كل شىء وأكره التفكير فيما كانت ستفعله معى وزارة السحر إذا

كنت أنا الذى فعلت ذلك، أظن أنهم كانوا سيخرجوننى من قبرى أولاً، فوالدتى كانت ستقتلنى. على كل حال، يمكنك أن تسأل أبى بنفسك هذا المساء، فسنقيم بالمرجل الراشح الليلة أيضًا؛ لذلك فبإمكانك القدوم إلى «كينجز كروس» غدًا، وستكون «هيرميون» هناك كذلك».

أومأت «هيرميون» موافقة، ثم قالت: «لقد أوصلنى أبى وأمى هذا الصباح مع كل مستلزماتى المدرسية».

قال «هارى» بسعادة: «رائع إذن، فهل حصلتما على كتبكما الجديدة وأدواتكما؟».

أجاب «رون» وهو يفتح صندوقًا صغيرًا جذبه من حقيبته: «انظر لهذا .. عصا سحرية جديدة طولها ١٤ بوصة، لها ذيل من شعر خرتيت، وقد حصلنا على كل كتبنا»، ثم أشار إلى حقيبة كبيرة أسفل مقعده، متابعًا: «ماذا عن هذه الكتب الوحشية؟ لقد صرخ أمين المكتبة عندما علم أننا نريد نسختين».

وتساءل «هارى» وهو يشير إلى ثلاث حقائب فى المقعد المجاور لمقعد «هيرميون»: «ما كل هذا يا «هيرميون»؟».

قالت: «حسنًا.. إنى أدرس مواد جديدة أكثر منكما.. أليس كذلك؟ هذه كتب العناية بالمخلوقات السحرية، ودراسة الرموز القديمة، ودراسات العامة».

تساءل «رون» وهو ينقل عينيه نحو «هيرميون»: «ولماذا

تدرسين عن العامة؟ فلقد ولدتِ لأبوين منهم وتعرفين كل شيء عنهم بالفعل».

أجابت «هيرميون»: «ولكن ستكون دراستهم مفيدة من وجهة النظر السحرية».

نظرت «هيرميون» إلى حقيبة يدها وهى تقول: «مازال لدىَّ بعض المال، فعيد ميلادى فى سبتمبر، وقد أعطانى والدى بعض النقود؛ لأشترى هدية عيد ميلادى مبكرًا».

تساءل «رون» ببراءة: «ماذا عن كتاب جديد؟».

قالت «هيرميون»: «لا.. لا أظن ذلك.. أنا أريد بومة، أعنى أنك يا «هارى» تملك «هيدويج» وأنت يا «رون» تملك «إيرول».

قال «رون»: «لا.. إن «إيرول» مملوكة للأسرة وكل ما أملكه هو «سكابرز»، ثم أخرج فأره الأليف من جيبه وأضاف وهو يضعه على المنضدة: «وأنا أريد فحصه؛ لأن جو مصر لم يناسبه»، وكان «سكابرز» يبدو أنحف من ذى قبل وشواربه متدلية، فقال «هارى» الذى أصبح يعرف حارة «دياجون» تمامًا الآن: «هناك محل مخلوقات سحرية قريب من هنا، يمكنك أن تسأل إذا ما كان هناك ما يفيده كما يمكن أن تحصل «هيرميون» على بومتها».

وبالفعل، دفعوا ثمن المثلجات التى تناولوها وعبروا الشارع إلى المتجر، ولم يكن كبيرًا من الداخل، كل بوصة من الحائط مختفية خلف قفص كما تنبعث رائحة فجّة من المكان، هذا بخلاف الضجيج الذى يتسبب فيه ساكنو هذه الأقفاص، وخلف

حاجز المحل، وقفت الساحرة تنصح أحد رواد المحل بكيفية العناية بحيوان «سمندل الماء»؛ لذلك انتظر الثلاثة حتى تنتهى وهم يشاهدون الأقفاص، فهذا زوج من الضفادع القرمزية جلسا يعبثان معًا ويتناولان بعض الذباب، وسلحفاة عملاقة لها صَدفة براقة تلمع تحت الضوء القادم من النافذة، وقوقعة برتقالية سامة تتحرك ببطء بجانب وعاء زجاجى وأرنب سمين، هذا بخلاف قطط من مختلف الألوان، وقفص به غربان مزعجة، وأيضًا قفص ضخم به فئران سوداء تمارس إحدى ألعاب القفز باستخدام ذيولها الطويلة.

غادر الساحر الذى كان معه حيوان السمندل، فاقترب «رون» من الحاجز، ثم قال للساحرة: «إنه فأرى ولونه تغيّر بعد أن عدنا من مصر».

قالت الساحرة وهى تجذب نوعًا من العدسات السوداء من جيبها: «ضعه هنا»، فوضع «رون» فأره على الحاجز بجوار قفص الفئران الأخرى التى توقفت عن اللعب واقتربت من جانب القفص؛ حتى تحصل على رؤية أوضح، وقد كان «سكابرز» فأرًا مستعملاً مثل كل شىء يملكه «رون»، (كان مملوكًا لشقيقه «بيرسى» ويبدو مهمومًا مقارنة بالفئران التى كانت فى القفص، ثم قالت الساحرة بعد أن فحصته: «كم يبلغ عمر هذا الفأر؟».

أجاب «رون»: «لا أدرى ولكنه كبير فى السن إلى حد ما، فقد كان ملكًا لأخى قبل ذلك»، ثم عادت تفحصه مرة أخرى وهى

تتساءل ما المهارات التى يملكها هذا الفأر؟ والحقيقة أن «سكابرز» لم يبد أى مهارة مثيرة للاهتمام، فراحت الساحرة تنقل عينيها بين أذن الفأر وقائمته اليسرى، التى كان بها أصبع مفقود، فتساءلت: «هل أصيب فى حادث؟».

فأجاب «رون»: «لقد كان هكذا عندما أعطاه لى شقيقى «بيرسى»».

عادت الساحرة تقول: «فأر عادى مثل هذا لا يتوقع أن تزيد حياته على ثلاث سنوات، ولكن إذا كنت تبحث عن شىء أكثر تحمُّلاً فربما تحتاج إلى واحدٍ من هؤلاء».

قالت ذلك وهى تشير إلى الفئران السوداء التى عادت تقفز من جديد، وبدا أن الفكرة لم تعجبه، فقالت الساحرة: «حسنًا، إذا كنت لا تريد المبادلة، فيمكنك أن تجرب هذا الدواء»، ثم قدمت له زجاجة حمراء صغيرة، فقال: «رون»: «حسنًا. كم ثمن... آه ما هذا؟!».

كان هناك سائل برتقالى حمضى الرائحة يتناثر عليه ساقطًا من القفص العلوى.

فصاحت الساحرة: «لا.. لا يا «كروكشانكس..»».

ولكن «سكابرز» أفلت من بين يديها مثل الصابونة، وراح يعرج باتجاه الباب، فصاح «رون» باسمه وأسرع خلفه خارج المحل وتبعه «هارى».

واستغرق الأمر منهما نحو عشر دقائق حتى وجداه، فقد اختبأ أسفل سلة مهملات خارج محل «كواليتى كويدتش»، والتقط

«رون» الفأر الذى يرتعد، ووضعه فى جيبه، ثم تساءل «هارى»: ماذا كان ذلك؟

أجابه: إنه إما قط كبير أو نمر صغير.

فعاد «هارى» يتساءل: «وأين «هيرميون»؟».

أجاب «رون»: «ربما تبتاع بومتها».

وعادا إلى الشارع المزدحم وما إن وصلا إليه حتى ظهرت «هيرميون» ولكنها لم تكن تحمل بومة، بل لفّت ذراعها حول قط كبير، فقال «رون» فى دهشة: «هل اشتريت هذا الوحش؟».

أجابته «هيرميون»: «إنه «كروكشانكس»».

كان قطًا ذا فراء بنى كثيف ومجعد وله مخالب طويلة ووجه غريب الشكل، فقد كان وجهه مسطحًا كما لو أنه قد اصطدم بحائط.. وعلى كل حال، فقد كان «سكابرز» فى جيب «رون» فى حين استقر القط بين ذراعىّ «هيرميون».

فصاح «رون»: «هذا الشىء لوث رأسى».

أجابت «هيرميون»: إنه لم يقصد ذلك، أليس كذلك يا «كروكشانكس»؟ قال «رون» وهو يشير إلى فأره الأليف: «وماذا عن «سكابرز»؟ إنه فى حاجة للراحة والاسترخاء، فكيف سيحصل عليهما مع وجود هذا؟».

قالت «هيرميون»: «لقد ذكرنى قولك بأنك نسيت دواء فأرك»، ثم قدمت الزجاجة الحمراء الصغيرة إلى «رون» متابعة: «ولا تقلق من «كروكشانكس»، فسوف ينام فى غرفتى، بينما سينام

«سكابرن» فى غرفتك، فأين المشكلة؟ يا لكروكشانكس المسكين، تقول الساحرة إنه ظل بالمحل لوقت طويل فلم يرغب أحد فى شرائه»، قال «رون» ساخرًا وهم يتوجهون إلى «المرجل الراشح»: «تُرَى، ما السبب؟».

ووجدوا السيد «ويزلى» يجلس فى الحانة يطالع جريدة «المتنبئ اليومى» وقال عندما رأى «هارى»: «هارى! كيف حالك؟».

أجابه «هارى»: «بخير.. أشكرك».

وضع السيد «ويزلى» جريدته؛ ليرى «هارى» الصورة التقليدية للمجرم الهارب «بلاك» وهو يحدق فيه كالمعتاد، فتساءل: «ألم يجدوه بعد؟».

أجاب السيد «ويزلى» فى لهجة جادة: «.. لقد تم انتدابنا من أعمالنا بالوزارة وتحملنا مسئولية البحث عنه، ولكن لم يصادفنا الحظ حتى الآن».. تساءل «رون»: «هل سنحصل على مكافأة إذا أمسكنا به، سيكون أمرًا جيدًا، فسنحصل على المزيد من المال و...».

قاطعه السيد «ويزلى»: «لا تكن سخيفًا يا «رون»، هل سيقبض ساحر فى سن الثالثة عشرة على «سيريوس بلاك»، إن حرس «أزكابان» هم الذين سيلقون القبض عليه».

وفى هذه اللحظة، دخلت السيدة «ويزلى» إلى المحل وهى تحمل بعض المشتريات وخلفها توأمها «فريد» و«چورچ» اللذان كانا على وشك البدء فى عامهما الخامس فى «هوجوورتس».

وكذلك كان «بيرسى» الذى حصل على وسام الطالب المثالى وأصغر أطفال «ويزلى» والفتاة الوحيدة «جينى» التى كانت دومًا معجبة بـ«هارى»، وكانت فى حرج بالغ أكثر من أى وقت آخر عندما رأته ربما لأنه أنقذ حياتها خلال العام الأخير فى «هوجوورتس»، فتخضب وجهها بحمرة شديدة وهى تغمغم دون أن تنظر إليه: «مرحبًا».

أما «بيرسى» فقد مد يده برزانة؛ لمصافحة «هارى»: ««هارى».. كم هو جميل أن أراك».

أجابه «هارى» وهو يحاول ألا يضحك: «مرحبًا يا «بيرسى»!».

عاد «بيرسى» يقول: «أتمنى أن تكون بخير».

أجاب «هارى»: «بخير.. أشكرك».

أما «فريد»، فقال وهو يلكز «هارى» بمرفقه: «هارى!».

فقالت السيدة «ويزلى» وهى تضع مشترياتها فوق المقعد الخالى: «لقد قلت كفى»، ثم تابعت: «مرحبًا يا عزيزى «هارى».. هل سمعت أخبارنا الجديدة؟». ثم أشارت لتلك الشارة الفضية اللامعة على صدر «بيرسى» متابعةً: «إنه الطالب المثالى الثانى فى أسرتنا».

تمتم «فريد»: «وأخيرًا».

زمجرت السيدة «ويزلى» فجأة: «أنا لا أشك فى ذلك، ولقد لاحظت أنكما لم تحصلا على لقب رئيس التلاميذ منذ عامين».

قال «چورچ»: «وما فائدة ذلك؟ إننى أريد التمتع بالحياة».

قالت: «يجب أن تكون قدوة حسنة لشقيقتك».

قال «بيرسى»: «لديها شقيقان آخران ليكونا قدوة لها، سأذهب لأبدل ملابسى من أجل العشاء».

واختفى عن نظرهم ليطلق «چورچ» زفرة، ثم قال: «لقد حاولنا حبسه فى أحد الأهرامات ولكن أمى رأتنا».

كان العشاء في هذه الليلة رائعًا ووضع «توم» النادل ثلاث مناضد متجاورة؛ حتى يجلس آل «ويزلى» معًا ومعهم «رون» و«هيرميون» و«هارى»، وقد تناول الجميع خمسة أصناف شهية، حتى تساءل «فريد»: «كيف سنصل إلى «كينجز كروس» غدًا يا أبى؟».

أجاب السيد «ويزلى» والجميع ينظرون نحوه: «لقد وفرت لنا الوزارة سيارتين».

تساءل «بيرسى» فى فضول: لماذا؟

قال «چورچ» بجدية: بسببك يا «بيرسى» سيضعون أعلامًا صغيرة على السيارة.

عاد «بيرسى» يكرر سؤاله: «لماذا تخصص لنا الوزارة سيارات يا أبى؟».

أجاب السيد «ويزلى»: «حسنًا؛ لأننا لا نملك سيارة وأنا أعمل هناك فسيُسْدُونَ لى معروفًا».

كان صوته عاديًا، ولكن «هارى» استطاع ملاحظة احمرار أذنيه مثلما يفعل «رون» حينما يتعرض لأى ضغط، وقالت

السيدة «ويزلى»: «كما أنها وظيفة جديدة، هل لاحظتم كمَّ الحقائب التى حصلتم عليها؟ ستظهرون بمظهر طيب فى مترو الأنفاق الذى يرتاده العامة، فهل أعددتم حقائبكم؟».

قال «بيرسي»: «إن «رون» لم يجهز حقائبه بعد، فقد ألقى بكل أمتعته الجديدة فوق فراشي».

صاحت السيدة «ويزلى» فى «رون» الذى نظر نحو «بيرسى» بغضب: «من الأفضل أن تعد حقائبك يا «رون»، فلن يكون لديك وقت فى الصباح».

وبعد العشاء، شعر الجميع بالامتلاء والرغبة فى النوم فاتخذوا طريقهم واحدًا تلو الآخر نحو غرفهم؛ لمراجعة أمتعتهم لليوم التالى.. وقد كان «رون» و«بيرسى» فى الغرفة المجاورة لغرفة «هارى»، وما إن أغلق «هارى» حقائبه حتى سمع أصوات صيحات تأتى من الغرفة المجاورة، فذهب ليستطلع الأمر.

كان باب الغرفة رقم (١٢) نصف مفتوح، ومنه بدا صوت «بيرسى» يصيح قائلاً: «لقد كانت هنا على المنضدة بجوار الفراش».

زمجر «رون»: «إننى لم أمسها.. هل تفهم ذلك؟».

وتساءل «هارى»: «ماذا هناك؟».

قال «بيرسى» وهو يستدير نحو «هارى»: لقد اختفت شارة الطالب المثالى!

قال «رون» وهو يفرغ صندوقه من محتوياته: «وكذلك دواء «سكابرز».. أظنني قد تركته في المطعم...».

صاح «بيرسي»: «أنت لن تذهب إلى أي مكان؛ حتى أجد شارتي».

قال «هاري» وهو متجه نحو السلم: «سأحضر دواء «سكابرز» فقد أنهيت إعداد حقائبي»، وكان «هاري» في منتصف الطريق نحو المطعم المظلم عندما سمع أصواتًا جديدة غاضبة قادمة من الردهة، وما إن مرت ثانية حتى استطاع تمييزها، لقد كانا السيد والسيدة «ويزلي»، وتردد؛ حيث كان يريد ألاَّ يعرفا أنه قد سمع مشادتهما ولكنه سمع.. سمع اسمه، فتوقف ثم اقترب من باب الردهة ليسمع السيد «ويزلي» يقول: «إنه في الثالثة عشرة من عمره.. لا معنى لعدم إخبارنا له، «هاري» له الحق أن يعرف، لقد حاولت إخبار «فودج» ولكنه أصر على معاملة «هاري» كطفل».

قاطعته السيدة «ويزلي» بصوت متحشرج: ««آرثر».. الحقيقة ستخيفه، فهل ترغب بالفعل في أن يذهب «هاري» للمدرسة وهو يشعر بكل هذا الرعب؟».

عاد السيد «ويزلي» يقول: «أنا لا أريد أن أجعله تعيسًا، بل أريد تعيين حارس له وأنت تعلمين أن «رون» و«هاري» يتجولان بمفردهما، ولقد أمسكوهما مرتين في الغابة المحظورة ولا يجب أن يفعل «هاري» ذلك هذا العام، فكلما أذكر ما كان يمكن أن يحدث له في الليلة التي فر فيها من المنزل إذا لم نجده، فأراهن أنه كان سيلقى حتفه قبل أن تجده وزارة السحر».

عادت السيدة «ويزلى» تقول: «ولكنه لم يمت.. إنه حى.. فما الداعى؟».

قاطعها السيد «ويزلى»: «مولى»، يقولون إن «سيريوس بلاك» ـ وأنا أصدق ذلك ـ مجنون ولكنه كان ماهرًا لدرجة الهروب من «أزكابان»، وهو ما يفترض أن يكون مستحيلاً وبعد مرور ثلاثة أسابيع لم يظهر له أى أثر، ولا يهمنى تصريحات «فودج» فى الجريدة، فإلقاء القبض على «بلاك» أمر شديد الصعوبة، ولكن الذى نعرفه بالتأكيد هو ما يريده «بلاك».. عادت الزوجة تقول: «ولكنه سيكون آمنًا فى «هوجوورتس».

وهل مؤكد أن «بلاك» يسعى خلف «هارى»؟

وهنا سمع «هارى» صوت قبضة السيد «ويزلى» على المنضدة وهو يصيح: «كم مرة سأخبرك أنهم لم يعلنوا ذلك؛ لأن «فودج» يريد بقاء الأمور هادئة، ولكنه ذهب إلى «أزكابان» فى نفس ليلة هروب «بلاك» وأخبره الحرس أن «بلاك» كان يتكلم كثيرًا أثناء نومه مرددًا نفس الكلمات: «إنه فى هوجوورتس.. فى هوجوورتس»! «مولى».. إنه يريد قتل «هارى» وإذا سألتِنى فإنه يظن أن قتل «هارى» سيعيد... «أنت تعرفين من» إلى سابق قوته فقدْ فقدَ «بلاك» كل شىء عندما أوقف «هارى» «أنت تعرفين من»، فقضى ١٢ عامًا وحده فى «أزكابان».

وعمَّ المكان صمت قصير، فظل «هارى» واقفًا عند الباب محاولاً الاستماع إلى المزيد، حتى قالت السيدة «ويزلى»: «حسنًا،

يا «آرثر»»، افعل ما تظن أنه صحيح ولكنك نسيت «إلبوس دمبلدور»، فلا أظن أن هناك ما يمكن إيذاؤه مادام «دمبلدور» هو مدير المدرسة وأظنه يعلم كل شيء عن ذلك الأمر.

أجابها: «بالطبع هو يعرف كل شيء، وقد سألناه عمّا إذا كان يمانع في تعيين حرس من «أزكابان» على بوابات «هوجوورتس» المؤدية لفناء المدرسة. فلم يكن سعيدًا بذلك إلا أنه وافق».

تساءلت: «ولماذا لا يكون سعيدًا؟ إنهم هناك من أجل الإيقاع بمجرم هارب».

قال: «إنه لا يحب حراس «أزكابان» ولا أنا أيضًا.. ولكن حينما يتعلق الأمر بساحر مثل «بلاك» فستضطرين لإلحاق قوات إضافية حتى وإن كنتِ لا ترغبين في وجودهم».. عادت تتساءل: ولكن إذا استطاعوا إنقاذ «هاري».

أجاب مقاطعًا: وقتها لن أقول أى شيء عنهم.. هيا لقد تأخر الوقت ومن الأفضل أن نصعد.

وسمع «هارى» أصوات حركة مقعديهما، فأسرع بهدوء إلى داخل المطعم واختفى خلف باب الردهة.. وبعد بضع ثوان، أخبرته أصوات أقدامهما أنهما يصعدان السلم، ورأى زجاجة دواء «سكابرز» ملقاة أسفل المنضدة التى كانوا يجلسون عليها، فانتظر حتى سمع السيدة «ويزلى» وزوجها قد أغلقا باب غرفتهما، فصعد لأعلى ومعه الزجاجة، ووجد «فريد» و«چورچ» يضحكان وهما يسمعان «بيرسى» يبحث عن الشارة فى حجرة

«رون»، فهمس فريد لـ«هارى»: «إنها معنا ولقد غيرنا ما كتب عليها، فقد أصبحت الصبى الضخم!».

ترك «هارى» ابتسامة تظهر على وجهه، ثم دخل إلى غرفته بعد أن أعطى «رون» تلك الزجاجة وأغلق الباب واستلقى فى فراشه.

إذن، فقد كان «سيريوس بلاك» يسعى خلفه وهذا هو ما يفسر كل شيء، لقد كان «فودج» متساهلاً معه؛ لأنه سعد ببقائه على قيد الحياة؛ ولذلك انتزع وعدًا من «هارى» بأن يبقى فى «حارة دياجون» حيث يراقبه السحرة القاطنون هناك وها هم يرسلون له سيارتين؛ لتوصيله للمحطة غدًا.

وظل «هارى» ينصت لأصوات الصياح القادمة من الحجرة المجاورة وهو يتساءل: «لماذا لا يشعر بالخوف؟ لقد قتل هذا المجرم ثلاثة عشر شخصًا بتعويذة واحدة ويظن السيد والسيدة «ويزلى» أنه سيصاب بالرعب إذا ما عرف الأمر، ولكن «هارى» كان واثقًا أنه سيكون بأمان فى أى مكان يوجد به «دمبلدور».

ألا يقولون إن «دمبلدور» هو الشخص الوحيد الذى لم يخف مطلقًا من لورد «فولدمورت»، وبالتأكيد فإن «بلاك» بصفته اليد اليمنى لـ«فولدمورت» فسيكون مثله كما أن هناك أيضًا حراس «أزكابان» الذين يتحدث الجميع عنهم وعن مهاراتهم، ووجودهم حول المدرسة سيقلل فرصة تسلل «بلاك» إليها.

لا.. ولكن أكثر شيء ضايق «هارى» هو زيارة «هوجسميد» التى فاتته، ولن يوافق أحد على مغادرة «هارى» «هوجوورتس»

حتى يتم إلقاء القبض على «بلاك»، كما أنه يعلم أن حركته ستكون تحت رقابة مشددة؛ حتى يمر هذا الخطر.

وراح يحملق فى السقف المظلم متسائلاً: «هل يظنون أنه لا يستطيع العناية بنفسه، لقد حاول الهرب من «فولدمورت» ثلاث مرات ولن ينسى مطلقًا ذلك الوحش فى «ماجنوليا كريسنت»، فماذا يفعل إذا علم بقدوم ما هو أسوأ؟!».

فما كان منه إلا أن صاح بصوت مرتفع:

«لا... لن أُقْتَل!».

فقالت المرآة بصوت ناعس: «هذه هى الروح يا عزيزى».

* * *

٥ الحــــارس

فـى صبـاح الـيـوم الـتـالى، أيقظ «تـوم» «هـارى» بـابـتسامتـه الـغـامضـة مـع كـوب شـاى، فـارتـدى «هـارى» مـلابسـه وأقـنـع «هيدويج» بـأن تَعُود لقفصها عندما اقتحم «رون» الغرفة وهو يحمل سترة فوق رأسه، ويبدو عليه الانفعال قـائلاً: من الأفضل أن نبكّر فى ركوب القطار. أخيرًا، سنستطيع الابتعاد عن «بيرسى» فى «هوجوورتس»، فهو يتهمنى الآن بسكب الشاى على صورته.

بدأ «هـارى» يتكلم قـائلاً: «اسمع.. لدىَّ شىء لأخبرك بـه..»، ولكن دخول «فريد» و«چورچ» قـاطعهما وقد بدا على «چورچ» أنـه يرغب فى تهنئة «رون»؛ لنجاحه فى مضايقة «بيرسى» مرة أخرى.

توجهوا جميعًا؛ لتناول الإفطار حيث كان السيد «ويزلى» يقرأ الصفحة الأولى من جريدة «المتنبئ اليومى» والسيدة «ويزلى» تـخبر «هيرمـيـون» و«جـيـنـى» عن «وصفـة حب» تـعلمتـهـا فى صغرها، وكان الثلاثة يضحكن فى سعادة.

عندما جلسوا، سأل «رون» «هـارى»: «ماذا كنت تقول؟».

فتمتم «هـارى» عندما لمح «بيرسى» يدخل المكان: «فيما بعد»، ولم يجد «هـارى» فرصة ليتحدث مع «رون» و«هيرميون» وسط جلبة مغادرتهم المكان، فقد كان الجميع مشغولين فى حزم أمتعتهم وحملها إلى الطابق الأرضى فى «المرجل الراشح»

ومعهم «هيدويج» و«هيرميس» بومة «بيرسى» دائمة الصياح وبجوار القفصين كانت هناك سلة بها مجموعة صناديق كان يصدر من أحدها صوت مرتفع، عندها قالت «هيرميون»: «حسنًا، يا «كروكشانكس» سأطلق سراحك فى القطار».

فصاح «رون»: «لا.. وماذا عن «سكابرز» المسكين؟».

ثم أشار إلى صدره المنتفخ الذى يؤكد أن «سكابرز» بالداخل؟ كان السيد «ويزلى» بالخارج فى انتظار سيارات الوزارة حتى قال: لقد وصلوا.. تقدم يا «هارى»!

قاد السيد «ويزلى» «هارى» عبر الرصيف القصير نحو السيارة الأولى ذات الطراز العتيق واللون الأخضر، وقال وهو ينظر لبداية ونهاية الطريق:

«هيا اركب يا «هارى»»، فصعد «هارى» للسيارة وتبعه «بيرسى» و«رون» و«هيرميون»».

كانت الرحلة إلى «كينجز كروس» بلا أحداث، مقارنة برحلة «هارى» فى «حافلة الفارس»، وكانت سيارات وزارة السحر تبدو عادية إلا أنها كانت تنزلق عبر فتحات صغيرة لا تستطيع سيارة عمل العم «فيرنون» الجديدة أن تنزلق منها! وصلوا إلى محطة «كينجز كروس» قبل موعد قيام القطار بعشرين دقيقة وأحضر لهم قائدا السيارتين عربات صغيرة؛ لحمل أمتعتهم، ثم قاموا بتحية السيد «ويزلى» قبل أن يبتعدوا، فقال وهو ينظر حوله: «حسنًا إذن.. فلنفعل ذلك اثنين.. اثنين ما دام عددنا كبيرًا وسأذهب أنا و«هارى» أولاً».

وراح السيد «ويزلى» يتجاوز الحواجز بين الرصيفين (٩) و(١٠) وهو يدفع حامل حقائب «هارى»، بينما كان شديد الاهتمام بالقطار رقم ٤، الذى وصل لتوّه إلى رصيف رقم (٩) ونظر السيد «ويزلى» إلى «هارى» نظرة ذات معنى، ثم اتجه خلف أحد الحواجز فقلده «هارى»، وفى الدقيقة التالية كانوا قد وصلوا إلى الحاجز المعدنى على الرصيف رقم (٩) وثلاثة أرباع، ثم بدءوا البحث عن قطار «هوجوورتس» إكسبريس بمحركه البخارى الذى ينفث الدخان فوق الرصيف الملىء بالسحرة والساحرات وهم يودعون أطفالهم أثناء ركوب القطار.

وفجأة، ظهر كل من «بيرسى» و«جينى» خلف «هارى» وهما يلهثان، ثم قال «بيرسى» وهو يصفف شعره: «آه.. ها هى «بينلوب!»».

ولاحظت «جينى» عينى «هارى» فاستدارا معًا؛ ليخفيا ضحكتيهما عندما اتجه «بيرسى» إلى فتاة ذات شعر مجعد طويل، وصدره منتفخ؛ لترى شارته اللامعة، وما إن لحق بهم باقى أفراد أسرة «ويزلى» حتى قاد السيد «ويزلى» و«هارى» الجميع لمؤخرة القطار التى بدت خالية، فوضعوا بها أمتعتهم، ثم وضعوا «هيدويج» و«كروكشانكس» فى مكان الحقائب، ثم عادوا ليودعوا السيد والسيدة «ويزلى».

قبلَت السيدة «ويزلى» أبناءها جميعًا وأخيرًا «هيرميون» و«هارى» الذى شعر بحرج، منحته السيدة «ويزلى» عناقًا

إضــافـيًــا قـبـل أن تـقـول: سـتـحـترس لـنـفسك.. ألـيس كـذلك يــا «هـارى»؟!

ثم فتحت حقيبتها وقالت: «لقد صنعت لكم جميعًا شطائر، ها هى.. يا «رون» .. لا .. لا يوجد لحم بقرى.. «فريد»، أنت «فريد»؟ خذ يا عزيزى».

ثم قال السيد «ويزلى» بهدوء: ««هارى».. تعالَ إلى هنا دقيقة، تبعه «هارى» ليترك الآخرين وهم يتزاحمون حول السيدة «ويزلى»».

قال السيد «ويزلى»: ««هارى».. هناك شىء يجب أن أخبرك به قبل أن تذهب..».

قال «هارى»: «كل شىء على ما يرام، فأنا أعرف كل شىء!».

فوجئ السيد «ويزلى»، فقال: «تعرف؟ كيف عرفت؟!».

أضاف «هارى» بسرعة: «لقد... لقد سمعتكما أنت والسيدة «ويزلى» أثناء حديثكما ليلة أمس.. أنا آسف».

فقال السيد «ويزلى»: «ليست هذه هى الطريقة التى كنت سأختارها لإخبارك يا «هارى»».

قال «هارى»: «لا يا سيدى.. لا تقلق، كل شىء على ما يرام وبهذه الطريقة، فأنت لم تقطع عهدك مع «فودج»، وأنا أعرف ما يحدث».

أجاب السيد «ويزلى»: «ولكن يا «هارى» لابد أنك فى غاية الخوف».

فأجاب «هاري» بقوة: «لا»، ثم أضاف ـ لأنه رأى أن السيد «ويزلي» غير مصدق ـ: «حقيقة.. أنا أحاول أن أكون بطلاً»! ولكن «سيريوس بلاك» لن يكون في مثل خطورة «فولدمورت».. أليس كذلك؟!».

ارتجف السيد «ويزلي» عند سماع الاسم، ثم قال:

««هاري».. أنا أعرف أنك أقوى مما كان يظن «فودج»، وأنا بالفعل سعيد؛ لأنك غير خائف».

صاحت السيدة «ويزلي» التي كانت توزع ما بقي معها من شطائر على القطار: ««آرثر».. ماذا تفعل؟ يجب أن تذهب، فالقطار على وشك التحرك!».

فقال السيد «ويزلي»: أنا قادم يا «مولي».

ولكنه استدار نحو «هاري»؛ ليتحدث بصوت أكثر انخفاضًا وأكثر عجلة: «اسمع.. أريد أن تعدني...».

قاطعه «هاري»: «بأن أكون فتى طيبًا، وأن أبقى في الحصن».

قال السيد «ويزلي» وقد بدت الجدية على وجهه كما لم يره «هاري» من قبل: «لا، في الحقيقة.. أقسم أمامي أنك لن تذهب للبحث عن «بلاك»».

حدق «هاري» في وجهه مندهشًا وقال: «ماذا؟».

كانت هناك جلبة كبيرة؛ حيث كان الحراس يمشون على طول القطار لغلق الأبواب، فعاد السيد «ويزلي» يقول بسرعة أكبر: «عدني يا «هاري» أنه مهما حدث...».

قاطعه «هارى» متسائلاً: «ولماذا أبحث عن شخص يريد قتلى؟».

عاد السيد «ويزلى» يقول: «أقسم أنه مهما سمعت فلن...».

قاطعه صوت زوجته: «آرثر»، أسرع.

راح البخار يتصاعد من القطار وقد بدأ يتحرك، فانطلق «هارى» نحو باب العربة الذى فتحه «رون» وظل خلفه؛ حتى يتسنى لـ«هارى» الدخول، ثم مالا معًا خارج النافذة وهما يلوحان للسيد والسيدة «ويزلى» حتى تحول القطار وابتعد عن الرؤية.. تمتم «هارى» لـ«رون» و«هيرميون» عندما ازدادت سرعة القطار: «أريد محادثتكما وحدنا».

فقال «رون»: «اذهبى بعيدًا يا «جينى»».

فقالت «جينى» فى تأفف وهى تغادر المكان: «حسنًا.. يا له من أمر طيب!».

راح الثلاثى «هارى» و«هيرميون» و«رون» يبحثون عن قسم أو مكان خال ولكنهم لم يجدوا إلا فى نهاية القطار.

كان بالقسم راكب واحد يجلس نائمًا بجوار النافذة، لقد كان قطار «هوجوورتس» يقل التلاميذ فقط ولم يسبق لهم رؤية شخص بالغ بالقطار من قبل، فيما عدا الساحرة التى تبيع لهم الأطعمة، كان هذا الشخص الغريب يرتدى مجموعة كاملة من ملابس السحرة وكان يبدو مرهقًا، وبالرغم من صغر سنّه النسبى فإن شعره البنى كان يشوبه بعض الشيب.

همس «رون» عندما جلسوا وأغلقوا الباب: «تُرَى، من هو؟».

همست «هيرميون» وهى تشير إلى الحقيبة التى على الرف، الموجودة أعلى رأس الرجل: «إن اسمه مكتوب على حقيبته».

وبالفعل، فقد كان اسم الأستاذ «ر.ج.لوبين» مطبوعًا على أحد أركان الحقيبة.

فقال «رون» محملقًا فى الأستاذ: «تُرَى، ماذا سيدرّس؟».

همست «هيرميون»: «إنه أمر واضح.. فهناك احتمال واحد.. الدفاع ضد السحر الأسود..

فقد كان هناك مدرسان لهذه المادة وكل منهما استمر فى العمل لعام واحد فقط، وهناك شائعات تقول إنها وظيفة تجلب النحس».

فقال «رون» فى شك: «حسنًا.. أتمنى أن يكون أهلاً لذلك، فيبدو أنه لن يحتمل تعويذة واحدة.. أليس كذلك؟»، ثم استدار نحو «هارى» قائلاً: «على أى حال، ما الذى تريد أن تخبرنا به؟».

شرح «هارى» كل ما حدث بين السيد والسيدة «ويزلى» وتحذير السيد «ويزلى» له وما إن أنهى حديثه حتى بدا «رون» كما لو أن البرق قد أصابه، و«هيرميون» تضع يديها فوق فمها، وأخيرًا قالت: «سيريوس بلاك» هرب من أجلك، يجب أن تكون فى شدة الحرص يا «هارى» وألا تبحث عن المشاكل.

قال «هارى» معترضًا: «أنا لا أبحث عن المشاكل، ولكن العكس هو الصحيح».

فقال «رون»: «كيف يمكن أن يذهب «هارى» للبحث عن شخص يريد أن يقتله؟».

لقد تلقيا الخبر أكثر مما توقع «هارى»، كانا خائفين من «بلاك» أكثر من «هارى» نفسه.

حتى قال «رون»: «لا أحد يعرف كيف هرب من «أزكابان»، فلم يستطع أحد أن يفعل ذلك من قبل، كما توجد على السجن حراسة مشددة».

فقالت «هيرميون»: «ولكنهم سيقبضون عليه.. أليس كذلك؟ لقد جعلوا حتى العامة يبحثون عنه».

قال «رون» فجأة: «ما هذا الصوت؟».

كان صوت صافرة ضعيف يأتى من مكان ما، فنظروا حولهم، ثم قال «رون»: «إن الصوت قادم من صندوقك يا «هارى»».

بعد لحظة، مد يده لرف الأمتعة، ثم جذب جهاز التجسس من بين ملابس «هارى»، كان يدور بسرعة شديدة فى كف «رون» ويضىء بقوة، فقالت «هيرميون» بفضول: «هل هذا جهاز تجسس؟».

قال «رون»: «نعم، إنه رخيص جداً.. لقد كان يصدر نفس الإشارات عندما كنت أربطه فى قدم «إيرول» لأرسله إلى «هارى»».

تساءلت «هيرميون»: «هل كنت تدبر مكيدة ما؟».

قال: «لا.. لم يكن من المسموح لى أن أستخدم «إيرول»، فهى غير معدة للرحلات الطويلة.. ولكن، كيف كنت سأرسل لـ«هارى» هدية عيد ميلاده؟».

قال «هارى» مشيرًا للأستاذ «لوبين»: «ضعه فى الصندوق وإلا فسيوقظه».

وبالفعل، أعاد «رون» جهاز التجسس إلى داخل زوج من جوارب العم «فيرنون» القديمة؛ مما كتم الصوت قبل أن يغلق الصندوق.

فقال «رون»: «يمكننا أن نفحصه فى «هوجسميد».. «چورچ» و«فريد» أخبرانى أنهم يبيعون أدوات السحر فى «ديرفيش بانجز».

تساءلت «هيرميون»: «هل تعرف الكثير عن «هوجسميد»؟ لقد قرأت أنها البلدة الوحيدة الخالية من العامة فى بريطانيا..».

قال «رون» كما لو كان يريد أن ينهى هذا الموضوع: «نعم، أظن أنها كذلك، ولكن ليس هذا هو السبب الذى يجعلنى أريد الذهاب إليها، إننى فقط أريد الدخول إلى ... إلى ...».

تساءلت «هيرميون»: «إلى أين؟».

قال «رون» وقد بدت فى عينيه نظرة حالمة: «إنه محل حلوى، فهناك يوجد كل شىء: شيكولاتة بالفراولة وكريمة متجمدة، وأقلام سكر يمكنك لعقها فى الفصل وكل ما سيبدو عليك هو أنك تفكرين فيما ستكتبين بعد ذلك!».

تساءلت «هيرميون» بشغف: «ولكن «هوجسميد» مكان مثير.. أليس كذلك؟ يقول موقع السحر التاريخى: إن المطعم كان مركزًا لتجمع ثوار جوبلن فى ١٦١٢، وكذلك فإن مبنى «شيريكنج شاك» هو أكثر المبانى خطورة فى بريطانيا».

تابع «رون» الذى بدا أنه لم يسمع كلمة واحدة مما تقوله «هيرميون»: وكرات حلوى عملاقة تجعلك ترتفع عن الأرض أثناء تناولها.. استدارت «هيرميون» نحو «هارى» متسائلة: «أليس أمرًا طيبًا أن تخرج بعض الوقت من المدرسة؛ لاستكشاف «هوجسميد؟»».

أجاب «هارى»: «أظن ذلك.. عليك أن تخبرينى عند ذهابك».

تساءل «رون»: «ماذا تعنى؟».

أجاب «هارى»: «أنا لن أستطيع الذهاب؛ لأن آل «درسلى» لم يوقعوا لى التصريح، كما رفض «فودج» ذلك أيضًا».

بدا الفزع على وجه «رون»، ثم قال: «لن تأتى؟! ولكن، مستحيل ستقوم «ماكجونجال» أو أى أحد بمنحك التصريح».

ضحك «هارى»، فقد كانت الأستاذة «ماكجونجال» شديدة الصرامة.

فعاد «رون» يتابع: «أو ربما نطلب من «فريد» و«چورچ»، فهما يعرفان كل الممرات السرية إلى خارج القلعة...».

قاطعته «هيرميون» بحدة: «رون»، لا تقل إن «هارى» يجب أن يتسلل خارج المدرسة، بينما «بلاك» طليقًا..».

فقال «هارى» بحرارة: «نعم.. أظن أن هذا هو ما ستقوله «ماكجونجال» عندما أطلب منها هذا التصريح».

قال «رون» لها: «ولكن إذا كنا معه فلن يجرؤ «بلاك» على...».

قاطعته «هيرميون»: «رون»، لا تقل مثل هذه السخافات، لقد

قتل «بلاك» مجموعة كاملة من الأبرياء وسط شارع مزدحم.. فهل تظن أنه سيتورع عن مهاجمة «هارى» لمجرد أننا بصحبته؟».

كانت «هيرميون» تعبث بأقفال سلة «كروكشانكس» وهى تتحدث، فقال «رون»: «لا تدعى هذا الشىء يخرج».

ولكنه تكلم متأخرًا جدًّا، فقد خرج «كروكشانكس» بالفعل من السلة ليتثاءب وينطلق نحو ركبتى «رون» متجهًا إلى الفأر الذى فى جيبه، الأمر الذى دفع «رون» لإبعاد «كروكشانكس» بغضب قائلاً: «ابتعد».

فصاحت «هيرميون» بغضب أيضًا: «لا.. لا.. يا «رون»».

وكان «رون» على وشك الرد، حينما تحرك الأستاذ «لوبين» نظروا إليه ولكنه أدار وجهه إلى الجانب الآخر، وفمه نصف مفتوح، واستمر فى النوم.

وكان قطار «هوجوورتس» يتحرك بثبات نحو الشمال والجو بالخارج قد ازداد وَحْشة وظلامًا، بينما ازدادت كثافة السحب والركاب يتحركون مرورًا بحجراتهم وقد احتل «كروكشانكس» مقعدًا خاليًا ووجهه يستدير نحو «رون» بين حين وآخر، وعيناه معلقتان بجيبه العلوى.. وفى الساعة الواحدة، وصلت العجوز حاملة الأطعمة والمشروبات إلى باب حجرتهم، فتساءل «رون» مشيرًا إلى الأستاذ «لوبين»: «هل تظنان أن علينا أن نوقظه؟ إنه يبدو كما لو كان بحاجة لبعض الطعام».

اقتربت «هيرميون» من الأستاذ «لوبين» بحذر، ثم قالت:

«أستاذ، معذرة يا أستاذ!» ولكنه لم يتحرك، فقالت العجوز وهى تقدم بعض الكعك لـ «هارى»: «لا تقلقى يا عزيزتى.. فلو شعر بالجوع عند استيقاظه، فسأكون فى مقدمة القطار مع السائق».

فقال «رون» بهدوء عندما خرجت العجوز: «أظن أنه نائم، أعنى.. أنه لم يمت.. أليس كذلك؟».

همست «هيرميون» وهى تتناول الكعكة التى يقدمها لها «هارى»: «لا.. لا.. إنه يتنفس». ربما لم تكن صحبة طيبة ولكن وجود الأستاذ «لوبين» بينهم كان له فوائد.. وفى منتصف الظهيرة، بدأت السماء تمطر وسمعوا وقْع أقدام بالممر مرة أخرى؛ كان لثلاثة أشخاص غير مرغوب فيهم عند الباب وهم: «دراكو مالفوى» ومعه «فنسنت كراب» و«جريجورى جويل» وكان العداء قد نشب بين «مالفوى» و«هارى» منذ مقابلتهما فى أولى رحلاتهما إلى «هوجوورتس» وكان «مالفوى» ذا وجه شاحب نحيف حاد الملامح، كما أنه لاعب فى موقع الباحث فى فريق «كويدتش سليذرين» أما «كراب» و«جويل» فقد كانا تابعين لـ«مالفوى» وكلاهما ضخم وقوى البنية، ولكن «كراب» كان أطول قامة، ويقص شعره على شكل طبق مقلوب.. أما «جويل»، فقد قال بصوت هادئ: «حسنًا.. انظر من لدينا هنا.. «بوتر» و«ويزلى!».

ضحك كل من «كراب» و«جويل» بصوت مرتفع قبل أن يتابع «مالفوى»: «لقد سمعت أن والدك قد حصل على بعض الذهب هذا الصيف يا «ويزلى».. ماذا فعلت بكم الصدمةُ؟».

اتجه «رون» مسرعًا نحوهم؛ فأوقع سلة «كروكشانكس» على الأرض بصوت مرتفع، تلاه صوت واهن من الأستاذ «لوبين».

ونهض «هارى» حتى يمكنه الإمساك بـ«رون»؛ ليوقف اندفاعه، ثم قال: «إنه معلم جديد.. ماذا كنت تقول يا «مالفوى»؟!».

ضاقت عينا «مالفوى» الشاحبتان، فهو لم يكن بالحماقة التى تجعله يدخل فى عراك مع وجود معلم بالمكان، فغمغم مشيرًا إلى «كراب» و«جويل»: «هيا!»، ثم اختفوا جميعًا.

عاد «هارى» و«رون» إلى مقعديهما مرة أخرى قبل أن يضم «رون» قبضته، ثم يقول: «لن أحتمل أية إساءة من «مالفوى» هذا العام وأنا أعنى ذلك، فلو كرر سخريته من أسرتى فسأمسك برأسه و...».

ثم طوَّح يده فى الهواء، فقالت «هيرميون» وهى تشير إلى الأستاذ «لوبين»: «رون.. احترس»، ولكن الأستاذ «لوبين» كان لايزال نائمًا.

ازدادت غزارة الأمطار مع زيادة سرعة القطار المتجه شمالاً وكانت النوافذ قد بدأ لونها يميل إلى الرمادى، ثم إلى الأسود، فأضيئت المصابيح فى ممرات القطار، وراح صوت هدير محرك القطار يرتفع مع صوت هطول الأمطار وصفير الرياح.. ورغم كل هذا الضجيج، استمر الأستاذ «لوبين» فى نومه.

وقال «رون» وهو يميل بجسده نحو النافذة الداكنة: «لابد أننا قد اقتربنا، وما كاد ينهى كلماته حتى بدأت سرعة القطار

تتناقص، فتابع «رون»: «رائع»، ثم نهض وسار بهدوء خلف الأستاذ «لوبين»؛ ليرى ما بالخارج قائلاً: «إننى أتضوَّر جوعًا وأريد الحصول على وجبة و...».

قاطعته «هيرميون»: «إننا لم نصل بعد .. فلماذا توقفنا؟».

انخفضت سرعة القطار وانخفض صوت محركه ليرتفع صوت الأمطار والرياح التى تضرب النوافذ، فخرج «هارى» الذى كان أقربهم للباب؛ لينظر فى الممر الذى امتلأ برءوس تطل بفضول؛ لتستطلع الأمر حتى توقف القطار وتبع توقفه أصوات ارتطام وفرقعة، عرف الجميع بعدها أن حقائبهم قد سقطت من أماكنها بسبب توقف القطار المفاجئ، ثم انطفأت جميع المصابيح فغرق القطار فى ظلام دامس، تساءل «رون» من خلف «هارى»: «ماذا يحدث؟».

لهثت «هيرميون» قائلة: «رون.. إنها قدمى»، وتحسس «هارى» الطريق حتى عاد إلى مقعده وهو يتساءل فى نفسه: «هل تعطل القطار؟!».

وبدأ فى المكان صوت ضعيف، فرأى «هارى» ظل «رون» وهو يرفع ستار النافذة وينظر إلى الخارج قبل أن يقول: «هناك شىء يتحرك بالخارج، يبدو أن هناك من يصعد إلى القطار».

وفجأة، انفتح باب الحجرة ودخل أحدهم ليدهس قدم «هارى» قبل أن ينبعث صوت «نيفيل» متسائلاً: «آسف.. هل تعرفون ما الذى يحدث؟».

قال «هارى» وهو يمد ذراعيه أمامه ويجذب «نيفيل» قائلاً: «مرحبًا «نيفيل».. وتساءل «نيفيل» مرة أخرى: «هارى»؟ أهو أنت؟ ما الذى يحدث؟».

أجابه «هارى»: «لست أدرى.. فلتجلس».

وكان هناك صوت همس يوحى بوجود أحدهم يتألم، وهنا عرف «نيفيل» أنه حاول الجلوس فوق «كروكشانكس».

فقالت «هيرميون»: «سأذهب لسؤال السائق عما يحدث».

وشعر بها «هارى» تمر بجانبه، ثم صوت الباب يفتح، ثم صوت ارتطام وصيحات ألم:

– مَنْ هذا؟

– مَنْ هذا؟

– «جينى»؟

– «هيرميون»؟

– ماذا تفعلين؟

– أبحث عن «رون».

– ادخلى لتجلسى.

فقال «هارى» سريعًا: «ليس هنا.. فأنا أجلس هنا».

ثم صاح «نيفيل» فى ألم: «آآه».

وهنا ظهر صوت مبحوح يقول: «هدوء!».

ويبدو أن الأستاذ «لوبين» قد استيقظ أخيرًا واستطاع «هارى» أن يسمع صوت حركته، فلم يتكلم أحدهم وكانت هناك أصوات

منخفضة، ثم ضوء مهتز، ظهر بعده الأستاذ «لوبين» ويده قد اشتعلت لتضيء المكان فتطلعوا لوجهه الشاحب المجهد، فى حين بدت عيناه يقظتين قبل أن يقول بصوته المبحوح: «ابقوا فى أماكنكم»، ثم نهض وقبل أن يصل إلى الباب بقامته الطويلة وعباءته، اتجهت عينا «هارى» إلى شخص فتح الباب وجعله يرتعد، فقد رأى يدًا رمادية باردة تمتد من أسفل عباءة لامعة لتبدو هذه اليد مع نحافتها كشيء ميت تحلَّل فى الماء.

رأى هذه اليد لمجرد ثانية واحدة وأحس هذا المخلوق الموجود أسفل العباءة بنظرة «هارى» إلى يده؛ فأخفاها سريعًا قبل أن يصدر عنه صوت تنفس متقطع، كما لو كان يحاول شفط كل الهواء الذى يحيط به، حتى ساد المكان جو من التوتر، وكتم «هارى» أنفاسه وهو يشعر ببرودة شديدة تسللت إلى أعماقه وإلى داخل صدره وقلبه، ورفع «هارى» عينيه نحو رأس ذلك الشيء، ولكنه لم يستطع الرؤية، لقد كان البرد يحيط به، وكان هناك طنين فى أذنيه، وشعر بالصوت يرتفع.. ومن بعيد، سمع صوت صرخات مرعبة، وعندما حاول تحريك ذراعيه لم يستطع.. كان هناك ضباب أبيض يحيط به، بل ويجرفه، و...

شعر «هارى» بمن يربت على وجهه: «هارى.. هارى.. هل أنت بخير؟».

غمغم «هارى»: «م... ماذا؟».

ثم فتح «هارى» عينيه ليجد المصابيح مضيئة فوقه، والأرض

تهتز ومن تحته قطار «هوجوورتس» يتحرك مرة أخرى، ووجد «رون» و«هيرميون» إلى جواره وبجانبهما كل من «نيفيل» والأستاذ «لوبين» ورغم شعوره بالغثيان، رفع يده ليُعَدِّل من وضع نظارته فوجد عرقًا كثيفًا يغرق وجهه، فساعداه على العودة إلى مقعده قبل أن يتساءل «رون» بعصبية: «هل أنت بخير؟».

أجاب «هارى» وهو ينظر نحو الباب؛ ليرى ذلك المخلوق وقد اختفى: نعم.. ماذا حدث؟ وأين هذا الشيء الذى كان يصرخ؟ أجاب «رون» وقد ازداد عصبية: «لم يصرخ أحد!».

فنظر «هارى» حوله ليجد كلاً من «نيفيل» و«جينى» يحملقان فيه وقد شحب وجهاهما.

فعاد يقول: «لقد سمعت صراخًا و...».

انبعث صوت حاد جعلهم جميعًا يقفزون.. تقدم الأستاذ «لوبين» نحوهم وهو ممسك بقالب شيكولاتة قدم منه قطعة إلى «هارى» قائلاً: «هيا.. تناول هذه، ستساعدك»، فأمسك «هارى» بقطعة الشيكولاتة ولكنه لم يأكلها، فعاد «هارى» يتساءل: «ماذا كان ذلك؟» أجاب الأستاذ «لوبين» الذى راح يوزع الشيكولاتة على الجميع: «إنه أحد حراس «أزكابان»!».

نظر له الجميع، فأعاد غلاف الشيكولاتة إلى جيبه، ثم عاد يكرر: «هيا كُلْها فستساعدك، وأنا سأذهب للحديث مع السائق.. معذرة».

ومرَّ من خلف «هاری»، ثم اختفى فى الممر، فتساءلت «هيرميون» وهى تنظر نحو «هارى» بقلق: «أواثق من أنك بخير يا «هارى»؟».

تساءل «هارى» وهو يمسح المزيد من العرق المتصبب على جبهته: «أنا مازلت لا أفهم ما الذى حدث؟!».

أجابت: «حسنًا.. هذا الشيء أو... الحارس وقف هناك ونظر حوله، أعنى: أظن أنه قد فعل ذلك، فأنا لم أر وجهه وأنت... وأنت...».

أكمل «رون» الذى كان الخوف لا يزال باديًا عليه: «لقد كنت أظن أنك تحاول تدريب عضلاتك، فقد تركت مقعدك وبدأت تتلوَّى».

ثم قالت «هيرميون»: وقام الأستاذ «لوبين» نحو الحارس وهو يحمل عصاه السحرية ثم قال له: «لا أحد منا يخفى «سيريوس بلاك» أسفل عباءته.. هيا اذهب».

ولكن الحارس لم يتحرك، فغمغم «لوبين» بشيء ما، ثم انطلق مبتعدًا..

تابع «نيفيل» بصوت أعلى من المعتاد: «لقد كان مخيفًا، هل شعرت بهذه البرودة الشديدة التى أحاطت بنا عندما دخل هنا؟».

قال «رون» وهو يحرك كتفيه: «لقد شعرت بشعور غريب، وكأننى لن أشعر بالفرحة مرة أخرى..».

أما «جينى» التى انزوت فى الركن، فقد بدا عليها أنها تشعر بما

يشعر به «هارى»، كانت ترتعد رعدة قصيرة، فذهبت «هيرميون» لتضع ذراعيها فوق كتفيها بحنان، ثم عاد «هارى» يتساءل: «ولكن، ألم يسقط أحدكم من فوق مقعده؟».

أجاب «رون»: «لا.. لقد كانت «جينى» ترتعد كما لو كان قد مسها الجنون رغم...».

ولم يفهم «هارى»، فقد كان يشعر بوهن ورعشة كما لو كان فى طور نقاهة بعد نزلة برد قوية، كذلك فقد بدأ يشعر بالحرج، فلماذا أصابه الإعياء ولم يصب به أحد آخر؟».

وعاد الأستاذ «لوبين» ليقف على الباب وينظر حوله قبل أن يقول بابتسامة صغيرة: «إننى لم أضع سُمًّا فى الشيكولاتة، فلماذا لا تأكلونها؟».

وفوجئ «هارى» بالدفء يسرى فجأة فى أنامله قبل أن يقول الأستاذ «لوبين»: «سنصل «هوجوورتس» بعد عشر دقائق.. هل أنت بخير يا «هارى»؟».

ولم يسأل «هارى» الأستاذ «لوبين» كيف عرف اسمه، وإنما تمتم قائلاً: «بخير!».

وساد الصمت طوال الوقت المتبقى من الرحلة حتى توقف القطار أخيرًا فى محطة «هوجوورتس» وبدأت جلبة كبيرة: بوم يصيح، وقطط تموء، وحيوان «نيفيل» الأليف يتحرك أسفل قبعته، وكان الجو شديد البرودة بالخارج، ثم صاح صوت مألوف: «السنة الأولى من هنا!»، واستدار الثلاثى «هارى» و«رون» و«هيرميون»

ليروا ظل «هاجريد» العملاق عند طرف الرصيف، يرشد التلاميذ الجدد الذين يبدو عليهم الخوف من رحلتهم التقليدية عبر البحيرة، حتى صاح «هاجريد»: «هل أنتم الثلاثة بخير؟».

فلوَّحوا له دون أن يحصلوا على فرصة للحديث معه، فقد منعهم الزحام الشديد من ذلك، وتبع الثلاثة بقية المدرسة إلى الخارج ليجدوا طريقًا موحلاً وعلى الأقل مائة مدرب فى انتظار باقى التلاميذ.

صعد الجميع إلى عربة يقودها أحد المدربين، ويجرها فرس غير مرئى، وعندما أغلقوا الأبواب وجدوا أن رائحة القش تفوح من المدرب، وشعر «هارى» يتحسن بعد تناول الشيكولاتة، ولكنه كان لا يزال يشعر بالضعف فى حين ظل كل من «رون» و«هيرميون» يرمقانه بنظرات جانبية، ومرت العربة عبر بوابة رائعة ذات عمودين حجريين، فرأى «هارى» أحد هؤلاء الحراس بجانب البوابة فسرت فى جسمه موجة من البرد والغثيان، فعاد برأسه ليسنده إلى هذا المقعد الوثير حتى عبروا هذه البوابة، ثم أسرعت العربة حتى وصلت إلى القلعة، وكانت «هيرميون» تنظر من النافذة الصغيرة؛ لتشاهد الأبراج والنوافذ المميزة للقلعة وهى تقترب حتى توقفت العربة أخيرًا، فهبط كل من «رون» و«هيرميون» ثم تبعهما «هارى» الذى سمع صوتًا مملوءًا بالسخرية يقول: «هل فقدت وعيك يا «هارى»؟ هل ما أخبرنى به «لونج بوتوم» كان حقيقيًا؟ هل فقدت وعيك بالفعل؟».

وهنا ظهر «مالفوى» من خلف «هيرميون» وسد الطريق أمام «هارى» ومنعه من التقدم نحو القلعة وقد شحب وجهه وبرقت عيناه فى تهديد، فقال «رون» وهو يتحرك من خلف «هيرميون»: «ابتعد يا «مالفوى»!».

فقال «مالفوى» بصوت مرتفع: «هل فقدت وعيك أنت أيضًا يا «ويزلى»؟».

هل أثار هذا الحارس العجوز فزعك أنت أيضًا؟

ثم انبعث صوت رزين من خلفهم: «هل هناك مشكلة؟».

كان الصوت صوت الأستاذ «لوبين» الذى غادر عربته لتوّه ونظر إلى «مالفوى» نظرة متغطرسة مرت على عباءته وحقيبته الكبيرة قبل أن يرد «مالفوى» بارتباك: «لا .. لا شىء يا أستاذ»، ثم ابتعد مع كل من «كراب» و«جويل» متوجهين إلى السلم المؤدِّى إلى داخل القلعة.

هنا دفعت «هيرميون» «رون» فى ظهره؛ حتى يسرع ويلحقوا بالتلاميذ الذين يصعدون إلى القلعة، وعبر الباب الأمامى العملاق دخلوا إلى بهو الدخول الذى كان مضاء بالمشاعل، وأمامهم وجدوا سلمًا لامعًا يؤدى للطوابق العليا، وعلى اليمين كان الباب المؤدى للبهو العظيم مفتوحًا، فتبع «هارى» التلاميذ دون أن يرى السماء الملبدة بالغيوم التى ظهرت من خلال سقف البهو، ثم سمع صوتًا يصيح: ««بوتر».. «جرانجر».. أريد رؤيتكما».

وعندما استدار «هارى» مع «هيرميون» وجدا الأستاذة

«ماكجونجال» معلمة التحول ورئيسة منزل «جريفندور»، وسار «هارى» حتى وصل إليها، وقد بدا عليها ما أوحَى لـ«هارى» بأنه قد ارتكب خطأ ما، ثم قالت: «لا داعى للقلق.. أنا أريدكما فى مكتبى قليلاً».

ورآهما «رون» وهما يسيران معها وسط الزحام عبر بهو الدخول، ثم إلى السلم وعبر الممر الطويل المؤدى لمكتبها.

وما إن دخلا إلى المكتب الذى كان حجرة صغيرة بها مدفأة كبيرة حتى أشارت لهما الأستاذة «ماكجونجال» بالجلوس، ثم جلست هى خلف مكتبها قائلة: «لقد أرسل لى الأستاذ «لوبين» برسالة تقول إنك قد أصبت بالإعياء أثناء ركوبك القطار»، وقبل أن يستطيع «هارى» الإجابة سمع طرقًا رقيقًا على الباب، تلاه دخول مدام «بومفرى» التى اقتربت من «هارى» ودفعت شعره للخلف، ثم تحسست جبهته قائلة: «لقد انتشر هؤلاء الحراس حول المدرسة ولن يكون «هارى» آخر من سيتعرض لذلك بسبب مواجهته لهم، فتأثيرهم على مثل هؤلاء المرفهين...».

قاطعها «هارى» قائلاً: «أنا لست مرفّهًا».

فقالت مدام «بومفرى» وهى تفحص نبضه: «لا.. بالطبع».

وهنا تساءلت الأستاذة «ماكجونجال»: «ما الذى يحتاجه؟ هل هو فى حاجة إلى راحة بالفراش؟ أم ربما يجب عليه أن يقضى الليلة فى المستشفى؟».

فقفز «هارى» من مقعده صائحًا: «أنا بخير».

لقد كانت الفكرة التى تراوده عما سيقوله «مالفوى» إذا عرف أنه قد ذهب للمستشفى فكرة مزعجة.. وأخيرًا، قالت مدام «بومفرى»: «حسنًا.. على الأقل سيتناول بعض الشيكولاتة»، ثم مالت نحوه؛ لتفحص عينيه، فقال: «لقد تناولت البعض بالفعل، فقد أعطانى الأستاذ «لوبين» بعض الشيكولاتة كما أعطانا جميعًا».

تساءلت مدام «بومفرى»: «حقًا؟ إذن، فقد أصبح لدينا أخيرًا معلم لمادة الدفاع ضد السحر الأسود».

وهنا عادت الأستاذة «ماكجونجال» تقول بحدة: «هل أنت واثق أنك بخير يا «بوتر»؟».

أجاب «هارى»: «نعم».

قالت: «رائع.. من فضلك انتظر بالخارج قليلاً؛ حتى أتكلم مع الآنسة «جرانجر» بخصوص جدولها، ثم سنهبط لنتناول الطعام معًا».

خرج «هارى» من المكتب إلى الممر مع مدام «بومفرى» التى تركته وتوجهت للمستشفى وهى تغمغم بكلمات غير مسموعة.

انتظر «هارى» بضع دقائق قبل أن تخرج «هيرميون» وقد بدت عليها السعادة، وخلفها الأستاذة «ماكجونجال» فاتخذ ثلاثتهم الطريق نحو البهو العظيم، وهناك كان ما يشبه بحرًا يموج بالقبعات السوداء المدببة، واصطفت المناضد وعلى جانبيها التلاميذ الذين تضىء وجوهَهم آلاف من الشموع الطائرة فى

المكان، وكان الأستاذ «فليتويك» ذلك الساحر صغير الحجم، ذو الشعر الأبيض يحمل قبعة قديمة ومقعدًا صغيرًا ذا ثلاث أرجل إلى خارج البهو، فقالت «هيرميون»: «أوه.. لقد فاتتنا مراسم التنسيق»، فقد كان تلاميذ «هوجوورتس» يوزعون عن طريق قبعة التنسيق ليتوجهوا نحو أحد أربعة منازل إما «جريفندور» أو «رافنكلو» أو «هافلباف» أو «سليذرين».

اتجهت الأستاذة «ماكجونجال» نحو مقعدها على منضدة هيئة التدريس، فى حين اتجه كل من «هارى» و«هيرميون» للناحية المقابلة ليجلسا على مائدة «جريفندور» بهدوء شديد، والناس ينظرون إليهما أثناء ذلك، والبعض يشير نحو «هارى» الذى تساءل فى نفسه: «تُرَى، هل انتشرت قصته مع هذا الحارس بهذه السرعة؟». وجلس كلاهما فى مواجهة «رون» الذى حجز لهما مقعدين، فتمتم سائلاً «هارى»: «ما الأمر؟»، وشرع «هارى» فى تفسير الأمر.. لكن فى نفس اللحظة، وقف مدير المدرسة ليتكلم فتوقف «هارى» عن كلامه، ورغم كبر سن الأستاذ «دمبلدور»؛ فقد كان يعطيك دائمًا ذلك الانطباع بالقوة والطاقة العظيمة، وكان أكثر ما يميزه هو ذلك الشعر الفضى الطويل، واللحية والنظارة نصف المستديرة، والأنف المعقوف وكان غالبًا ما يوصف بأنه أعظم ساحرى العصر، ولكن لم يكن هذا فقط هو سبب احترام «هارى» له، فأنت لا تستطيع إلا أن تثق فى «إلبوس دمبلدور» وما إن رآه «هارى» يطوف حول

التلاميذ حتى شعر بالهدوء للمرة الأولى منذ دخل عليه هذا الحارس فى القطار.

وبدأ «دمبلدور» كلامه ولحيته البيضاء تعكس ضوء إحدى الشموع: «مرحبًا بكم فى عام دراسى جديد فى «هوجوورتس»، ولدىَّ بعض الأشياء التى أرغب فى أن أخبركم بها، وأجدها فى غاية الجدية، وأفضل أن أتكلم عنها قبل البدء فى هذه الوليمة الكبيرة»، ثم ازدرد لعابه وتابع: «... وكما علمتم جميعًا من خلال وجودهم معكم بالقطار، فإن مدرستنا تستضيف بعض حراس «أزكابان» الذين يقومون ببعض الأعمال لصالح وزارة السحر»، ثم توقف قليلاً فتذكر «هارى» ما قاله السيد «ويزلى» عن أن «دمبلدور» لم يكن سعيدًا لوجود هؤلاء الحراس.. ثم عاد «دمبلدور» يتابع: «لقد احتشدوا عند كل المداخل وخلال وجودهم معنا يجب أن أوضح أنه لن يغادر أحد المدرسة بلا تصريح، كذلك.. فإن هؤلاء الحراس ليس من السهل خداعهم أو ممارسة أى حيل معهم، حتى وإن كانت استخدام عباءات الإخفاء».

وهنا نظر كل من «هارى» و«رون» و«هيرميون» إلى بعضهم البعض، قبل أن يعود فيتابع: «وليس من طبيعة هؤلاء الحراس قبول الاعتذارات؛ ولهذا، فأنا أحذر الجميع وأرجو ألا تعطوهم الفرصة لإيذائكم، وأنا هنا أوجه حديثى خاصة إلى رؤساء التلاميذ وكل فتى مثالى أو فتاة مثالية بينكم؛ حتى يتأكد كل منهم من عدم ممارسة أى من التلاميذ لأى خطأ».

وزفر «بيرسى» الذى كان يجلس على بُعد عدة مقاعد من «هارى» زفرة قوية، فتوقف «دمبلدور» مرة أخرى ونظر حول القاعة دون أن يتحرك أى أحد أو يصدر أى صوت، فعاد يتابع: «وأنا أسعد بالترحيب باثنين من المدرسين الجدد انضما إلى صفوفنا هذا العام، أولاً: الأستاذ «لوبين» الذى سيتولى تدريس علم «الدفاع ضد السحر الأسود».

انبعث صوت التصفيق فى المكان، وكان هؤلاء الذين رافقوه فى قطار «هوجوورتس» هم أكثر المصفقين، وكان «هارى» من بينهم، فهمس «رون» فى أذنه: «انظر إلى «سناب» وكان الأستاذ «سناب» معلم الوصفات يحملق بشدة فى الأستاذ «لوبين»، فقد كان معروفًا أن «سناب» يريد تدريس مادة الدفاع ضد السحر الأسود، وبعد التصفيق عاد «دمبلدور» يقول: «أما عن الآخر، فأنا آسف لأن أخبركم أن الأستاذ «كتيلبيرن» مدرس العناية بالحيوانات السحرية قد تقاعد فى نهاية العام الماضى؛ حتى يتمكن من الاستمتاع بوقت أطول مع ما تبقى من أطراف جسده. وعلى أى حال، فأنا أفخر بأن أعلن أن «روبياس هاجريد» هو من سيتولى هذه المهمة مع واجب حراسة الملاعب، ونظر كل من «هارى» و«هيرميون» و«رون» لبعضهم البعض قبل أن يشتركوا معًا فى تصفيق كان أقوى ما يكون على منضدة «جريفندور»، ومال «هارى» للأمام؛ ليرى «هاجريد» وقد احمر وجهه واتسعت ابتسامته رغم اختفائها أسفل لحيته الكثيفة السوداء، وزمجر

«رون» وهو يضرب المنضدة: «كان يجب أن نعرف، فمن غيره كان سيقوم بتدريس مثل هذه المادة أو هذا الكتاب المتوحش».

وكانوا هم الثلاثة آخر من توقف عن التصفيق.. وعندما عاود الأستاذ «دمبلدور» حديثه مرة أخرى، رأوا «هاجريد» وهو يمسح دموعه، فتابع «دمبلدور»: «حسنًا.. أشعر أننى قد قلت كل ما لدىَّ، فلتبدأ الوليمة»..

وفجأة، امتلأت الأطباق التى أمامهم بالطعام، كما امتلأت الكئوس بالعصائر. وبدأ «هارى» فتناول كل ما استطاعت يده أن تصل إليه، فقد كانت وليمة رائعة وضج البهو بالحديث والضحك وأصوات السكاكين والشوك، وكان «هارى» و«هيرميون» و«رون» هم الأكثر حرصًا على الانتهاء من الطعام؛ حتى يستطيعوا مقابلة «هاجريد»، فقد كانوا يعرفون ما يعنيه له أن يكون معلمًا، فهو لم يكن ساحرًا كامل التأهيل بسبب تعرضه للفصل فى السنة الثالثة بسبب جريمة لم يرتكبها، ولكن «هارى» و«رون» و«هيرميون» استطاعوا الكشف عن الحقيقة فى العام الماضى.

وأخيرًا وبعد تناول الحلوى، صرح لهم الأستاذ «دمبلدور» بالذهاب إلى النوم، وهنا سنحت لهم الفرصة فأسرعت «هيرميون» نحو مائدة المعلمين صائحة: «تهانئى يا «هاجريد»»، فقال وهو يمسح وجهه: «لقد كان هذا بفضلكم، أنا لا أكاد أصدق، لقد جاءنى هذا الرجل العظيم «دمبلدور» بعد تقاعد «كتيلبيرن» وكان لى ما أردته دائمًا».

وغلبته مشاعره، فدفن وجهه بين كفيه، وعندما رآهم «دمبلدور» انصرفوا جميعًا ليلحقوا بطابور «جريفندور» على السلم وهم يشعرون بتعب شديد أثناء عبورهم المزيد من الممرات حتى وصلوا إلى مدخل برج «جريفندور» لتواجههم صورة لسيدة بدينة ترتدى فستانًا ورديًا قائلة: «كلمة السر!»، وصاح «بيرسى» من وسط الزحام: «أنا قادم.. أنا قادم»، «كلمة السر الجديدة هى «فورتنا ميجور»»، فقال «نيفيل لونج بوتوم»: «أوه.. لا..» لقد كان «نيفيل» يتعرض لمشكلات دومًا؛ بسبب عدم تذكره لكلمة السر، وعبر هذه الصورة دخلوا إلى غرفهم المعتادة وانقسم الصبية والفتيات ليصعد كل فريق منهما باستخدام سلمه الخاص، وصعد معهم «هارى» وهو لا يحمل فى رأسه أية فكرة سوى سعادته بالعودة.. وعندما وصلوا لأماكن نومهم، نظر «هارى» حوله وهو يشعر أنه قد عاد أخيرًا لبيته.

* * *

٦ أوراق الشـــاى

عندما دخل كل من «هـارى» و«رون» و«هيرميون» إلى البهو العظيم لتناول الإفطار فى اليوم التالى، وكان أول من رأوه هو «دراكو مالفوى» الذى بدا كمن يسرد قصة ممتعة على مجموعة من «السليذرين» وعندما مروا بجانبه لوح «مالفوى» بقبضة يده بشكل ساخر، فضحك من حوله، فقالت «هيرميون» التى كانت تسير خلف «هارى» مباشرة: «تجاهله.. فهو لا يستحق أكثر من ذلك»، وصاحت «بانسى باركينسون» إحدى فتيات «السليذرين»: «يا.. «بوتر».. إن الحراس قادمون.. أووه».

وألقى «هارى» بنفسه على أول مقعد قابله على مائدة «جريفندور» بجوار «چورچ ويزلى» الذى قال وهو يمرر لهم ورقة جدول السنة الثالثة الجديد: «ما الأمر يا «هارى»؟». قال «رون» الذى كان يجلس على الجانب الآخر ويرمق مائدة «السليذرين» بنظرة جانبية: «إنه مالفوى». ونظر «چورچ» فى هذا الوقت ليرى «مالفوى» يتظاهر بفقدانه الوعى من الرعب مرة أخرى، ثم قال بهدوء: «لم يكن هذا الصبى الصغير شجاعًا بما يكفى عندما دخل هذا الحارس إلى مؤخرة القطار، لقد جاء يركض إلى جناحنا.. أليس كذلك يا «فريد»؟».

قال «فريد» وهو ينظر نحو «مالفوى» نظرة ذات مغزى: «لقد

كان على وشك أن يبلل نفسه، وهنا عاد «چورچ» يقول: «أنا أيضًا لم أكن سعيدًا بهم.. إنهم أشياء فظيعة هؤلاء الحرس»، تساءل «فريد»: «لقد كادت أوصالك أن تتجمد.. أليس كذلك؟!».

قال «هارى» فى صوت خافت: «إنك لم تتقدم خطوة واحدة للخارج.. أليس كذلك؟».

قال «چورچ» مشجعًا: «انسَ هذا الأمر يا «هارى»، لقد اضطر أبى أن يخرج إلى «أزكابان» ذات مرة، هل تذكر ذلك يا «فريد»؟ وقد أخبرنا أنه كان أسوأ مكان ذهب إليه.. لقد عاد من هناك هزيلاً ومرتعدًا، إنهم خبراء فى امتصاص السعادة من أى مكان ومعظم السجناء هناك يصيبهم الجنون».

وقال «فريد»: «على كل حال سنرى مدى سعادة «مالفوى» بعد أولى مباريات الكويدتش، سيواجه «جريفندور» «سليذرين» فى أولى مباريات الموسم، هل تذكرون؟».

وقد كانت هذه هى المرة الأولى التى يواجه فيها «هارى» «مالفوى» فى مبارة كويدتش بعد أن سقط «مالفوى» فى المبارة الأخيرة، وكافأ «هارى» نفسه بالطماطم المقلية، وكانت «هيرميون» تفحص جدولها الجديد عندما قالت بسعادة: «رائع.. سنبدأ بعض المواد الجديدة اليوم».

فقال «رون» وهو ينظر خلفها: «هيرميون.. لقد عبثوا بجدولك، انظرى لقد وضعوا لك عشر مواد فى اليوم، ولن يكون هناك وقت كافٍ لذلك!».

أجابته: «سأتولى هذا الأمر».

فقال «رون» ضاحكًا: «ولكن انظرى! هذا الصباح فى التاسعة تنبؤ.. وفى التاسعة أيضًا دراسات عامة»، ثم اقترب من الجدول غير مصدق وتابع: «انظرى.. وفى التاسعة أيضًا علوم حساب.. أعرف أنك متفوقة يا «هيرميون»، ولكن لا أحد يستطيع أن يفعل ذلك، كيف يفترض أن تكونى فى ثلاثة فصول فى وقت واحد».

قالت «هيرميون»: «أعطنى المربى..».

قال «رون»: «ولكن..».

قاطعته بحدة: «ما الذى يعنيه أن يكون جدولى مزدحمًا قليلاً يا «رون»، لقد أخبرتك أنى قمت بإعداده مسبقًا مع الأستاذة «ماكجونجال».

وهنا دخل «هاجريد» إلى البهو العظيم مرتديًا معطفًا طويلاً ويحمل حيوانًا صغيرًا بين يديه، ثم قال وهو يتوجه إلى مائدة هيئة التدريس: «هل كل شىء على ما يرام؟» سيكون أول درس لى فى أول سنة دراسية لى أيضًا بعد الغداء مباشرة فى تمام الساعة الخامسة، وعليكم أن تستعدوا وأتمنى أن يكون كل شىء على ما يرام».

وابتسم وهو يغادر المنضدة فى حين لا يزال ممسكًا بذلك الحيوان الصغير، فتساءل «رون» بفضول: «تُرى من الذى يجب عليه أن يستعد؟».

وكـان الـبـهـو قد بدأ يـخـلـو عندمـا بـدأ الجمـيـع يـتـوجـهـون نـحـو الدرس الأول، فراجع «رون» جدوله ثم قـال: «من الأفضل أن نـذهـب، فسـيـكـون أول دروس الـتـنـبـؤ فـى قـمـة البرج الشمـالى، وسيستغرق الأمر نحو عشر دقائق؛ لنصل إلى هنـاك. وانتهوا من إفطارهم سريعًا قبل أن يودعوا «فريد» و«چورچ»، وساروا عبر البهو، وما أن مروا أمـام مـائدة «سليذرين» حتى قـام «مـالفوى» بتكرار نفس ذلك المشهد السخيف، لتعلو الضحكات مرة أخرى، وتتبع «هـارى» حتى مدخل البهو.

وكـانت الرحلة للبرج الشمـالى طويلة، فقد قضوا عـامين فى «هـوجوورتس»، ولكنهم لم يعلموا كل شىء عن القلعة، كما أنه لم يسبق لهم دخول البرج الشمـالى، فقـال «رون» وهـو يصعد السلم السابع لاحقًا: «كان لابد أن يكون هنـاك خريطة». ووجدوا لوحة كـبيرة لأعشـاب خضـراء مـعـلـقـة عـلـى الحـائط الحـجرى. فقـالت «هيرميون» وهى تنظر نحو الممر الخالى على اليمين: «أظن أن هذا هو الطريق».

فقـال «رون»: «لا يمكن فـهذا هـو الاتجاه الجنوبى، انظرى هـا هـى البحيرة تبدو من النـافذة».

وكـان «هـارى» يشـاهد اللوحة عندمـا سقطت تفـاحة خضـراء فوق الأعشاب الموجودة فى الصـورة، وكـان «هـارى» قد اعتـاد على لوحـات «هـوجوورتس» المتحركة التى تغـادر إطاراتـهـا حتى تزور بعضـهـا البعض، إلا أنه كـان يستمتع بمشـاهدتـهـا،

وبعد دقيقة ظهر فارس قصير القامة، يرتدى حلة كاملة، ويصدر عنها صوت صلصلة معدنية، وقد أوحت تلك البقعة الخضراء على ركبته بأنه سقط داخل الصورة لتوه، فصاح عندما رأى «هارى» و«رون» و«هيرميون»: «آه.. ماذا تفعلون فى أرضى؟».

وشاهدوا فى دهشة هذا الفارس الصغير وهو ينتزع سيفه من غمده، ويلوح به فى عنف، ويقفز لأعلى وأسفل، ولكن السيف كان طويلاً جدًّا بالنسبة له، فسقط على وجهه فوق الحشائش».

وأسرع «هارى» نحو اللوحة متسائلاً: «هل أنت بخير؟».

صاح فيه الفارس: «عد إلى مكانك أيها المتبجح؟»، ثم أمسك بالسيف مرة ثانية واستند عليه حتى ينهض، ولكن شفرة السيف غاصت وسط الحشائش، ورغم أنه جذبه بكل ما يملك من قوة إلا أنه لم يستطع جذبه للخارج مرة أخرى. فقال «هارى» للفارس: «اسمع، إننا نبحث عن البرج الشمالى.. ألا تعرف الطريق إليه؟». وبدا كما لو كان غضب الفارس قد اختفى فجأة قبل أن ينهض واقفًا وقد صدر عنه صوت الصلصلة المعدنية، ثم قال: «اتبعونى أيها الأصدقاء وسنجد طريقنا».

حاول الفارس جذب السيف مرة أخرى، ولكنه فشل فصاح: «حسنًا لِنَسِرْ على أقدامنا إذن أيها السادة وأيتها السيدة الرقيقة.. هيا .. هيا..».

ثم أخذ يركض مصلصلاً بصوت مرتفع نحو الجانب الأيسر من إطار الصورة، ثم غاب عن نظرهم، فأسرعوا خلفه فى نفس الممر متتبعين صوت حلته المعدنية. وبين حين وآخر يرونه وهو يمر داخل إحدى الصور المعلقة على الحائط وهو يصيح: «كن شجاعًا، هيا.. إن الأسوأ لم يأت بعد».

وأمر الثلاثة بقوة، وهم يصعدون ذلك السلم الحلزونى الضيق، حتى بدءوا يشعرون بالدوار، إلى أن سمعوا صوت غمغمة فوقهم، فأدركوا أنهم قد وصلوا للفصل، فصاح الفارس وهو يدفع رأسه داخل إحدى الصور المعلقة: «وداعًا يا رفاق، وإذا احتجتم لأية مساعدة من قلب نبيل وجسد معدنى؛ فلا تترددوا فى نداء «كادوجان»»، فتمتم «رون» حين اختفى هذا الفارس: «حسنًا سوف نناديك».

صعدوا معًا درجات السلم الباقية قبل أن يدخلوا إلى مكان صغير، وكان معظم التلاميذ قد حضروا ولم يكن للمكان أبواب، فلكز «رون» «هارى» مشيرًا إلى السقف حيث كان يوجد باب ذو لوحة نحاسية، نقش فوقها بعض الرموز، قرأها «هارى» بصوت مرتفع: «سيبيل تريلاونى.. معلمة التنبؤ» ترى كيف كنا سنستطيع الوصول إلى هنا؟، وقبل أن يجيب أحد عن سؤاله، انفتح ذلك الباب فجأة وهبط منه سلم استقر عند قدمى «هارى»، فقال «رون» مبتسمًا: «تفضل!». وصعد «هارى» السلم بالفعل ليصل إلى أغرب مكان رآه، لم يكن يبدو كفصل على الإطلاق..

لقد كان شيئًا بين الطراز الروماني ومحل شاى قديم الطراز!! فقد تجمعت نحو عشرين منضدة صغيرة بالداخل أحاطت بها المقاعد ذات الذراعين، وكان كل شىء فى المكان صغيرًا، وجميع الستائر مسدلة وكان هناك مجموعة من المصابيح المحاطة بقطع قماش حمراء، والنيران المشتعلة بعثت دفئًا فى المكان، ومن فوقها ذلك الإناء النحاسى الذى يبعث فى المكان رائحة عطرة قوية. أما الأرفف المحيطة بالمكان فكانت مزينة ببعض الريش ومجموعات من الشموع، وبعض مجموعات من أوراق اللعب، وعدد لا يحصى من الكرات الفضية اللامعة وأكواب الشاى، اقترب «رون» من «هارى» فى حين أحاط بهم باقى تلاميذ الفصل، وهم يتحدثون فى همس حتى تساءل «رون»: «أين هى؟».

وهنا باغتهم صوت رقيق: «مرحبًا.. كم هو لطيف أن أراكم هنا أخيرًا».

وكان الانطباع الأول لـ«هارى» عن معلمتهم كالانطباع عن حشرة كبيرة براقة، وتحركت الأستاذة «تريلاونى» نحو ضوء المدفأة؛ فاكتشفوا أنها سخيفة للغاية، فى حين كانت نظارتها السميكة تضخم الحجم الطبيعى لعينيها عدة مرات، وقد أحاطت نفسها بشال شفاف متلألئ يتدلى حول رقبتها مع مجموعة من السلاسل والعقود، فى حين غطى ذراعيها ويديها عدد كبير من الأساور والخواتم، فقالت وهى تصعد إلى مقعد ذى يدين: «هيا اجلسوا يا صغارى».

جلس كل من «هارى» و«رون» و«هيرميون» حول المائدة المستديرة التى جلست أمامها، فقالت الأستاذة «تريلاونى»: «مرحبًا بكم فى التنبؤ. اسمى الأستاذة «تريلاونى» وربما لم يرنى أحد منكم قبل هذا، ولقد اخترتم دراسة التنبؤ وهى أصعب الفنون السحرية، ويجب أن أحذركم أنكم إذا لم تجتهدوا فستكون مهمتى فى تعليمكم شديدة الصعوبة، فالكتب ستساعدكم فقط على الدخول إلى هذا المجال»، وهنا نظر كل من «هارى» و«رون» و«هيرميون» إلى بعضهم البعض مبتسمين عندما عرفوا أن الكتب لن تكون مفيدة كثيرًا فى دراسة هذه المادة، ثم عادت الأستاذة «تريلاونى» تقول وعيناها تتحركان من جانب لآخر: «كثير من السحرة والساحرات يتميزون بمهارة فائقة فى عمل الكثير من الحيل، ولكنهم يعجزون عن التنبؤ بالمستقبل، فهى موهبة منحت للقليل منكم»، ثم أشارت إلى «نيفيل» متابعة: «مثلك أيها الصبى، ومثل جدتك أيضًا».

فقال «نيفيل»: «أظن ذلك».

قالت الأستاذة «تريلاونى» ونيران المدفأة تنعكس على قرطيها: لو كنت مكانك يا عزيزى لما أصبحت واثقة، سنغطى طرق التنبؤ الرئيسية لهذا العام، وسيكون الفصل الدراسى الأول عن قراءة أوراق الشاى، أما الفصل الثانى فسنمارس قراءة الكف، ثم صاحت فى إشارة إلى «بارفاتى باتيل»: «وبالمناسبة يا أعزائى.. احترسوا من ذوى الشعر الأحمر».

ثم تابعت: «أما فى فصل الصيف فسنصل إلى الكرة السحرية، ولسوء الحظ فإن الدراسة ستتوقف فى فبراير بسبب موجة من الأنفلونزا ستصيب الجميع، حتى أنا سأفقد صوتى بسبب إصابتى بالبرد، وفى عيد الفصح سيغادر أحدنا هذا المكان إلى الأبد، وساد المكان صمت ثقيل بعد هذا التصريح، ولكن الأستاذة «تريلاونى» لم تهتم، ثم قالت: «هل يمكنك أن تناولنى ذلك الإبريق الفضى الكبير يا عزيزى؟».

ونهض «براون» وتناول إبريقًا كبيرًا من على الرف، وضعه أمام الأستاذة «تريلاونى» فقالت: «أشكرك.. وبالمناسبة، ذلك الشىء الذى تخشى حدوثه سيحدث يوم الجمعة الموافق السادس عشر من أكتوبر، أما الآن فأريد منكم ـ اثنين اثنين ـ أن تحضروا أكواب شاى من على الأرفف، ثم تعالوا إلىَّ حتى أملأها لكم، واجلسوا واشربوا حتى لا يبقى سوى «التفل»، ثم دوروا حول الكوب باليد اليسرى ثلاث مرات قبل أن تقلبوا الكوب، وانتظروا حتى يختفى باقى الشاى، وناولوا الكوب للزميل المواجه حتى يقرأه باستخدام الصفحات رقم خمسة وستة فى كتاب «توضيح المستقبل»، وسأتحرك بينكم للمساعدة والإرشاد، ثم أمسكت بذراع «نيفيل» قائلة: «عزيزى.. بعد أن حطمت الكوب الأول؛ أرجو أن تختار واحدًا أزرق، فأنا أحب الأكواب الوردية».

وبكل ثقة توجه «نيفيل» إلى الأرفف، فقالت الأستاذة «تريلاوني»: «كوبًا أزرق يا عزيزى.. شكرًا لك».

وعندما حصل «رون» و«هارى» على كوبيهما، عادا إلى مقعديهما، وحاولا شرب الشاى سريعًا لينفذا تعليمات الأستاذة. ثم قال «رون» وهو يفتح الكتاب على الصفحتين الخامسة والسادسة: «حسنًا.. ماذا ترى فى كوبى؟».

فقال «هارى» ساخرًا: «أرى مادة بنية كثيفة».

وكان البخار المنبعث فى الغرفة قد جعله يشعر بالنعاس، فقالت الأستاذة بصوت مرتفع: «انتبهوا يا أعزائى وركزوا أثناء النظر!!».

وحاول «هارى» استجماع نفسه، ثم قال مسترشدًا بما فى الكتاب: «حسنًا.. هناك علامة زائدة، وهو ما يعنى أنك ستحصل على شىء من المعاناة.. آسف لهذا.. ولكن هناك ما يشبه الشمس، وهذا يعنى سعادة غامرة، أرى أنك ستعانى، ولكن ستسعد كثيرًا».

فقال «رون»: «أظن أنك فى حاجة لإجراء فحص لقاع العين».

ثم ضحكا معًا فرمقتهما الأستاذة «تريلاونى» بنظرة جانبية قبل أن يميل «رون» نحو كوب «هارى» ويقول: «دورى أنا.. هناك شىء يشبه القبعة.. ربما ستعمل فى وزارة السحر، ثم أدار الكوب فى الاتجاه العكسى، ولكن من هذه الناحية هناك ما يشبه.... ما

هذا؟..» ثم راجع نسخة كتابه وتابع: «خريف.. ذهب.. مال غير متوقع، عظيم عليك أن تقرضنى بعضه، وهناك شيء آخر هنا.. إنه يبدو كحيوان ما، نعم لو أن هذا رأسه، فهو يشبه فرس النهر.. لا.. لا.. بل عنزة».

وهنا استدارت الأستاذة «تريلاونى» نحوهما ثم ضحكت قائلة: «دعونى أرى هذا». وهدأ الجميع وهى تفحص كوب «هارى» حتى يعرفوا النتيجة. فى حين راحت تحدق فى الكوب، ثم قالت: «إنه نسر يا عزيزى.. هناك عدو مميت يطاردك».

قالت «هيرميون» فى همس مسموع: «ولكن الجميع يعرفون ذلك.. الجميع يعرفون قصة «هارى» وأنتم تعرفون مع من».

حدق كل من «هارى» و«رون» بها، بخليط من الإعجاب والدهشة.. فلم يسبق لهما رؤية «هيرميون» تتحدث مع أحد المعلمين هكذا، ولكن الأستاذة «تريلاونى» لم تجب، وإنما خفضت عينيها مرة أخرى نحو كوب «هارى»، ثم قالت: «أنت.. يا عزيزى، هذا الكوب ليس كوبًا سعيدًا».

فقال «رون»: كنت أظن عكس ذلك!

ثم تابعت: «هناك خطر فى طريقك يا عزيزى».

وعندما كان الجميع يحدقون بها أدارت الكوب مرة أخرى، ثم لهثت وصرخت، لقد حطم «نيفيل» الكوب الثانى، فغاصت الأستاذة «تريلاونى» فى مقعد ذى يدين؛ حتى يتسنى لها النظر نحو «هارى» جيدًا قبل أن تفتح عينيها بشكل درامى وتقول:

«عزيزى لديك كلب أسود».

قال «هارى»: «ماذا؟».

ويبدو أنه لم يكن الوحيد الذى لم يستوعب الأمر، فقد تحشرج صوت «دين توماس»، وبدا الارتباك على «لافندر براون»، ولكن الجميع وضعوا أيديهم فوق أفواههم، فتابعت: «ذلك الكلب العملاق.. إنه نذير شؤم، أسوأ نذير.. نذير موت».

وتقلصت معدة «هارى»، فقد تذكر صورة ذلك الكلب الموجود على غلاف كتاب «نذائر الموت» فى مكتبة «فلوريش ويلوتس»، إنه الكلب الموجود فى «ماجنوليا كريسنت»، وراح الجميع يحدقون فى «هارى» فيما عدا «هيرميون» التى نهضت ودارت حول مقعد الأستاذة «تريلاونى»؛ وقالت: «لا أظن أنه يشبه هذا الكلب».

رمقتها الأستاذة «تريلاونى» بنظرة حادة ثم قالت: «كان سيسعدنى أن أقول هذا يا عزيزتى، ولكنه أمر واضح».

وكان «سيموس مينيجان» يدور بعينيه من جانب لآخر، ثم قال وعيناه شبه مغلقتين: «إنه يبدو كالكلب، ولكن إذا درنا هكذا فسنجد ما يشبه الحمار».

فقال «هارى» فى حدة: «متى ستقررون ما إذا كنت سأموت أم لا؟».

قالت الأستاذة «تريلاونى»: «هذا يكفى.. أظن أننا سننهى درس اليوم، نعم.. أعيدوا كل شىء إلى مكانه».

راح التلاميذ يعيدون أدواتهم لها، ثم أغلقوا حقائبهم، حتى «رون» نفسه كان يتجنب النظر إلى عينى «هارى».

ثم قالت الأستاذة «تريلاونى»: «سنتقابل مرة أخرى، وحتى ذلك الحين ابذلوا أقصى جهد لديكم» ثم أشارت إلى «نيفيل» قائلة: «وأنت يا عزيزى.. ستتأخر فى المرة القادمة، فحاول بكل جهدك أن تلحق بنا».

هبط كل من «رون» و«هيرميون» و«هارى» ذلك السلم الفضى، ثم السلم الحلزونى فى صمت قبل أن يتحولوا إلى درس آخر، هو درس التحول مع الأستاذة «ماكجونجال».

استغرق الأمر منهم وقتًا طويلاً حتى يجدوا الفصل، ورغم أنهم غادروا فصل التنبؤ مبكرًا؛ إلا أنهم وصلوا للفصل الآخر بالكاد فى الموعد، واختار «هارى» مقعدًا فى نهاية الغرفة كما لو كان يجلس فى مركز ضوء براق، فقد كان كل التلاميذ يرمقونه بنظرتهم من حين لآخر، كما لو كان سيموت فى أى لحظة، وبالكاد سمع ما كانت الأستاذة «ماكجونجال» تقوله عن «إينماجى» – وهو ساحر استطاع التحول لعدة حيوانات – ولم يكن حتى يراها وهى تحول نفسها أمام الفصل إلى قطة، لها علامات تشبه النظارة الموجودة حول عينيها، ثم تساءلت وهى تعيد نفسها: «ماذا دهاكم جميعًا اليوم؟! إنها المرة الأولى التى لا يحظى فيه تحولى بتصفيق من فصل ما».

استدارت رءوس الجميع إلى «هارى» مرة أخرى، ولكن لم يتكلم

أحد حتى رفعت «هيرميون» يدها قائلة: «من فضلك يا أستاذة، لقد حضرنا لتونا أول دروس التنبؤ، وكنا نقرأ أوراق الشاى و....».

زمجرت الأستاذة «ماكجونجال»: «آه.. نعم بالطبع لا حاجة بك لقول المزيد أيتها الآنسة «جرانجر»، هيا أخبرينى من منكم سيلقى حتفه هذا العام؟». صدق الجميع كلامها حتى قال «هارى» أخيرًا: «أنا؟».

أجابته وهى تحدق فيه: «نعم.. إذن، فيجب أن تعرف يا «بوتر» أن «سيبيل تريلاونى» توقعت موت أحد التلاميذ منذ عام عندما وصلت للمدرسة، ولم يمت أى منهم بعد، فمشاهدة نذائر الموت هي طريقتها المفضلة لتحية فصلها الجديد، وإذا لم يكن الأمر حقًا؛ فأنا لا أتكلم بسوء عن أى من زملائى».

توقفت تحاول تهدئة نفسها، ثم تابعت: «إن التنبؤ هو أحد أكثر فروع السحر غموضًا ولن أخفى عليكم.. إننى لا أصبر عليه، فالتوقعات الصحيحة شديدة الندرة، كما أن الأستاذة «تريلاونى»....» توقفت مرة أخرى، ثم قالت بصوت يعكس الصدق: «إنك تبدو لى بصحة جيدة جدًا يا «بوتر»؛ لذلك فستعذرنى إن لم أعفك من الواجب المدرسى اليوم، ولكنى أؤكد لك أنه فى حال وفاتك لن تضطر لتسليمه!».

ضحكت «هيرميون» فى حين شعر «هارى» بشيء من التحسن، فلم يكن سهلاً عليه أن يهرب من تأثير أوراق الشاى، وذلك الضوء الأخاذ الخافت، ورائحة فصل الأستاذة «تريلاونى». وعلى كل

حال، فلم يكن الجميع مقتنعين، فما زال «رون» يبدو قلقًا، ثم همست «لافندر»: «ولكن ماذا عن كوب «نيفيل»؟».

وعندما انتهى فصل التحول، لحقوا بزملائهم نحو البهو العظيم لتناول العشاء، وقالت «هيرميون» وهى تقدم طبقًا يتصاعد منه البخار نحو «رون»: «رون».. هون عليك، فقد سمعت ما قالته الأستاذة «ماكجونجال».

التقط «رون» شوكته، ولكنه لم يتناول شيئًا، ثم قال بصوت جاد: «هارى» إنك لم تَرَ كلبًا أسود ضخمًا فى أى مكان.. أليس كذلك؟ فقال «هارى»: «لقد رأيت واحدًا عندما غادرت منزل آل «درسلى»».

ترك «رون» شوكته لتسقط فوق الطبق، ثم قال: «هيرميون.. إذا كان «هارى» قد رأى كلبًا فهذا.... هذا شىء سيئ، فابن عمى «بليوس» رأى واحدًا ومات خلال أربع وعشرين ساعة».

فقالت «هيرميون» وهى تصب لنفسها بعض العصير: «إنها مجرد مصادفة».

قال «رون» وقد بدأ الغضب يعصف به: «إنك لا تعرفين ما تتحدثين عنه، إن هذه المخلوقات تثير ذعر معظم السحرة».

قالت «هيرميون» فى لهجة توحى بالانتصار: «ها أنت ذا إذن، إنهم يرونه، فيموتون من الخوف، إنه ليس نذير شؤم، ولكنه سبب للموت، و«هارى» لا يزال معنا؛ لأنه ليس أحمق لدرجة أن يرى أحدهم فيترك الأمر يسيطر على تفكيره!».

ونظر «رون» إليها وهو مفتوح الفم، ففتحت هى حقيبتها وأخرجت كتابًا وضعته أمامها، ثم قالت: «أظن أن التنبؤ أمر معقد يزخر بالتخمين، أنت نفسك لم تكن واثقًا مما رأيته فى كوب «هارى»».

عاد «رون» يقول: «لقد قالت عنك الأستاذة «تريلاونى»: إنك لا تملكين النظرة الصحيحة، وإنك لا تعترفين بالخطأ حتى على سبيل التغيير». وبدا كما لو كان قد تحدث فى موضوع حساس، فأغلقت «هيرميون» كتابها بعنف؛ حتى أن بعض قطع اللحم قد تناثرت فى كل مكان. ثم قالت: «إذا كان التنبؤ الجيد يعنى أن علىّ أن أتظاهر برؤية نذائر الموت فى كوب الشاى؛ فأنا لست واثقة أننى قد أستمر فى دراسة التنبؤ أكثر من ذلك، فهذا الدرس كان شيئًا سخيفًا إذا ما قورن بأى درس آخر، ثم جذبت حقيبتها وابتعدت، حدجها «رون» بنظرة حادة، ثم سأل «هارى»: «ما الذى تتحدث عنه، إنها لم تحضر أية مادة جديدة أخرى حتى الآن؟».

كان «هارى» سعيدًا بالخروج من القلعة بعد الغداء، فقد انتهت أمطار أمس، وأصبحت السماء صافية رغم لونها الرمادى، وكان العشب نضرًا نديًا عندما كانوا يستعدون لاستقبال أول دروس العناية بالمخلوقات السحرية، ولم يكن «رون» و«هيرميون» يتحدثان، وكان «هارى» يسير إلى جوارهما فى صمت، فى حين كانوا يسيرون على المنحدر المؤدى لكوخ «هاجريد» على حافة

الغابة المحرمة قبل أن يروا أمامهم ثلاثة ظلال مألوفة؛ ليعرفوا أن هذه الدروس ستكون مشتركة مع «سليذرين». وسمعوا «مالفوى» يتحدث مع كل من «كراب» و«جويل» فى همس، ولكن «هارى» كان يعرف ما يتحدثون عنه.

وكان «هاجريد» فى انتظار تلاميذه عند باب الكوخ مرتديًا هذا المعطف، ومعه ذلك الحيوان الصغير عند قدميه، ولا يطيق الانتظار على بدء العمل، فصاح عندما اقترب التلاميذ: «هيا تحركوا.. هل أنتم مستعدون لليوم.. إنه درس عظيم.. هل الجميع هنا؟ حسنًا.. هيا اتبعونى».

وللحظة ظن «هارى» أن «هاجريد» سيقودهم إلى داخل الغابة، وهو الأمر الذى لم يكن «هارى» يرغب فيه بعد كل ما حدث له هناك، وعلى أى حال فإن «هاجريد» دار حول حافة الغابة، وبعد خمس دقائق وجدوا أنفسهم خارج حقل صغير يحيط به سور قصير، فصاح «هاجريد»: «فليجتمع الجميع حول هذا السور حتى تستطيعوا الرؤية بوضوح، وأول شىء أريدكم أن تفعلوه هو أن تفتحوا كتبكم».

صاح «مالفوى» بصوته البارد المتحذلق: «كيف؟».

قال «هاجريد»: «ماذا؟».

كرر «مالفوى» وقد حمل نسخته من كتاب الوحش المتوحش وقد أحاطه بحبل طويل: «كيف نفتح كتبنا؟».

وبالفعل أخرج البعض كتبهم كذلك، وقد أغلقوها باستخدام

الأربطة، أما الآخرون فقد ربطوها بأقفال خاصة، فتساءل «هاجريد»: «ألم يستطع أحد فتح كتابه؟».

هز الجميع رءوسهم نفيًا قبل أن يتابع «هاجريد»: «كان عليكم أن تضربوه.. انظروا.. هكذا».

وأخذ نسخة «هيرميون»، ثم نزع الشريط المحيط بالكتاب، فحاول الكتاب عضه، ولكن «هاجريد» ضغط بأصبعيه على مؤخرة الكتاب، فارتعش الكتاب ثم انفتح واستقر في يده.

قال «مالفوي»: «ما هذا؟ كم كنا أغبياء!!».

فقال «هاري»: «أطبق فمك يا «مالفوي»».

كان «هاري» يريد أن يكون درس «هاجريد» الأول ناجحًا. وقال «هاجريد»: «حسنًا إذن.. معكم كتبكم و.. الآن.. نعم.. أنتم في حاجة إلى مخلوقات سحرية، سأذهب لأحضرها.. انتظروني هنا..».

ثم ابتعد عنهم واتجه نحو الغابة حتى غاب عن نظرهم.

قال «مالفوي» بصوت مرتفع: «يا إلهي.. هل سيمتلئ هذا المكان بالكلاب؟ ما هذا الدرس الممل؟ سيتصرف أبي بهذا الشأن عندما أخبره».

كرر «هاري»: «أطبق فمك يا «مالفوي»».

وهنا انبعث صوت «لافندر براون»: «احترس يا «بوتر» فهناك حارس خلفك». وفجأة.. ظهر عشرة من أغرب المخلوقات التي رآها «هاري»، كانت لها أجسام وأرجل أحصنة، وقوائمها

الأمامية عبارة عن أجنحة كبيرة، ورءوس تشبه النسور، ولكل حيوان منهم لبدة كثيفة حول رقبته، فوقها سلسلة طويلة ممتدة ومربوطة جميعًا فى يدى «هاجريد» الذى جاء خلفها مهرولاً، ثم صاح والسلاسل تهتز بين يديه بقوة وهو يتقدم نحو السور الذى يقف خلفه التلاميذ: «هيا.. ابتعدوا».

تراجع الجميع بهدوء عندما وصل «هاجريد» إلى السور، وقال بسعادة وهو يلوح بيده: «هيبوجريف.. جميل.. أليس كذلك؟».

ولم يستطع «هارى» أن يفهم ما يعنيه «هاجريد»، هذا عندما ترى مثل هذه المخلوقات للمرة الأولى؛ نصف حيوان ونصف طائر، وذلك غير الفراء الذى لا تستطيع أن تحدد إذا كان من الريش أو الشعر، وكان كل منها من لون مختلف: «رمادى، برونزى، وردى، وأسود..».

ثم قال «هاجريد» وهو يحك يديه ببعضها البعض: «هيا.. إذا كنتم تريدون الاقتراب قليلاً».

ولم يبدُ أن أحدًا كان يود الاقتراب، ولكن «هارى» و«رون» و«هيرميون» اقتربوا من السور بحذر.

فقال «هاجريد»: «والآن.. أول شىء يجب أن تعرفوه أن «الهيبوجريف» يمتازون بالشموخ، ومن السهل إثارة غضبهم، فلا تتعمدوا إهانة أى منهم، فمن الممكن أن يكون هذا آخر ما تفعلونه».

ولم يكن أى من «مالفوى» و«كراب» و«جويل» ينصتون، فقد كانوا يتحدثون معًا بصوت منخفض، وشعر «هارى» أنهم

يـخـطـطـون لإفسـاد الدرس، فـتـابـع «هـاجريـد»: «انـتـظروا دائمًـا الحركة الأولى من «الهيبوجريف» إنه مهذب».. أترون؟ تقدموا نـحـوه وانـحـنـوا ثـم انـتـظروا، فـإذا انـحـنـى بـدوره فـسيـمكنكم أن تتقدموا نـحـوه وتلمسوه، وإذا لم ينحنِ فـابتعدوا عنه فى سرعة؛ لأن هذه القرون مؤلمة جدًّا، والآن من يريد أن يبدأ؟».

ولم يجبه أى من التلاميذ، حتى «رون» و«هيرميون» لم يجيبوا، فقد كـانت المخلوقـات تتحرك بعنف، ولم يبدُ على أى منها رغبة فى الامتثـال لهذا الأمر، فتساءل «هـاجريد»: «لا أحد!».

ولكن «هـارى» قـال: «أنـا سـأقوم بذلك».

وسمع «هـارى» صوت شهقة مرتفعة من خلفه قبل أن يسمع كل من «لافندر» و«بـارڤـاتـى» يقولان فـى همس: «لا، يـا هـارى.. تذكر أوراق الشـاى».

ولكن «هـارى» تجـاهلـهمـا وصعد فوق السور فصـاح «هـاجريد»: «رائـع يـا «هـارى» دعـنـا نرى». ثم فصل أحد السلاسل التى كـانت مربوطة بـأحدهم ثم نزع طوقه الجلدى وبدا أن جميع التلاميذ يـحـبسـون أنـفـاسـهـم فـى حين ضـاقت عـيـنـا «مـالـفـوى»، فـقـال «هـاجريد»: «بـهدوء «هـارى».. انظر لعينيه وحـاول ألا ترمش، فـهو لا يثق بك إذا كنت ترمش كثيرًا».

ودار «بـاك بيك» ـ ذلك «الهيبوجريف» الذى اختاره هـاجريد ـ برأسه نـحـو «هـارى»، فـعـاد «هـاجريد» يقـول: «هـيـا يـا «هـارى» انـحـنِ الآن».

وبالفعل انحنى «هارى» قليلاً وهو ينظر لأعلى فظل «الهيبوجريف» ينظر نحوه ولكن دون أن يتحرك، فقال «هاجريد» بقلق: «هيا.. حسنًا».. ابتعد الآن بهدوء يا «هارى»».

وهنا حدث ما لم يكن يتوقعه «هارى»، فقد انحنى «الهيبوجريف»، ثم قال «هاجريد»: «رائع يا «هارى».. هيا يمكنك أن تربت عليه.. هيا».

وتحرك «هارى» ببطء نحو «الهيبوجريف» ثم ربت عليه عدة مرات فأغلق عينيه كما لو كان يستمتع بذلك، فصفق التلاميذ ما عدا «مالفوى» و«كراب» و«جويل» الذين ظهر عليهم الإحباط، ثم قال «هاجريد»: «حسنًا يا «هارى» أعتقد أنه سيسمح لك بركوبه».

وكان هذا أكثر مما كان «هارى» يأمله، فقد اعتاد على عصا المكنسة، ولكنه لم يكن واثقًا أن «الهيبوجريف» سيكون بنفس البساطة!

ولكن «هاجريد» تابع: «هيا.. اصعد هناك خلف رباط الأجنحة، واحرص على عدم شد ريشه فهو لا يحب ذلك».

ورفع «هارى» قدمه فوق جناح «باك بيك»، ثم اعتلى ظهره، لكنه لم يكن يعرف أين يمسك، فقد كان كل شىء أمامه مغطى بالريش، حتى صاح «هاجريد» وهو يضرب «الهيبوجريف»: «هيا.. انطلق».

ودون تحذير ارتفع جناحان طولهما ١٢ قدمًا حول «هارى» الذى لم يستطع إلا أن يمسك برقبته قبل أن يرتفع، ولم يكن الأمر

كعصا المكنسة، وإن كان «هاري» قد عرف أيهما يفضل، فقد كان جناحا المخلوق يضربان الهواء حوله بقوة، مما جعله يشعر بأنه سوف يسقط من فوقه، وذلك الريش اللامع ينزلق تحت يديه، ولكنه لم يجرؤ على تشديد قبضته حتى لا يغضب «الهيبوجريف» الذى راح يعلو ويهبط فوق ظهره مع خفقات جناحية، وطار به «باك بيك» حول السور ثم عاد به إلى الأرض وهو ما كان «هاري» يريده، وما إن وصل ولمست أقدامه الأرض حتى انزلق من على ظهر هذا المخلوق وهبط على الأرض، فقال هاجريد: «عمل رائع يا «هاري»».

وعلت السعادة وجوه الجميع فيما عدا «مالفوى» و«كراب» و«جويل». وانبهاراً بنجاح «هاري»؛ توجه باقى التلاميذ نحو مخلوقات «الهيبوجريف» التى راح «هاجريد» يحررها واحدًا تلو الآخر، وراح التلاميذ ينحنون فى عصبية، ونجح «رون» و«هيرميون»، فى حين بدا أن الحيوان الذى اختاره «نيفيل» لن ينحنى، فأسرع بالابتعاد عنه، وحاول «مالفوى» تكرار التجربة مع «باك بيك» الذى انحنى له ثم قال «مالفوى» بصوت مرتفع حتى يسمعه «هاري»: «إنه أمر فى غاية السهولة، وكان يجب أن أعرف ذلك، فما دام «بوتر» قد استطاع أن يفعلها فأراهن أنك لا تمثل أى خطر، أليس كذلك؟».

ثم عاد يكرر موجهًا حديثه «للهيبوجريف»: «أليس كذلك أيها القبيح؟».

وفى ثوان سمع الجميع صرخة «مالفوى» المدوية وهو يحاول الفرار من القرون الصلبة؛ فى نفس الوقت الذى كان يحاول فيه «هاجريد» أن يمسك به؛ حتى يبعده عن «الهيبوجريف»، فسقط فوق الحشائش والدماء تغرق ملابسه وهو يصيح: «إننى أحتضر.. انظروا.. لقد قتلنى».

فقال «هاجريد» الذى تغير وجهه تمامًا: «أنت لا تحتضر، فليساعدنى أحدكم، أخرجوه من هنا».

أسرعت «هيرميون» تفتح البوابة، وحمل «هاجريد» «مالفوى» بسهولة.. وأثناء مرورهم رأى «هارى» ذلك الجرح القطعى فى ذراع «مالفوى».. والذى تسيل منه الدماء وتغرق الحشائش، بينما يجرى به «هاجريد» فى اتجاه القلعة!.

وتبعه «السليذرين» وهم يصيحون حول «هاجريد»! ثم قالت «بانسى باركنسون» وسط دموعها: «يجب أن يبعدوه»، وقاطعها «دين توماس»: «لقد كان خطأ مالفوى».

وصعد الجميع الدرجات الحجرية حتى بهو المدخل، ثم قالت «بانسى»: «سأذهب للاطمئنان عليه». وصعدت السلم فى حين ظل «السليذرين» يتحدثون فى همس عن «هاجريد» وهم يتوجهون إلى غرفهم، ثم تساءلت «هيرميون» فى عصبية: «هل تظن أنه سيكون بخير؟».

قال «هارى» الذى سبق علاجه من إصابات بالغة قبل ذلك:

«بالطبع.. إن مدام «بومفرى» تستطيع علاج الجروح القطعية فى ثانية واحدة».

ثم قال «رون» وقد بدا عليه القلق: «لقد كان أمرًا سيئًا أن يحدث ذلك فى أول دروس «هاجريد»، أليس كذلك؟ لقد كنت واثقًا أن «مالفوى» سيدبر له أمرًا ما! وكانوا من أوائل من وصل إلى البهو العظيم لتناول الطعام أملاً فى رؤية «هاجريد»، ولكنه لم يكن هناك، فقالت «هيرميون» قبل أن تمس طعامها: «إنهم لن يستبعدوه، أليس كذلك؟».

أجابها «رون» الذى امتنع أيضًا عن الأكل: «من الأفضل ألا يفعلوا» وكان «هارى» ينظر نحو مائدة «السليذرين» التى تجمع عليها مجموعة كبيرة، تضم كلاً من «كراب» و«جويل» وهم يتهامسون، وكان «هارى» واثقًا أنهم يحبكون قصتهم عن كيفية إصابة «مالفوى»، فقال «رون»: «حسنًا.. يمكنكم القول بأن أول يوم لنا بعد عودتنا إلى «هوجوورتس» لم يكن سعيدًا».

وتوجهوا إلى غرفة «جريفندور» المزدحمة بعد العشاء فى محاولة لعمل واجباتهم التى كلفتهم بها الأستاذة «ماكجونجال»، ولكن الثلاثة لم يستطيعوا إتمام أى شىء، وهم ينظرون من وقت لآخر من نافذة البرج حتى قال «هارى» فجأة: «هناك ضوء قادم من نافذة «هاجريد»».

نظر «رون» فى ساعته ثم قال: «لو أسرعنا فسيمكننا الذهاب لرؤيته، فالوقت لا يزال مبكرًا..».

قالت «هيرميون» فى بطء وهى ترمق «هارى» بنظرة خاصة: «لا أعرف».

قال «هارى»: «إننى مسموح لى بالسير فى فناء المدرسة و«سيريوس بلاك» لن يصل إلى هنا مع وجود هؤلاء الحرس».

وهكذا جمعوا أدواتهم وخرجوا فى سعادة، خاصة أنهم لم يجدوا أحدًا عند الباب الأمامى، فقد كانوا غير متأكدين من السماح لهم بالخروج، وكانت الحشائش لا تزال رطبة وهم يتوجهون إلى كوخ «هاجريد»، وعندما وصلوا طرقوا الباب ليسمعوا صوته يصيح: «ادخل».

وكان «هاجريد» يجلس أمام منضدة خشبية، ومن أول نظرة له عرفوا أنه قد تناول الكثير من الشراب، فقد بدا عليه عدم التركيز، ثم قال: «لقد سجلت رقمًا قياسيًا، فلا أظن أن أحد المعلمين قد سبق له العمل ليوم واحد فقط».

وتنهد «هاجريد» فى تعاسة: «إنها مسألة وقت فقط .. أليس كذلك؟ فبعد ما حدث مع مالفوى...».

تساءل «رون»: «كيف هو؟ لا أظن أن الإصابة خطيرة!! أليس كذلك؟».

قال «هاجريد»: «لقد فعلت مدام «بومفرى» كل ما تستطيع، ولكنه ظل يتأوه بعد أن غطته بالأربطة».

قال «هارى» فجأة: «إنه مخادع.. مدام «بومفرى» تستطيع علاج أى شىء، لقد أصلحت نصف عظامى العام الماضى، وأنا واثق أنها قد بذلت كل ما تستطيع».

عاد «هاجريد» يقول بنفس التعاسة: «لقد وصل الخبر لمسئولى المدرسة، وقالوا إننى قد بدأت بداية كبيرة، فقد كان يجب أن أدخر «الهيبوجريف» لمرحلة لاحقة، ولكننى فكرت أنه سيكون أمرًا طيبًا.. أى إن الأمر كله كان خطئى».

قالت «هيرميون»: «لقد كان خطأ «مالفوى»».

ثم قال «هارى»: «نعم، وسنشهد بذلك، فقد أخبرتنا أن «الهيبوجريف» سيقوم بمهاجمتنا إذا أهانه أحد، ولكن «مالفوى» لم يكن منتبهًا، وهذه مشكلة، وسنخبر «دمبلدور» عما حدث».

وقال «رون»: «نعم.. لا تقلق يا هاجريد».

وتساقطت الدموع من عينى «هاجريد» السوداوين، ثم جذب «هارى» و«رون» وعانقهما بقوة، ثم قالت «هيرميون»: «أظنك قد شربت ما يكفيك يا «هاجريد». فقال «هاجريد» وهو يترك «هارى» و«رون»، ويخرج من الكوخ: «ربما تكونين على حق».

تساءل «هارى»: «ماذا سيفعل؟».

أجابته «هيرميون» التى عادت من الخارج: «لقد أغرق رأسه فى مياه الحوض».

وعاد «هاجريد» والمياه تتساقط من شعر رأسه ولحيته، ثم قال: «هذا أفضل». وهز رأسه لينفض عنه الماء ويغرقهم جميعًا قبل أن يقول: «اسمعوا، لقد كان أمرًا طيبًا أن تأتوا لرؤيتى، فأنا بالفعل...».

وتوقف «هاجريد» فجأة وهو يحدق فى «هارى» كما لو كان

يكتشف وجوده للمرة الأولى، ثم صاح وهو يقفز فى الهواء: «ماذا تفعل هنا؟ غير مسموح لك بالتجول بعد حلول الظلام.. وأنتما كيف تسمحان له بذلك».

واندفع «هاجريد» نحو «هارى» فأمسك ذراعه ثم جذبه نحو الباب قائلاً فى غضب: «هيا.. سأعيدك للمدرسة، ولا تأتى لترانى بعد حلول الظلام مرة أخرى فأنا لا أستحق ذلك!».

* * *

٧ بوجارت وخزانة الملابس

لم يظهر «مالفوى» فى الفصل حتى وقت متأخر من صباح يوم الخميس عندما كان كل من «السليذرين»، و«الجريفندور» فى منتصف درس للوصفات. وحين حضر أخيرًا وذراعه اليمنى تحيط بها الأربطة، وهو يسير فى خطوات متكلفة كما يرى «هارى»، كان يمشى كبطل استطاع أن ينجو بحياته بعد معركة شرسة.

وصاحت «بانسى باركنسون»: «كيف حالك يا دراكو؟» هل يؤلمك ذراعك؟».

أجاب «مالفوى»: نعم!

ولكن «هارى» رآه يغمز بعينه نحو «كراب» و«جويل»؛ حتى قال «الأستاذ سناب» : «اجلس .. اجلس».

وتبادل «هارى» و «رون» النظرات.. «فالأستاذ سناب» لم يكن ليقول لهما كذلك إذا تأخر أحدهما عن الفصل، وإنما كان سيعاقبه، ولكن «مالفوى» كان دائمًا قادرًا على اختراع الحجج بخصوص أى شىء يخص دروس الأستاذ سناب، وكذلك فقد كان «سناب» رئيس منزل «السليذرين» وبالطبع فهو يفضل تلاميذه عن الآخرين.

وكانوا يقومون اليوم بوصفة جديدة عن الانكماش، واتخذ «مالفوى» مقعده بجوار «هارى» و«رون» اللذين كانا يقومان

بإعداد الوصفة على نفس المنضدة، حتى قال «مالفوى»: «سيدى.. سأحتاج لمساعدة فى تقطيع هذه الجذور بسبب ذراعى».

فقال «سناب» دون أن ينظر: «ويزلى .. اقطع هذه الجذور لـ «مالفوى»» .. واحمر وجه «رون» قبل أن يهمس لـ «مالفوى»: «إن ذراعك بخير!».

ولم يجبه وإنما ابتسم ابتسامة متكلفة أمسك بعدها «رون» بسكين، وجذب الجذور نحوه وقطعها بسرعة، فكانت النتيجة هى اختلاف أطوالها، فقال «مالفوى»: «أستاذ .. لقد أفسد «ويزلى» جذورى».

وتقدم «سناب» نحو المنضدة وقرب أنفه المعقوف من الجذور ثم ابتسم بدوره وقال: «بدِّل جذورك مع «مالفوى» يا «ويزلى»».

فقال «رون»: «ولكن يا سيدى .. ».

وقضى «رون» ربع الساعة الأخيرة فى تقليم جذوره حتى صارت قطعًا متساوية.

فقال «سناب» بصوته العجيب: «والآن».

ألقى «رون» بجذوره عبر المنضدة نحو «مالفوى»، ثم التقط السكين مرة أخرى، فقال «مالفوى» وصوته يفوح بالمكر: «سيدى.. سأحتاج أيضًا إلى تنعيم هذه الأوراق».

فقال «سناب» وهو يرمق «هارى» بهذه النظرة التى ينظر له بها دومًا: «بوتر .. قم بتنعيم هذه الأوراق».

والتقط «هارى» أوراق «مالفوى» بينما ظل «رون» يحاول

إصلاح الجذور التى كان يجب عليه استعمالها الآن فى الوقت الذى قام فيه «هارى» بتنعيم الأوراق بأسرع ما يمكن، قبل أن يعيدها إلى «مالفوى» دون أن ينطق بكلمة واحدة.

ثم تساءل «مالفوى» فى مكر: «هل رأيتم «هاجريد» مؤخرًا»؟

أجابه «رون» دون أن ينظر إليه: «ليس هذا من شأنك».

فقال «مالفوي» فى لهجة حزن تحمل سخرية واضحة: «أخشى أن لن يكون معلمًا بعد الآن، فوالدى لم يسعد بما حدث لى».

فقال «رون» مهددًا: «استمر فى هذا الحديث يا «مالفوى» وسأصيبك إصابة حقيقية».

تابع «مالفوى» وكأنه لم يسمعه: «لقد قدم شكوى لمسئولى المدرسة ووزير السحر، فأبى له علاقات قوية كما تعلمون، جرح مثل هذا ... » ثم زفر فى ألم مصطنع قبل أن يتابع: «من يدرى إذا كان ذراعى سيعود لحالته الأولى أم لا؟».

وقال «هارى» فجأة: «إذن فهذا هو السبب.. لقد كنت تحاول إبعاد «هاجريد» عن التدريس».

خفض «مالفوى» صوته وهو يجيب: «حسنًا.. نعم .. إلى حد ما، ولكن هناك فوائد أخرى أيضًا.. «ويزلى» .. أرجو أن تقطع لى هذه الشرائح .. أترى؟!»

على بعد عدة مقاعد كان «نيفيل» يواجه مشكلة، وقد كان يواجه دومًا صعوبات فى دروس الوصفات، والتى كانت بالنسبة له أسوأ المواد، كما أن خوفه الشديد من الأستاذ «سناب» سبب

آخر جعل الأمور أكثر سوءًا، فقد تحولت وصفته التى كان من المفترض أن تكون حمضية خضراء لامعة إلى ...

«برتقالى يا لونج بوتوم؟!»

قالها الأستاذ «سناب» وهو يلقى بشىء ما؛ حتى يستطيع أن يرى الجميع اللون، ثم تابع: «ألم تسمعنى أقول إننا نحتاج فأرًا واحدًا فقط؟».

استحال لون «نيفيل» إلى لون شاحب وهو يرتعش، وبدا أنه على وشك أن تدمع عيناه، فقالت «هيرميون»: «سيدى .. عفوًا .. أنا أستطيع مساعدة «نيفيل» فى عمل الوصفة بشكل صحيح».

قال «سناب» ببرود: أنا لا أذكر أننى طلبت منك أن تعرضى مساعدتك يا آنسة «جرانجر».

احمر وجه «هيرميون» خجلاً، فعاد يتابع: «فى نهاية الدرس سنعطيك بعض النقاط لهذه الوصفة، ونرى ما سيحدث عسى أن يشجعك هذا على تقديمها بشكل سليم».

ثم ابتعد وقد ترك «نيفيل»، وقد تقطعت أنفاسه، ثم صاح «سيموس»: «هارى» .. هل سمعت ؟! لقد نشرت جريدة المتنبئ اليومى أن أحدهم قد رأى «سيريوس بلاك».

تساءل «رون» و«هارى» معًا: أين؟!

وفى حين كان «مالفوى» على الجانب الآخر من المنضدة منصتًا قال «سيموس»: «بالقرب من هنا .. لقد رآه أحد العامة، وبالطبع فهو لا يدرك الأمر فالعامة يظنون أنه مجرد مجرم

هارب، أليس كذلك؟ لذلك فقد اتصل بالخط الساخن، وعندما حضرت وزارة السحر للمكان كان قد ذهب».

ردد «رون» وهو ينظر نحو «هارى»: «ليس بعيدًا عن هنا؟!».

ثم استدار ليرى «مالفوى» يتابع الأمر، فقال: «ماذا يا «مالفوى»؟ هل تريد شيئًا آخر؟».

ولكنه لم يجب، وإنما لمعت عيناه بخبث وهو ينظر نحو «هارى» قبل أن يميل على المنضدة، ثم قال: «أيمكنك القبض على «بلاك» بيد واحدة يا «بوتر»؟»

أجاب «هارى»: «نعم».

فالتوى فم «مالفوى» عن ابتسامة خبيثة، ثم تابع: «لو كنت مكانك لفعلت شيئًا قبل ذلك، ولما كنت مكثت فى المدرسة كالفتى الطيب، وإنما كان يجب أن أخرج للبحث عنه..». فقاطعه «رون» متسائلاً: «عم تتحدث يا مالفوى؟».

ضاقت عيناه وهو يقول: «ألا تعرف يا «بوتر»؟».

فتساءل «هارى»: «أعرف ماذا؟».

أطلق «مالفوى» ضحكة عالية، ثم قال: «من الأفضل ألا تخاطر بحياتك، ودع الأمر لحراس «أزكابان»، أليس كذلك؟» ولكننى لو كنت مكانك لطلبت الثأر وألقيت القبض عليه بنفسى».

قال «هارى» بغضب: «ماذا تقول؟».

وهنا صاح «سناب»: «يجب أن تنتهوا من هذه الوصفة الآن

حتى نضيف الحبوب قبل الشرب، وبعدها يمكنكم الخروج حتى تنضج، وبعد ذلك سنختبر وجبة .. «لونج بوتوم»»».

ضحك كل من «كراب» و«جويل» وهما يشاهدان عرق «نيفيل» يتصبب من جبهته كالمحموم وهو يعد وصفته، أما «هيرميون» فكانت تمليه الخطوات بجانب فمها؛ حتى لا يراها «سناب»، فى خين ذهب كل من «هارى» و«رون» بعد أن جمعا أدواتهما حتى يغتسلا، ثم استقرا فى هذه الزاوية الحجرية قبل أن يتساءل «هارى»: «ما الذى كان يعنيه «مالفوى»؟ ولماذا أثأر من «بلاك»؟ إنه لم يفعل لى أى شىء حتى الآن».

قال «رون»: «إنه يقول أى شىء حتى يدفعك لتصرف أحمق».

فى نهاية الدرس توجه «سناب» إلى «نيفيل» وشاهد ما يعمله، ثم قال: «أرجو أن يأتى الجميع إلى هنا ليشاهدوا ما يحدث مع «لونج بوتوم» إذا كان قد أعد وصفة الانكماش بشكل صحيح، وإن كنت أشك فى ذلك، فوصفته تبدو مسممة».

وشاهد تلاميذ «جريفندور» ما يحدث فى خوف، فى حين بدا تلاميذ «سليذرين» فى سرور، فقام «سناب» بأخذ ملء ملعقة من إناء «نيفيل»، وقدمها إلى «تريفور» الذى ابتلعها، ثم صدر عنه صوت قصير قبل أن ينكمش إلى حجم أصغر، فانفجرت عاصفة تصفيق بين صفوف «جريفندور»، فى حين أخرج «سناب» زجاجة حمراء صغيرة وضع منها بعض النقاط فى فم «تريفور»

فعاد إلى حجمه الطبيعى، ثم قال: سأخصم خمس نقاط من تلاميذ «جريفندور، فقد أخبرتك ألا تساعديه يا آنسة «جرانجر» .. انصراف».

صعد كل من «هارى» و«هيرميون» سلم بهو المدخل، وكان «هارى» لا يزال يفكر فيما قاله «مالفوى» ، أما «رون» فكان يفكر فيما فعله «سناب»، فقال: «يخصم منا خمس نقاط؛ لأن الوصفة كانت سليمة؟ لماذا لم تكذبى يا «هيرميون»؟ كان يجب أن تقولى أن «نيفيل» قد أعدها بنفسه».

ولم تجب «هيرميون»، فنظر «رون» حوله متسائلاً: «أين هى؟».

استدار «هارى» أيضًا بحثًا عنها، كانا فى أعلى السلم والتلاميذ يمرون بجانبهما متجهين إلى البهو العظيم لتناول الطعام، قال «رون»: «لقد كانت خلفنا مباشرة».

وعبر «مالفوى» إلى جوارهم بين «كراب» و«جويل»؛ فابتسم تلك الابتسامة الخبيثة دون أن ينطق، ثم اختفى قبل أن يقول «هارى»: «ها هى».

كانت «هيرميون» تصعد السلم سريعًا، وفى إحدى يديها تحمل حقيبتها، بينما تحمل شيئًا آخر اختفى أسفل ملابسها فى اليد الأخرى، فقال «رون»: «كيف فعلت ذلك؟».

قالت «هيرميون» عندما وصلت إليهم: «ماذا؟».

أجابها: «منذ دقيقة كنت خلفنا مباشرة، وفى الدقيقة التالية رأيناك تصعدين السلم مرة أخرى».

بدا الارتباك على وجه «هيرميون» قبل أن تقول: «ماذا؟ .. آه .. يجب أن أعود حتى .. آه .. لا .. ».

وفجأة أفلت أحد أحزمة حقيبتها ولم يندهش «هارى» عندما رأى الحقيبة وقد اكتظت بعشرة كتب ثقيلة على الأقل، فسألها «رون»: «لماذا تحملين كل هذا معك؟».

أجابته بأنفاس متقطعة: «أنت تعرف عدد المواد التى أدرسها .. ألا تحمل هذه عنى؟».

وأدار «رون» الكتب التى أعطتها له حتى يقرأ عناوينها، ثم قال: «إنك لن تدرس أيًا من هذه الكتب فيما عدا الدفاع ضد السحر الأسود!».

قالت: «آه .. نعم».

ثم أعادت الكتب للحقيبة كما كانت قبل أن تتابع: «أتمنى أن يكون هناك شىء جيد على الغداء، فأنا أتضور جوعًا».

ثم اتجهت سريعًا نحو البهو العظيم، فتساءل «رون»: «هل راودك شعور أن «هيرميون» تخفى شيئًا ما؟».

لم يكن الأستاذ «لوبين» موجودًا عندما وصلوا إلى فصل الدفاع ضد السحر الأسود فى أول دروسهم، فجلسوا جميعًا وأخرجوا كتبهم ورقعهم، وراحوا يتحدثون حتى دخل إلى الحجرة، فابتسم الأستاذ «لوبين»، ووضع حقيبته الصغيرة على المكتب وقد بدا أن صحته قد أصبحت أفضل مما كانت عليه فى القطار، ثم قال: «مساء الخير .. أرجو أن تعيدوا كتبكم إلى

حقائبكم فسيكون درس اليوم درسًا عمليًا، ولن نحتاج إلا إلى العصى السحرية فقط».

تبادل بعض التلاميذ نظرات فضول؛ فلم يسبق لهم حضور درس دفاع عملى؛ إلا إذا احتسبنا ذلك الدرس فى العام الماضى، عندما أحضر معلمهم السابق قفصًا مليئًا بالحشرات، وأطلقها فى الفصل.

وعندما لاحظ الأستاذ «لوبين» أن الجميع قد استعدوا، قال: «حسنًا إذن .. أرجو أن تتبعونى».

وفى ارتباك يشوبه الفضول، نهض التلاميذ، وتبعوا الأستاذ «لوبين» خارج الفصل، فقادهم إلى ممر مهجور حتى وصلوا إلى باب حجرة هيئة التدريس، فقال الأستاذ «لوبين» وهو يفتح الباب: «تفضلوا بالدخول».

وكانت الغرفة مليئة بالمقاعد، ولكنها خالية إلا من الأستاذ «سناب» الذى جلس فى مقعد ذى يدين، وراح ينظر حوله عندما دخل التلاميذ إلى المكان، وقد لمعت عيناه، وبدا على شفتيه شبح ابتسامة؛ حتى دخل الأستاذ «لوبين» وأغلق الباب، فقال: «دع الباب مفتوحًا يا «لوبين» فيبدو أن أحدًا لم يحذرك من وجود «نيفيل لونج بوتوم» ضمن هذا الفصل، وأنصحك ألا تثق به أثناء أى عمل صعب، إلا إذا كانت الآنسة «جرانجر» تهمس بخطوات العمل فى أذنه».

بدا على وجه «نيفيل» إحراج شديد فى حين حدج «هارى»

«سناب» بنظرة حادة، ثم رفع الأستاذ «لوبين» حاجبيه فى دهشة قائلاً: «لقد كنت أتمنى أن يساعدنى «نيفيل» فى القسم الأول».

فى حين التوت شفتا «سناب» الذى غادر الحجرة وصفق الباب خلفه، فقال الأستاذ «لوبين» وهو يوجه نظر تلاميذ الفصل إلى مؤخرة الحجرة التى لم يكن بها سوى خزانة ملابس قديمة يضع فيها المعلمون ملابسهم، وتوجه «لوبين» إلى جوارها فصدر عنها هزة مفاجئة وهى تبتعد عن الحائط: «لا يوجد ما تقلقوا بشأنه فهناك «بوجارت».. بالداخل».

وأحس معظمهم أنه شىء يستحق أن يقلقوا بشأنه، وبدت فى عينى «نيفيل» نظرة رعب واضحة، فقال الأستاذ «لوبين»: «إن «بوجارت» يحب الأماكن المغلقة المظلمة، مثل هذه الخزانة أو أسفل الفراش، أو فى الخزانات الموجودة أسفل أى حوض، لقد وجدت أحدهم ذات مرة فى ساعة جدى القديمة، ولقد تحرك هنا بالأمس فطلب منى المدير أن أحضركم لتنالوا شيئًا من التدريب، وأول سؤال سيتبادر إلى أذهاننا هو ما هذا الشىء المسمى «بوجارت»؟

دفعت «هيرميون» يدها ثم أجابت: «إنه كائن متحول يستطيع أن يتخذ شكل أى شىء مخيف».

قال الأستاذ «لوبين» مشجعًا: «ما كنت أستطيع أن أضع تعريفًا أفضل من ذلك، حسنًا.. إن «بوجارت» يجلس فى الظلام، ولا يجد

شكلاً يظهر به؛ فهو لا يعرف ما الذى سيخيف الشخص الذى سيواجهه .. لا أحد يعرف ما شكل «بوجارت» عندما يكون وحده، ولكن حينما أخرجه سيصبح شكله هو أكثر ما يخيف أى واحد منا، وهذا يعنى أننا نملك ميزة مهمة هنا، هل تعرف ما هى يا «هارى»؟

أجاب «هارى»: «نعم .. إن عددنا كبير ولن يعرف أى شكل يجب أن يتخذه».

أجابه الأستاذ «لوبين»: هذا صحيح فمن الأفضل دومًا أن يكون هناك من يرافقك عند مواجهتك لـ «بوجارت»؛ لأن هذا يربكه؛ فماذا عساه يكون؟!

ترى هل جسد بلا رأس؟ أم أحد آكلى لحوم البشر؟ لقد رأيت أحدهم يرتكب خطأ ويحول نفسه إلى بعوضة، وأكثر شىء مثير أثناء تعاملك مع «بوجارت» هو أن قوتك الذهنية تستطيع أن تجعله ضعيفًا، فمجرد ضحكة يمكن أن تقضى عليه، وكل ما نحتاجه هو أن تدفعه لاتخاذ الشكل الذى تريده، وسنبدأ بدون العصا السحرية أولاً، هيا رددوا معى: «ريديكولوس»!

فردد الجميع: «ريديكولوس».

قال الأستاذ «لوبين»: «رائع ولكن هذا هو الجزء اليسير، فأنتم ترون أن الكلمة وحدها غير كافية، وهذا هو دورك يا «نيفيل».

اهتزت الخزانة مرة أخرى، ولكن ليس مثل «نيفيل» الذى راح يرتعش وهو يتقدم حولها؛ حتى قال الأستاذ «لوبين»: «حسنًا يا «نيفيل» .. ما أكثر شىء يثير خوفك فى العالم؟».

تحركت شفتا «نيفيل» دون أن يصدر عنه أى صوت، فقال المعلم: «عفوًا.. أنا لم أسمع ما قلت».

فنظر «نيفيل» حوله كما لو كان يطلب المساعدة، ثم قال بصوت يعلو قليلاً فوق الهمس: «الأستاذ سناب».

وضحك الجميع حتى «نيفيل» نفسه بدت على وجهه ابتسامة، فى حين ظل الأستاذ «لوبين» يفكر، ثم قال: «الأستاذ «سناب»؟! نيفيل.. أنا أعرف أنك تعيش مع جدتك».

أجاب «نيفيل» بعصبية: «نعم، ولكننى لا أريد أن يتحول «بوجارت» إلى شكلها أيضًا».

فقال الأستاذ «لوبين»: «لا .. لا .. لقد أسأت فهمى.. إننى أتساءل: هل يمكنك أن تخبرنا ما نوع الملابس التى تفضل جدتك ارتداءها؟».

بدت الدهشة على وجهه، ولكنه أجاب: «حسنًا .. إنها ترتدى دومًا نفس القبعة الطويلة والفستان الأخضر، وأحيانًا فراء ثعلب».

عاد الأستاذ «لوبين» يتساءل: «وحقيبة يد؟».

أجاب «نيفيل»: «نعم .. حقيبة حمراء كبيرة».

عاد الأستاذ «لوبين» يقول: «حسنًا .. هل يمكنك تصور هذه الملابس بوضوح يا «نيفيل»؟ أعنى هل يمكنك أن تتخيلها فى ذهنك؟».

فأجاب «نيفيل» وهو يتساءل فى ذهنه عن الخطوة التالية: «نعم».

فتابع الأستاذ «لوبين»: «عندما يندفع «بوجارت» من باب الخزانة، سيراك ويتخذ شكل الأستاذ «سناب»، وهنا ترفع عصاك وتصيح «ريديكولوس»، وتركز بشدة فى ملابس جدتك، وإذا سار كل شىء على ما يرام، فسنرى الأستاذ «سناب» مرتديًا القبعة والفستان الأخضر، وهو يحمل الحقيبة الحمراء الكبيرة».

ضج الفصل بالضحك، ثم تحركت الخزانة بعنف أكثر قبل أن يقول الأستاذ «لوبين»: «إذا نجح «نيفيل» سيوجه «بوجارت» انتباهه إلى أى واحد منا، وأريد من كل منكم أن يفكر فى أكثر شىء يخيفه، ثم يتخيل كيف يجعله يبدو مضحكًا».

وغرقت الحجرة فى الصمت، وراح «هارى» يتساءل: ما أكثر شىء يخيفه فى العالم؟

وكان أول ما خطر على فكره هو لورد «فولدمورت» الذى عاد لكامل قوته، ولكن قبل أن يستطيع التفكير بخطة تمكنه من الدفاع ضد صورة «فولدمورت» الشريرة، وتحويلها إلى صورة مضحكة؛ باغتته رعدة، فالتفت حوله وهو يتمنى ألا يكون قد رآه أحد، ولكن، وجد معظم الموجودين وقد أغلقوا أعينهم، و«رون» يتمتم: «انزع أقدامى» وعرف «هارى» ما كان يفكر به «رون»، لقد كان أكثر شىء يخيفه هو العناكب، وأخيرًا تساءل الأستاذ «لوبين»: «هل استعد الجميع؟».

وشعر «هارى» بالخوف، فلم يكن قد استعد بعد، فكيف يمكن أن يجعل أحد حراس «أزكابان» يبدو أقل إثارة للخوف، ولكنه لم

يشأ يطلب وقتًا أطول، فقد أومأ الجميع بالموافقة، فقال الأستاذ «لوبين»: «فليتراجع الجميع حتى يستطيع «نيفيل» أن يرى بوضوح».

وتراجع الجميع نحو الحوائط وتركوا «نيفيل» وحده بجوار خزانة الملابس، وقد بدا عليه الذعر والشحوب، ولكنه رفع أكمامه وعصاه السحرية، فقال الأستاذ «لوبين» الذى كان يشير بعصاه إلى الخزانة: «عند رقم ثلاثة يا «نيفيل» هيا .. واحد .. اثنان.. ثلاثة .. الآن».

وخرج تيار من النجوم البراقة من طرف عصاه نحو الخزانة، فانفتح بابها، وخرج منها الأستاذ «سناب» وعيناه تلمعان، وهو ينظر نحو «نيفيل» الذى تراجع وعصاه مرفوعة، وفمه يتحرك دون أن ينطق، و«سناب» يتقدم نحوه حتى اقترب منه جدًّا، فصاح «نيفيل»: «ر–ى–د–ى كولوس».

وهنا ارتفع صوت فرقعة فى المكان، ورأى الجميع «سناب» يرتدى فستانًا طويلاً، وقبعة وحقيبة جلدية عملاقة فريدة، فوقف «بوجارت» مرتبكًا، وهنا صاح الأستاذ «لوبين»: «فليتقدم بارفاتى».

وتقدم «بارفاتى» وواجه سناب لتصدر فرقعة أخرى، وحيث كان يقف؛ ظهرت بقعة دم صغيرة لم تلبث كثيرًا حتى تحولت إلى مومياء تحيط بها الأربطة البيضاء، استدار وجهها غير الظاهر نحو «بارفاتى»، وبدأت تسير نحوه ببطء شديد، فصاح: «ريديكولوس».

وهنا انفصل أحد أربطة المومياء الذى كان يحيط بقدمها؛ فتعثرت وسقطت على وجهها، فعاد الأستاذ «لوبين» يصيح: «سيموس».

دار «سيموس» خلف «بارفاتى» وصدر نفس الصوت، ثم تحولت المومياء إلى سيدة طويلة القامة، لها شعر أسود، ووجه أخضر اللون، فتحت فمها فملأ الغرفة صوت غريب؛ جعل شعر «هارى» يقف رعبًا قبل أن يصيح: «"سيموس».. «ريديكولوس"».

فانبعث صوت ضجيج قبل أن تتحول إلى فأر ظل يطارد ذيله ويدور حول نفسه، ثم صدر نفس الصوت حتى تحول إلى أفعى؛ فقال الأستاذ: «لوبين»: «هيا يا «دين»، إنه مرتبك، لقد كدنا أن نصل».

وأسرع «دين» للأمام ليصدر نفس الصوت قبل أن تتحول مرة أخرى إلى يد عملاقة، تقدمت زاحفة على الأرض، فصاح «دين»: «ريديكولوس».

وهنا تحولت اليد إلى «سناب» مرة أخرى، وهذه اليد تحيط برقبته، فقال الأستاذ «لوبين»: «رائع .. هيا يا «رون» .. أنت التالى».

مال «رون» للأمام ليصرخ بعض التلاميذ عند رؤيتهم لعنكبوت عملاق، طوله ستة أقدام، ومغطى بالشعر، بدأ يتقدم نحو «رون» وهو يحك أقدامه فى تهديد، وللحظة ظن «هارى» أن «رون» قد تجمد، ولكنه انفجر صائحًا: «ريديكولوس».

وهنا اختفت أقدام العنكبوت، وراح يتدحرج فوق أرضية

الحجرة حتى اقترب من قدمى «هارى»، فصاح الأستاذ «لوبين» وهو يسرع نحوه؛ فاختفى العنكبوت، وللحظة نظر الجميع حولهم بحثًا عنه؛ حتى وجدوا كرة فضية معلقة بالهواء أمام الأستاذ «لوبين»، ثم قال: «هيا يا نيفيل.. تقدم لتقضى عليه».

وبالفعل تقدم «نيفيل» صائحًا: «ريديكولوس».

فظهر «سناب» مرة أخرى، وانفجر «بوجارت» حتى تحول إلى مجموعة سحب دخانية قبل أن يختفى، فصاح الأستاذ «لوبين»: «ممتاز!!».

واندفع التلاميذ مصفقين ومهنئين: «ممتاز .. رائع يا «نيفيل»».

ثم قال الأستاذ «لوبين»: «رائع .. خمس نقاط لتلاميذ «جريفندور» وعشر لـ «نيفيل»؛ لأنه قام بها مرتين، وخمس لكل من «هيرميون» و«هارى»».

فقال «هارى»: «ولكننى لم أفعل شيئًا».

أجابه الأستاذ «لوبين»: «أنت و«هيرميون» أجبتما أسئلتى بشكل صحيح فى بداية الدرس يا «هارى».. حسنًا جميعًا، لقد كان درسًا ممتازًا، أما عن الواجب المنزلى، فأرجو قراءة فصل «بوجارت» وتلخيصه، وسأنتظر تسليمه يوم الإثنين، وهذا كل شىء».

غادر التلاميذ الحجرة «وهارى» لا يشعر بسعادة، فقد تعمد الأستاذ «لوبين» إبعاده عن التجربة .. لماذا؟ هل لأنه رأى

«هـارى» يفقد وعيه فى القطـار.. هل ظن أنه سيكررهـا مرة أخرى؟

ولكن زملاءه لم يلاحظوا أى شىء، وإنما راحوا يذكرون ما حدث:

– «اليد».

– و«سنـاب» وهـو يرتدى القبـعة.

– والموميـاء.

وقـال «لافندر» مفكرًا : «ولكن لمـاذا يـخشى الأستـاذ «لوبين» الكرات البللورية».

ثم قـال: «رون» وهـم يعودون للفصل لإحضـار حقـائبهم: «لقد كـان أفضل دروس الدفـاع ضد السحر الأسود».

ثم قـالت «هيرميون»: «يبدو أنـه معلم جيد بـالفعل، وأتمنى أن أقوم بمحـاولة مع «بوجـارت»».

فـأجـابـهـا «رون» سـاخرًا: «ومـا الذى يمثلـه هذا لك؟ هل هـو واجب مدرسى ستحصلين فيه على تسع درجـات من عشر؟!».

* * *

٨ رحلة السيدة البدينة

لم تمضِ سوى فترة قصيرة، أصبح فيها علم الدفاع ضد السحر الأسود، هو المادة المفضلة لدى جميع الأولاد، فيما عدا – بالطبع– «دراكوُ مالفوى» وعصابته، الذى كان يقول كلما مر بجواره الأستاذ «لوبين»: انظروا إلى ملابسه.. إنه يرتدى ملابس مثل التى يرتديها الحراس فى منزلنا.

لكن أحدًا آخر لم يكن يهتم بملابس الأستاذ «لوبين»، فقد كانوا يتابعون دروسه الرائعة، فبعد درسه الأول عن البوجارت.. جاء درسه التالى عن الكائنات ذات القبعات الحمراء التى تشبه الأقزام الأسطورية، والتى تتواجد حيث توجد الدماء.. مثل الزنازين فى القلاع العتيقة ، وأماكن المعارك القديمة.. والممرات المهجورة التى تكثر فيها الجرائم الدامية.. ومن الأقزام القرمزية انتقل إلى الكاباس، وهى كائنات مائية تشبه القرود، وتسارع إلى التهام أى شخص يسقط فى البرك..

لكن بقية المواد لم تكن بمثل هذه الروعة.. وكان أسوؤها بالنسبة «لهارى» دروس الوصفات.. والتى يدرسها لهم الأستاذ «سناب»، الذى كان شديد الغضب.. ولسبب معروف، فقد انتشرت قصة «نيفيل» الذى جعل «سناب» يرتدى ملابس جدته.. كما تنتشر النار فى الهشيم.. وظهر الغضب واضحًا فى عينى «سناب» كلما نظر إلى «نيفيل»..

كان «هارى» أيضًا لا يطيق الساعات التى يقضيها فى فصل الأستاذة «تريلاونى» الذى يستقر فى حجرة البرج، ويمتلئ بالأشكال والرموز الغريبة، وأيضًا كان يحاول تجنب عينى أستاذته كلما نظرت إليه وقد ملأتهما الدموع.

لم يكن يحب الأستاذة «تريلاونى» رغم أن الجميع كانوا يعاملونها باحترام، وكان كل من «بارفاتى باتيل» و«لافندر براون» يذهبان إلى حجرتها فى البرج فى أوقات الغداء، ودائمًا يعودان وعلى وجهيهما تعبير يوحى بالضيق، رغم أن ذهابهما هناك كان يتيح لهما معرفة أشياء لا يعرفها غيرهما، كذلك فقد بدأا يتحدثان إلى «هارى» همسًا كما لو كانا يكلمانه وهو على فراش الموت.

أما العناية بالمخلوقات السحرية فلم يحبها أحد، فبعدما حدث فى الدرس الأول: صارت الدروس مملة للغاية، وبدا أن «هاجريد» قد فقد ثقته بنفسه، وكانوا يقضون الدروس فى تعلم العناية بـ «ملوب ورس» وهو أكثر الكائنات إثارة للملل.

ومع ذلك فقد كان «هارى» ينتظر حدثًا مهمًا فى الأول من أكتوبر، شىء ممتع سيثير روح الرضا بين زملائه، ويخفف حدة الملل الذى يشعر به من الدروس، فقد كان موسم «كويدتش» على وشك البدء، ولذلك فقد دعا «أوليفر وود» كابتن تلاميذ «جريفندور» إلى اجتماع مساء يوم الخميس؛ لمناقشة خطط الموسم الجديد.

وكـان فـريـق «الـكـويـدتش» يـتـكـون مـن سـبـعـة لاعـبين، ثـلاثـة مطاردين؛ وظيفتهم وضع الـ «كوافل» و(هـى كرة حمراء صغيرة) خلال أطواق يصل ارتفاعها إلى خمسين قدمًا، وُضِعَ واحد منها فـى أحـد طـرفـى الملعب، واثـنـان مـن الضـاربين وهـمـا يـتـولـيـان الدفـاع عن بـاقـى لاعبى الفريق من خطر كرات «البلادجر»، وهـى كرات سوداء ثقيلةٍ تدور فى الملعب فى محاولة لمهاجمة لاعبى الفريق، وكذلك يوجد بالفريق حارس للدفـاع عن الأهداف، أما الـبـاحث فـهـو الـذى يـتـولى أكبر المهـام، وهـى محاولـة الإمسـاك بالكرة الذهبية، وهى كرة صغيرة ذات ذراعين ومن يمسك بها ينهى المبـاراة، ويحصل على مائة وخمسين نقطة إضافية.

وكان «أوليفر وود» فى السابعة عشرة من عمره وهو بالصف السابع والنهائى فى «هوجوورتس»، وكان صوته به نوع من الإحباط وهو يخاطب باقى زملائه الستة فى الفريق، فى غرفة تغيير الملابس على حافة ملعب «كويدتش» المظلم قائلاً: «هذه هى فرصتنا الأخيرة .. حتى نفوز بكأس «كويدتش»» كان يروح ويجىء أمامهم أثناء حديثه ثم تابع: «سأترك المدرسة الأسبوع القادم، ولن أحصل على فرصة أخرى مطلقًا. إن فريق «جريفندور» لم يـفـز مـنـذ سـبـع سـنـوات، لـقـد صـادفـنـا أسوأ حظ فـى الـعـالم.. إصابات.. ثم إلغاء الدورى فى العام الماضى، وازدرد «وود» لعابه وكأنما كانت الذكرى لا تزال تصيبه بغصة كلما ذكرها، ثم تابع: «ولكننا نعلم أيضًا أننا نملك أفضل فريق فى المدرسة».

راح يضرب قبضته فى راحة اليد الأخرى وهو يتابع: «لدينا ثلاثة من أفضل المطاردين» ثم أشار إلى كل من «أليسيا سبينيت» و«أنجيلينا جونسون» و«كاتى بيل» ثم تابع: «ولدينا ضاربان لا يقهران».

فقال «فريد» و«جورج» متظاهرين بالحرج: «توقف يا «أوليفر»، إنك تحرجنا هكذا» ثم نظر نحو «هارى» بفخر شديد قائلاً: «كما أن لدينا باحثًا لم يخفق فى الفوز بمباراة لنا» ثم أضاف أخيرًا: و«أنا».

قال «جورج»: «ونحن نرى أنك لاعب جيد جدًّا أيضًا يا «أوليفر»».

ثم قال «فريد»: «حارس رائع».

عاد «وود» يتابع: «المهم أن اسمنا لابد أن يوضع على الكأس، فمنذ أن التحق «هارى» بفريقنا وأنا أظن أن الكأس قد أصبح لنا، ولكننا لم نحصل عليه، وهذا العام هو آخر فرصة لنا حتى نرى اسمنا على هذا الكأس».

ورغم الإحباط الذى كان يبدو فى صوت «وود» فقد كان «فريد» و«جورج» متفائلين فقالا: «أوليفر.. هذا العام هو عامنا».

وقالت «أنجيلينا»: «سنفوز يا أوليفر».

ثم قال «هارى»: «بالتأكيد».

وبدأ الفريق تدريبه ثلاث مرات مسائية كل أسبوع، وكان الجو يزداد برودة ورطوبة وتزداد الليالى إظلامًا، ولكن أيًّا من هذه الظروف لن تمنع «هارى» من تصور حصوله أخيرًا على كأس

الكويدتش الفضى، وذات ليلة وبعد التدريب عاد «هارى» إلى حجرة «جريفندور» العامة، وهو يشعر بالبرودة والإجهاد وبالسعادة كذلك لما سار عليه حال التدريب، ثم سأل «رون» و«هيرميون» اللذين كانا يجلسان على اثنين من أفضل المقاعد بجوار المدفأة، وهما يطالعان إحدى خرائط علم الفلك: «ماذا حدث؟».

أجاب «رون»،وهو يشير إلى إعلان معلق: «أول إجازات «هوجسميد» فى نهاية أكتوبر».

قال «فريد» الذى تبع «هارى» إلى المكان: «رائع .. إننى أتشوق لهذه الرحلة».

ألقى «هارى» بنفسه على المقعد المجاور لـ «رون» وقد تعرضت معنوياته لهبوط مفاجئ، وبدا أن «هيرميون» تقرأ أفكاره؛ فقالت: «هارى» أنا واثقة أنه سيمكنك الذهاب فى المرة القادمة، فمن المؤكد أنهم سيلقون القبض على بلاك قريبًا، فقد رآه أحدهم بالفعل».

ثم قال «رون»: «إن بلاك ليس بالحماقة التى تجعله يحاول عمل أى شىء فى «هوجسميد»، فلنطلب من «ماكجونجال» أن تذهب هذه المرة، فالرحلة القادمة ستكون بعد فترة طويلة».

قالت «هيرميون»: ««رون» .. يجب أن يبقى «هارى» بالمدرسة».

قال «رون»: «لا يمكن أن يكون هو الوحيد الذى نتركه من الصف الثالث، فلتطلب من «ماكجونجال» السماح لك بالذهاب يا «هارى»».

قال «هارى» وهو يفكر: «نعم، سأفعل ذلك».

وفتحت «هيرميون» فمها فى محاولة لمناقشته، ولكن «كروكشانكس» اختار هذه اللحظة ليقفز فوق قدميها، ومن فمه يتدلى عنكبوت ميت.

فقال «رون»: «هل يجب أن يأكل هذا أمامنا؟».

قالت «هيرميون»: إن «كروكشانكس» ماهر، هل استطعت أن تفعل مثله قبل ذلك؟».

راح «كروكشانكس» يمضغ العنكبوت ببطء، وعيناه الصفراوان مركزتان على «رون» الذى قال وهو يستدير نحو خريطته مرة أخرى: «أرجو أن يظل بعيدًا؛ لأن «سكابرز» نائم فى حقيبتى».

تثاءب «هارى» فقد كان يرغب فى النوم فعلاً، ولكن كان عليه أن يكمل خريطته، فجذب حقيبته أمامه، وأخرج رقعة جلدية وحبرًا وريشة وبدأ العمل.

قدم «رون» خريطته إلى «هارى» بعد أن أكملها قائلاً: «يمكنك أن تنقل خريطتى إذا أردت».

لوت «هيرميون» شفتيها فقد كانت لا تحب فكرة النقل، ولكنها لم تقل شيئًا، فى حين كان «كروكشانكس» لا يزال ينظر إلى «رون» يرمش وهو يهز مؤخرة ذيله الكثيف، ودون أى إنذار وثب نحو حقيبة «رون» الذى صاح: «لا .. ابتعد أيها الحيوان الأحمق».

وحاول جذب الحقيبة بعيدًا عن «كروكشانكس»، ولكن الأخير تمسك بها، فقالت «هيرميون»: «رون .. لا تؤذه» ووقف كل من بالحجرة يشاهدون ما يحدث، فقد أمسك «رون» بالحقيبة وراح

يطوحـهـا بـيـنـمـا لا يـزال «كـروكـشـانـكـس» مـتـشـبـثًـا بـهـا، ثـم خـرج «سـكـابـرز» طـائـرًا مـنـهـا.

فـصـاح «رون» عـنـدمـا رأى «كـروكـشـانـكـس» يـتـرك الـحـقـيـبـة ويـنـطـلـق مـطـاردًا «سـكـابـرز» الـمـذعـور: «أمسكوا هذا القط!».

وحاول «جورج ويزلى» الإمساك به، ولكنه لم ينجح، فراح «سكابرز» ينتقل بين عشرين زوجًا من السيقان قبل أن يندفع تحت مجموعة أدراج قديمة، فمد «كروكشانكس» قائمته الأمامية وبدأ بخمش المساحة الموجودة أسفل هذه الأدراج بمخالبه بحثًا عن الفأر المسكين.

وهنا أسرع «رون» و«هيرميون» التى جذبت «كروكشانكس» وحملته بعيدًا، أما «رون» فقد ألقى بنفسه على الأرض ومد يده بصعوبة شديدة حتى استطاع إخراج «سكابرز» ثم قال وهو يحمله أمام «هيرميون»: «انظرى إنه مجرد جلد وعظم، ويجب أن تبعدى هذا القط عنه».

قالت «هيرميون» وصوتها يرتعش: «إن «كروكشانكس» لا يفهم أن هذا خطأ، وجميع القطط تطارد الفئران يا «رون»».

فقال: «رون» الذى كان يحاول بصعوبة إدخال «سكابرز» إلى جيبه: «هناك شىء غريب فى هذا الحيوان، لقد سمعنى وأنا أقول إن «سكابرز» موجود بالحقيبة».

قالت «هيرميون» بنفاد صبر: «يا لك من أحمق، لقد شم «كروكشانكس» رائحته يا «رون».. وإلا فكيف عرف؟».

قال «رون» متجاهلاً كل من حوله: «هذا القط يتعمد مضايقة «سكابرز»، و«سكابرز» كان هنا أولاً.. كما أنه مريض».

ثم أسرع «رون» خارج الحجرة وغاب عن نظرهم وهو يصعد السلم متجهًا لجناح نوم الأولاد!

وظل «رون» على خلاف مع «هيرميون»، فى اليوم التالى لم يتكلم معها خلال درس علم الأعشاب، رغم أنه كان يعمل معها ومع «هارى»؛ حتى تساءلت «هيرميون»: «كيف حال سكابرز؟».

أجابها «رون» بغضب: «مختبئ أسفل فراشى وهو يرتعش».

ولم يلحظ «رون» من شدة غضبه حبات الفول التى سقطت منه على الأرض، فصاح الأستاذ «سبراوت» عندما بدأت الحبات تزهر أمام أعينهم: «احترس يا «ويزلى».. احترس».

وكان الدرس التالى هو أحد دروس التحول، وكان «هارى» ينوى أن يطلب من الأستاذة «ماكجونجال» بعد الدرس أن تصرح له بالذهاب إلى «هوجسميد» مع باقى زملائه، وخرج من الفصل وهو يحاول ترتيب الكلمات التى سيطلب بها هذا الطلب، ولكن قاطعه شىء فى الصف الأمامى، كانت «لافندر براون» تبكى، فى حين كانت «بارفاتى» تحيطها بذراعها وتحاول توضيح شىء ما إلى «سيموس فينجيان» و«دين توماس»؛ اللذين بدت عليهما الجدية، وهنا تساءلت «هيرميون» عندما ذهب «هارى» و«رون» للحاق بها: «ما الأمر يا «لافندر»؟».

همست «بارفاتى»: «لقد وصلها خطاب من المنزل اليوم، لقد قتل أحد الثعالب أرنبها «بينكى».

قالت «هيرميون»: «أنا آسفة لذلك يا «لافندر»».

قالت «لافندر» بحزن: «كان يجب أن أعرف ذلك.. أتعلمين أى يوم هذا؟.. إنه السادس عشر من أكتوبر!.. هذا الشيء الذى تخافين منه سيحدث يوم السادس عشر من أكتوبر.. أتذكرين؟ لقد كانت على حق .. كانت على حق!».

وكان جميع التلاميذ قد التفوا حول «لافندر» الآن، فهز «سيموس» رأسه بأسف، وترددت «هيرميون» قليلاً قبل أن تقول: «هل .. هل كنت تخشين أن يقتل أحد الثعالب «بينكى»؟».

قالت «لافندر» وهى تنظر نحو «هيرميون» بعينين زائغتين: «ليس ثعلبًا بالضرورة، ولكننى كنت أخشى موته.. أليس كذلك؟».

توقفت «هيرميون» قليلاً، ثم عادت تتساءل: «هل كان «بينكى» أرنبًا عجوزًا؟».

أجابتها «لافندر»: «لا .. لقد كان أرنبًا صغيرًا؟».

زادت «بارفاتى» من تشديد ذراعها المحيط بـ «لافندر»، ثم تساءلت «هيرميون»: «ولكن .. إذن لماذا كنت تخافين من موته؟».

وحدقت بها «بارفاتى» فى دهشة!!

فقالت «هيرميون» وهى تستدير إلى باقى التلاميذ: «فلننظر إلى الأمر بالمنطق .. أعنى أن «بينكى» لم يمت اليوم.. أليس كذلك؟

إن الخبر هو الذى وصل إلى «لافندر» اليوم، ولا يمكن أنها كانت تخشى ذلك لأن الأمر أصبح صدمة حقيقية..».

قال «رون» بصوت مرتفع: «لا تهتمى بما تقوله «هيرميون» يا «لافندر»، فهى لا تهتم بحيوانات الآخرين كثيرًا».

ومن حسن الحظ أن الأستاذة «ماكجونجال» فتحت باب الفصل، فقد كان «رون» و«هيرميون» على وشك العراك، وعندما اتجها إلى المقاعد جلس كل منهما على أحد جانبى «هارى»، ولم يتحدثا معًا طوال الدرس.

ولم يكن «هارى» قد قرر ما سيقوله للأستاذة «ماكجونجال» عندما سمع صوت الجرس معلنًا نهاية الدرس، ولكنها كانت أول من فتح موضوع «هوجسميد» فقالت للتلاميذ الذين هموا بالانصراف: «دقيقة واحدة .. أرجو أن تقدموا تصريحات الموافقة على الزيارة قبل نهاية أكتوبر.. ومن لم يقدم تصريحه لن يذهب إلى القرية.. فلا تنسوا».

رفع «نيفيل» يده قائلاً: «من فضلك يا أستاذة .. أنا .. أظن أننى فقدت....».

قالت الأستاذة «ماكجونجال»: «لقد أرسلت لى جدتك التصريح مباشرة يا «لونج بوتوم»، فقد ظنت أن ذلك سيكون أكثر أمنًا .. حسنًا، هذا كل شىء، يمكنكم الانصراف».

همس «رون» لـ «هارى»: «اسألها الآن».

حاولت «هيرميون»: «ولكن .. ».

فقال «رون» مقاطعًا: «هيا اذهب يا «هارى»».

انتظر «هارى» إلى أن انصرف باقى التلاميذ، ثم توجه بعصبية إلى مكتب الأستاذة «ماكجونجال»؛ فقالت: «نعم يا «بوتر»؟».

أخذ «هارى» نفسًا عميقًا ثم قال: «لقد نسى زوج خالتى أن يوقع تصريحى و....»، نظرت إليه الأستاذة «ماكجونجال» من خلف نظارتها المربعة دون أن تقول شيئًا، فعاد هو يقول: «لذلك.. هل.. هل تظنين أننى.. أعنى.. هل يمكننى أن أذهب إلى «هوجسميد»؟».

نظرت الأستاذة «ماكجونجال» لأسفل، وراحت ترتب الأوراق التى فوق مكتبها ثم قالت: «لا أظن يا «هارى».. لقد سمعت ما قلته، بدون تصريح لا يمكن زيارة «هوجسميد»، هذه هى القواعد».

قال «هارى» و«رون» يومئ له مشجعًا: «ولكن يا أستاذة.. إن خالتى وزوجها .. إنهما .. كما تعلمين.. إنهما من العامة.. ولا يعرفان.... لا يعرفان شيئًا عن «هوجوورتس» وقواعدها، فإذا سمحت لى بالذهاب ...» .

أجابته وهى تحمل أوراقها وتنهض: «ولكننى لن أفعل ذلك، إن التصريح يوضح إذا كان الوالدان قد صرحا بالزيارة».. ثم استدارت نحوه متابعة: «أنا آسفة يا «بوتر».. هى كلمتى النهائية ومن الأفضل أن تسرع، وإلا فستتأخر على درسك التالى».

لم يكن هناك ما يمكن فعله، وكان على «هارى» أن يتحمل تلاميذ فصله وهم يتحدثون بصوت مرتفع وسعادة عما

سيفعلونه أولاً عند ذهابهم إلى «هوجسميد»، فقال «رون» في محاولة للتخفيف عن «هاري»: «سيكون هناك وليمة .. وليمة الهالويين كما تعلم في المساء».

أجاب «هاري» بكآبة: «نعم .. عظيم».

وقد كانت ولائم الهالويين جيدة دائمًا، ولكنها ستكون أطيب إذا كانت ستأتي بعد يوم في «هوجسميد» مع الجميع، ولكن أحدًا لم يقل شيئًا يقلل من شعوره الحزين بأنه سيبقى وحده بعد أن يذهب الجميع، وقد عرض «دين توماس» الذي كان يجيد تقليد الخطوط أن يقلد توقيع العم «فيرنون» على التصريح، ولكن «هاري» أخبر الأستاذة «ماكجونجال» بالفعل أنه لم يحصل على التوقيع؛ لذلك فإن الأمر لن يكون مفيدًا، أما «رون» فقد اقترح استخدام عباءة الإخفاء، ولكن «هيرميون» اعترضت على ذلك وذكرته بما قاله «دمبلدور» عن حراس أزكابان، وقدرتهم على مقاومة هذه الخدعة، أما «بيرسي» فقد قال أقل الكلمات التي قد تريح هاري: «إنهم يثيرون جلبة كبيرة عن «هوجسميد»، أؤكد لك يا «هاري» أنها ليست كما تظن، صحيح أن محال الحلوى جيدة، ولكن محل «زونكو» خطر، وصحيح أن هناك أماكن تستحق الزيارة، ولكن يا «هاري» تأكد أنه لن يفوتك شيء».

وفي صباح يوم الهالويين استيقظ «هاري» مع الجميع وهبط لتناول الإفطار والكآبة تملؤه رغم محاولاته المستميتة أن يبدو طبيعيًا.

فقالت «هيرميون» وقد بدا عليها الأسف من أجله: «سنحضر لك الكثير من الحلوى».

فقال «رون»: «نعم .. الكثير والكثير».

وأخيرًا نسى هو و«هيرميون» خلافهما عن «كروكشانكس» أمام إحباط «هارى»، فقال «هارى»: «لا تقلقا بشأنى سأراكما فى الوليمة، وأتمنى أن تقضيا وقتًا طيبًا».

وصحبهما إلى بهو الدخول حيث كان «فليتش» حارس الرعاية يقف عند الباب الأمامى، وهو يراجع الأسماء فى قائمة طويلة، وهو يحدق فى كل وجه يمر أمامه حتى يتأكد من عدم تسلل أى أحد لم يدرج اسمه، وقال «مالفوى» وهو يقف بجوار «كراب» و«جويل»: «هل ستبقى هنا يا «بوتر»؟ هل تخشى المرور من أمام الحراس؟».

تجاهله «هارى» واتخذ طريقه على السلم متجهًا إلى برج «جريفندور»، مرورًا بالممرات الخالية حتى وصل أمام صورة السيدة البدينة التى قالت: «كلمة السر؟».

أجاب «هارى»: «فورتينا ماجور».

انفتحت اللوحة ونفذ هو منها إلى الصالة العامة التى امتلأت بتلاميذ الصفين الأول والثانى، وبعض التلاميذ الأكبر سنًا، والذين زاروا «هوجسميد» كثيرًا قبل ذلك، وسمع «هارى» صوت «كولين كريفى»: «مرحبًا يا «هارى»» وكان «كولين» أحد تلاميذ الصف الثانى، والذى كان كثير الاهتمام بـ «هارى»، ولا يدع أى

فرصة دون أن يتحدث معه فتساءل: «ألن تذهب إلى «هوجسميد» يا «هارى»؟.. لماذا؟» ثم استدار نحو زملائه وعاد يقول: «يمكنك أن تأتى لتجلس معنا إذا كنت تريد..»».

ولم يكن «هارى» فى حال تسمح له بالجلوس وسط عدد كبير من الأشخاص يحدقون بتلك الندبة التى تعلو جبهته، فقال: «لا.. شكرًا لك يا «كولين»»، سأذهب إلى المكتبة، فلدى عمل يجب أن أنجزه».

وهكذا لم يكن لديه خيار سوى أن يعاود الخروج عبر لوحة السيدة البدينة التى قالت عندما ابتعد: «هل كان هذا هو الهدف من إيقاظى؟». وتوجه «هارى» نحو المكتبة، ولكنه غير رأيه فى منتصف الطريق، فلم تكن لديه رغبة فى العمل، فاستدار ليجد نفسه وجهًا لوجه أمام «فليتش» الذى ودع لتوه زوار «هوجسميد»، فقال بشك: «ماذا تفعل؟».

أجاب «هارى» بصدق: «لا شىء»!

قال «فليتش» دون أن يبدو عليه أنه قد سر لسماع ذلك: «لا شىء؟ قصة لطيفة .. لماذا لم تذهب مع زملائك الصغار الأشقياء إلى «هوجسميد» لشراء الحلوى وما شابه؟».

ولم يجب «هارى» .. فعاد «فليتش» يقول: «حسنًا، عد إلى الحجرة»، وظل واقفًا يراقب «هارى» حتى غاب عن نظره.

ولكن «هارى» لم يعد إلى هناك، لقد صعد السلم وهو يفكر فى زيارة «هيدويج»، وسار ممرًا آخر قبل أن يسمع صوتًا من إحدى الغرف: «هارى؟».

وعاد «هاري» للخلف حتى يرى من يكلمه، فوجد الأستاذ «لوبين» ينظر من باب مكتبه، وتساءل بلهجة تختلف تمامًا عن لهجة «فليتش»: «ماذا تفعل؟ وأين «رون» و«هيرميون»؟».

أجاب «هاري» بصوت حاول أن يكون عاديًّا: «في هوجسميد».

فقال «لوبين: «آه.. لماذا لا تأتي للداخل؟ لقد تلقيت لتوي طردًا من أجل درسنا القادم».

تساءل «هاري»: «وما هو؟».

وتبع «لوبين» إلى المكتب، وفي الزاوية كان يوجد خزان مياه كبير، وبداخله مخلوق أخضر اللون له زوج من القرون الحادة، ووجهه ملتصق بالزجاج؛ فقال «لوبين»: «إنه عفريت ماء، ويسمى «جريندلو»، ولن تكون دراسة صعبة بالمقارنة بـ «كاباس»، وستكون الخدعة هي تحطيم قبضته، هل تلاحظ أصابعه الطويلة غير الطبيعية، إنها قوية، ولكنها هشة».

وهنا كشف «جريندلو» عن أسنانه الخضراء، ثم انزوى في ركن، فقال «لوبين»: «هل ترغب في بعض الشاي؟ لقد كنت أفكر في عمل البعض».

أجابه «هاري»: «حسنًا».

والتقط «لوبين» الإبريق ثم لمسه بطرف عصاه السحرية؛ ليتصاعد من فوهته البخار فجأة قائلاً: «اجلس .. آسف فليس لدي سوى أكياس شاي، وأظن أنك قد نلت ما يكفيك من أوراق الشاي.. أليس كذلك؟».

ونظر «هارى» نحوه متسائلاً: «كيف عرفت ذلك؟».

أجابه «لوبين» وهو يقدم له كوبًا من الشاى: «لقد أخبرتنى الأستاذة «ماكجونجال»، أنك لست قلقًا.. أليس كذلك؟».

أجاب «هارى»: بالطبع.

وللحظة فكر «هارى» أن يخبره عن ذلك الكلب الذى رآه فى «ماجنوليا كريسِنت»، ولكنه قرر ألا يفعل، فلم يكن يرغب أن يظن «لوبين» أنه جبان، خاصة بعد أن ظن أنه لن يستطيع التعامل مع «بوجارت».

ويبدو أن أحد أفكار «هارى» بدت على وجهه؛ فتساءل «لوبين»: «هل هناك ما يقلقك يا «هارى»؟».

أجاب «هارى» كذبًا: «لا»، ثم رشف قليلاً من الشاى قبل أن يقول ثانية: «نعم» وفجأة وضع الشاى على المكتب، ثم تابع: «هل تعرف هذا اليوم الذى واجهنا فيه «بوجارت»؟».

أجاب «لوبين» ببطء: «نعم».

تساءل «هارى»: «لماذا لم تسمح لى بمواجهته؟».

رفع «لوبين» حاجبيه ثم قال مندهشًا: «لقد كنت أظن الأمر واضحًا يا «هارى»».

وكان «هارى» يظن أن «لوبين» سينكر أنه قصد ذلك، فتساءل فى دهشة: «لماذا؟».

قال «لوبين»: «حسنًا .. لقد افترضت أنك إذا واجهت «بوجارت» فسيظهر فى صورة لورد «فولدمورت»».

حدق به «هـارى»، فـهى لم تكن فقط آخر إجـابة يتوقعـها، ولكن لأن «لوبين» نطق اسم «فولدمورت» الشخص الذى لم يسبق أن سمع من ينطق بـاسمه جـهرًا سوى الأستـاذ «دمبلدور» وهـو نفسه.

ثم قـال «لوبين» وهو لا يزال محملقًـا فى «هـارى»: «أظن أننى كنت مخطئًـا، ولكن وجدت أنه لن يكون أمرًا طيبًـا أن يتجسد «لورد فولدمورت» أمـام تلاميذ الفصل، فقد ظننت أن هـذا الأمر سيثير الذعر».

ثم قـال «لوبين» مفكرًا: «حسنًـا.. إنه موقـف مؤثر، وهـو الأمر الذى يرجح أن أكثر مـا تـخشاه هو الخوف نفسه».

عـاد يقول: «إذن.. فـأنت تعنى أننى كنت أظن أنك غير قـادر على مواجهة «بوجـارت»؟».

أجـاب «هـارى» وقد بدأت السعادة تبدو فـى صـوتـه: «حسنًـا .. نعم.. إن الحراس كمـا تعلم ...».

وقـاطعه صـوت طرقـات على البـاب، فصـاح الأستـاذ «لوبين»: «ادخل» وانفتح البـاب ليدخل «سنـاب» وهـو يحمل قزمًـا أسطوريًـا يدخن، ولم يلبث أن توقـف عندمـا رأى «هـارى» ثم ضـاقت عينـاه؛ فقـال «لوبين» مبتسمًـا: «آه .. سيفوس، شكرًا لك.. هل يمكن أن تتركه هنـا من أجلى؟».

وضـع «سنـاب» القزم المدخن على المكتب، وعينـاه تنتقلان بين «هـارى» و«لوبين» الذى قـال بسعـادة وهـو يشير إلى خزان المـاء: «لقد كنت أريـه «جريندیلو»».

فقال «سناب» دون أن ينظر إلى «جريندیلو»: «رائع . يجب أن تشرب هذا فورًا يا «لوبين»» ثم قدم له مشروبًا من أحد وصفاته.

فقال «لوبين»: «نعم .. نعم سأفعل».

ثم عاد «سناب» يتابع: «لقد أعددت المزيد إذا كنت تريد البعض».

ثم نظر إلى «هاری» نظرة لم ترق له قبل أن يخرج من الحجرة وهو يبتسم.

ونظر «هاری» نحو القزم بفضول، فابتسم «لوبين»، ثم رشف رشفة أخرى قبل أن يقول «هاری» وهو لا يزال ينظر نحو القزم: «إن الأستاذ «سناب» مهتم للغاية بالسحر الأسود».

قال «لوبين»: «حقًّا؟».

تردد «هاری» قليلاً ثم عاد يتابع: «يظن البعض أنه على استعداد لفعل أى شيء؛ حتى يُدَرِّسَ هذه المادة».

قال «لوبين»: وهو ينظر نحو القزم بدوره: «من الأفضل أن أعود للعمل، وسأراك في الوليمة لاحقًا يا «هاری»».

وضع «هاری» الكوب الفارغ وهمّ بمغادرة الحجرة قائلاً: «حسنًا»، بينما كان القزم لا يزال يدخن.

* * *

قال «رون»: «هيا .. لقد حصلنا على كل ما نستطيع حمله».

ثم أسقط كمية كبيرة من الحلوى الملونة على قدمى «هاری»،

كان «رون» و«هيرميون» قد دخلا الحجرة لتَوِّهما وقد تلون وجهاهما بلون وردى نتيجة للبرد الشديد، فقال «هارى»: «شكرًا لكما... كيف كانت «هوجسميد»؟ وأين ذهبتما؟».

- «كل مكان .. ديرفيش بانجز ، كل المعدات السحرية، ومحل زونكو، وعصى المكانس التى تحتوى على أماكن بجانبها لوضع المشروبات الساخنة».

- «ومكتب البريد يا «هارى» .. حوالى مائتى بومة تجلس فوق الأرفف وفوقها أرقام ملونة تحدد السرعة التى ترغب فى وصول خطابك بها».

- «ومحل «هانى ديوك» كان يقدم نوعًا جديدًا من الحلوى، وعينات مجانية، ها هى واحدة.. انظر».

- «لقد كنا نأمل أن نحضر لك المزيد ولكن...».

ثم قالت «هيرميون» وقد بدا عليها القلق: «وأنت.. ماذا فعلت؟ هل أتممت أى عمل؟».

أجاب «هارى»: «لا.. لقد قدم لى «لوبين» كوبًا من الشاى فى مكتبه، ثم حضر «سناب» و...».

ثم أخبرهم عن القزم المدخن، ففتح «رون» فمه فى ذهول، بينما تساءلت «هيرميون» فى دهشة: «وهل تناول ما قدمه له «سناب» بالفعل؟».

ثم نظرت إلى ساعتها قبل أن تقول: «من الأفضل أن نهبط، فستبدأ الوليمة خلال خمس دقائق.. » وبالفعل أسرعوا عبر لوحة

السيدة البدينة ليلحقوا بالزحام، وهم لا يزالون يتناقشون حول «سناب»، فقالت «هيرميون» وهى تنظر حولها بعصبية: «ولكن إذا كان «سناب» يحاول أن يقضى على «لوبين»؛ فكيف يقوم بهذا أمام «هارى»».

أجاب «هارى»: «لست أدرى!»

وعندما وصلوا إلى البهو العظيم وجدوه مزينًا بمئات الشموع التى وضعت داخل شموع الفرع احتفالاً بالهالويين.

وكان الطعام شهيًا حتى أن «رون» و«هيرميون» اللذين قد نالا ما يكفيهما من حلوى «هوجسميد» لم يستطيعا مقاومة الطعام، وظل «هارى» ينظر نحو مائدة هيئة التدريس بين الحين والآخر،وكان الأستاذ «لوبين» مرحًا كعادته يتحدث من حين لآخر مع الأستاذ «فليتويك» أستاذ التعاويذ، ونظر «هارى» بعينيه حتى وصل إلى مقعد الأستاذ «سناب»، ووجد أنه يرمق الأستاذ «لوبين» بنظراته أكثر من ذى قبل، ترى هل كان ما يراه صحيحًا، أم أنه يتخيل ذلك!

انتهت الوليمة باستعراض قدمته أشباح «هوجوورتس» عندما خرجوا من الحوائط، ومن أسفل الموائد، فكانت أمسية رائعة جعلت «هارى» فى حالة نفسية رائعة، حتى أنه لم يسمح لـ «مالفوى» أن يعكر عليه صفو هذه الليلة عندما صاح خلفه من وسط الزحام: «بوتر.. إن الحراس يرسلون لك حبهم».

أسرع «هارى» مع «رون» و«هيرميون» إلى الممر المؤدى إلى

برج «جريفندور».. ولكن عندما وصلوا إلى صورة السيدة البدينة وجدوا زحامًا من التلاميذ هناك.

فتساءل «رون»: «لماذا لا يدخلون؟».

ورفع «هارى» رأسه محاولاً استطلاع الأمر حتى ارتفع صوت «بيرسى»: «اسمح لى بالمرور من فضلك» .. ما الذى يحدث هنا؟ لا يمكن أن تنسوا جميعًا جملة السر.. معذرة .. أنا الصبى الأمثل.

وفجأة عم الصمت المكان عندما سمع التلاميذ صوت «بيرسى» وهو يصيح من أمام اللوحة «فليناد أحدكم أستاذ «دمبلدور» بسرعة».

وقالت «جينى» التى وصلت لِتَوِّها: «ما الذى يحدث؟».

وفى خلال دقيقة كان الأستاذ «دمبلدور» قد وصل للمكان، وتوجه نحو اللوحة؛ فأفسح له التلاميذ الطريق حتى يستطيع المرور، واقترب الثلاثى «رون» و«هيرميون» و«هارى» لمعرفة الأمر، وما أن رأت «هيرميون» اللوحة حتى صاحت فى دهشة: «ما .. ما هذا ؟» لقد اختفت السيدة البدينة من لوحتها التى تحولت إلى شرائط ممزقة ومتناثرة على الأرض، وألقى الأستاذ «دمبلدور» نظرة واحدة إلى اللوحة الممزقة، وعندما استدار وجد الأستاذة «ماكجونجال» قادمة فى سرعة مع «لوبين» و«سناب». فقال «دمبلدور»: «يجب أن نجدها، أرجوك يا أستاذة «ماكجونجال» يجب أن تذهبى إلى الأستاذ «فليتش» فورًا وتخبريه أن يبحث عنها فى كل لوحة فى القلعة».

وهنا سمعوا صوت «بيفز»: الروح الشرير: «ستكون محظوظًا».

قال «دمبلدور» بهدوء: «ماذا تعنى يا «بيفز»؟».

اختفت ابتسامة «بيفز» قليلاً ثم قال: «لقد كانت فوضى كبيرة.. لقد رأيتها تركض إلى الطابق الرابع يا سيدى، وتجرى وسط الأشجار، وتصرخ من جراء شيء مميت .. مسكينة!».

تساءل «دمبلدور» بهدوء: «هل قالت من فعلها؟».

قال «بيفز»: «نعم .. لقد غضب لأنها لم تسمح له بالدخول.. ذلك المدعو «سيريوس بلاك»».

* * *

٩ الهزيمة القاسية

أرسل الأستاذ «دمبلدور» تلاميذ «جريفندور» إلى البهو العظيم مرة أخرى وبعد دقائق لحق بهم تلاميذ «رافنكلو» و«سليذرين» وقد ظهر عليهم ارتباك عظيم، ثم قال الأستاذ «دمبلدور» بينما كانت الأستاذة «ماكجونجال» تغلق الأبواب المؤدية للبهو: «سنقوم أنا والمعلمون ببحث دقيق فى القلعة، ومن أجل سلامتكم فستقضون الليلة هنا، وأريد من الطلبة المثاليين أن يقفوا كحرس على مداخل البهو، وسيكون الصبى الأمثل والفتاة المثالية هنا مسئولين عن المكان، وأى خلل يجب أن يبلغ لى فورًا». ثم وجه نظره نحو «بيرسى» الذى بدا فخورًا بنفسه. وشاعرًا بأهميته: «أرسل لى ما تريد مع أحد الأشباح».

ثم توقف قليلاً قبل مغادرة القاعة وعاد يضيف: «آه.. ستحتاجون إلى إشارة واحدة معتادة من العصا السحرية حتى تبتعد هذه الموائد نحو الحوائط، ثم إشارة أخرى لتمتلئ أرضية المكان بحقائب النوم.. نومًا هنيئًا».

وما أن انصرف حتى سرى الهمس فى المكان، فكان تلاميذ «جريفندور» يخبرون باقى التلاميذ بما حدث، وصاح «بيرسى»: «ليتجه الجميع فى دقائق إلى حقائب النوم.. كفى حديثًا.. ستطفأ الأنوار خلال عشر دقائق».

فقال «رون» لكل من «هارى» و«هيرميون»: «هيا»، فجمعوا حقائب نومهم واتجهوا نحو إحدى الزوايا قبل أن تهمس «هيرميون»: «هل تظنان أن «بلاك» لا يزال فى القلعة؟».

قال «رون»: ««دمبلدور» يعتقد ذلك».

قالت «هيرميون» وقد دخل الثلاثة فى حقائب النوم، وارتكزوا على مرافقهم حتى يتابعوا حديثهم: «لقد كان من حسن الحظ أنه اختار اليوم الذى لم نكن فيه فى البرج..».

قال «رون»: «أظن أنه لم يستطع اختيار الوقت المناسب، فالليلة عيد «الهالويين»، وإلا لكان اقتحم المكان دون أن يشعر به أحد».

ارتعدت «هيرميون» ومن حولها، كان الجميع يتساءلون نفس السؤال: «كيف تمكن من الدخول للمكان؟».

وسمعوا «رافنكلو» بالقرب منهم يقول: «ربما استطاع عمل خدعة ما فظهر فجأة».

ثم قال أحد تلاميذ الصف الخامس: «ربما أخفى نفسه»، وقال «دين توماس»: «وربما دخل طائرًا».

ثم عادت «هيرميون» تقول: «فى الحقيقة أنا الشخص الوحيد الذى سعد بقراءة تاريخ «هوجوورتس»».

قال «رون»: «لماذا؟».

أجابت: «لأن القلعة يحميها ما هو أكثر من الأسود، فهناك الكثير من السحرة لمنع أى أحد من التسلل، كما أننى أحب أن أرى ذلك الذى استطاع خداع هؤلاء الحراس الذين يقومون بحراسة

كل المداخل، حتى لو كان الآتى طائرًا لرأوه، و«فليتش» يعرف كل الممرات السرية ولابد أنهم قاموا بتغطيتها».

وهنا صاح «بيرسى»: «ستطفأ الأضواء الآن.. أريد أن يمتنع الجميع عن الكلام!».

وفورًا انطفأت كل الشموع، ولم تبقَ سوى الأشباح الفضية وهى تصدر ذلك الضوء الخافت السارى وهم يحومون فى المكان، ويتحدثون مع الطلاب المثاليين، وذلك السقف الملىء بالنجوم كالسماء فى الخارج، وظل الهمس يملأ المكان؛ فشعر «هارى» أنه كمن ينام فى الخلاء وسط الضوء والريح.

وفى كل ساعة يأتى أحد المعلمين ليتأكد أن كل شىء على ما يرام.

وحوالى الثالثة صباحًا، عندما استغرق معظم التلاميذ فى النوم جاء الأستاذ «دمبلدور» ورآه «هارى» يبحث عن «بيرسى» الذى كان يدور بين التلاميذ النائمين وغير النائمين؛ ليخبرهم أن يتوقفوا عن الحديث، وكان بالقرب من «هارى» و«رون» و«هيرميون» الذين تظاهروا سريعًا بالنوم، وقد اقترب منهم الأستاذ «دمبلدور» فسأله «بيرسى» همسًا: «هل ظهر له أى أثر يا سيدى؟».

أجابه: «لا.. هل كل شىء على ما يرام هنا؟».

قال «بيرسى»: «كل شىء تحت السيطرة يا سيدى».

– «رائع.. لا يوجد أى منفذ الآن.. وقد عينت حرسًا مؤقتين على تلك الفتحة الموجودة باللوحة، ويمكنك أن تعيدهم غدًا».

- «والسيدة البدينة يا سيدى؟».

- مختبئة فى إحدى لوحات الدور الثانى، لقد رفضت أن يعبرها «بلاك» دون كلمة السر؛ فهاجمها، وهى ما زالت متوترة، ولم تهدأ حتى أرسل لها الأستاذ «فليتش» ليعيدها».

ثم سمع «هارى» صوت باب البهو يفتح مرة ثانية، وأصوات أقدام تدخل المكان.. كان «سناب» الذى قال: «سيدى المدير؟.. لقد تم تفتيش الفتحة الموجودة بالدور الثالث وهو غير موجود هناك، كما أن «فليتش» قام بتفتيش الأقباء ولم يجد شيئًا كذلك».

- «وماذا عن البرج الفلكى؟ وحجرة الأستاذة «تريلاونى»؟ وغرفة البوم؟».

- «تم تفتيشها جميعًا».

- «حسنًا.. لا أظن أن «بلاك» سيتباطأ».

عاد «سناب» يتساءل: «هل لديك أى تصور عن كيفية دخوله المكان يا سيدى؟».

وهنا رفع «هارى» رأسه حتى يسمع الإجابة، فقال الأستاذ «دمبلدور»: «أكثر من تصور.. وكل واحد غير ملائم أكثر من الآخر». وعندما نظر «هارى» نحوهم وجد «دمبلدور» يقف وظهره نحوه، ولكنه رأى وجه «بيرسى» وقد علاه الاهتمام، فى حين بدا «سناب» غاضبًا وهو يقول: «أتذكر يا سيدى محادثتنا قبل بداية هذا الفصل مباشرة؟».

أجابه وصوته يحمل نبرة تحذير: «نعم.. أذكر».

عـاد «سـنــاب» يـقـول: «إن الأمـر يـبـدو مسـتـحـيـلاً أن يسـتـطـيـع «بـلاك» دخـول المدرسـة دون مسـاعـدة مـن الـداخـل، وقـد شـد اهتمـامى عندمـا أشرف...».

قـاطعه «دمبلدور» بلهجة من ينهى الأمر: «لا أعتقد أن شخصًا واحدًا من داخل «هوجوورتس» يمكن أن يساعد «بلاك» على الدخول فيها» ولم يجد «سناب» ما يرد به، فعاد «دمبلدور» يتابع: «يجب أن أهبط لهؤلاء الحراس القادمين من «أزكابان»، فقد قلت إننى سأخبرهم عندما ينتهى التفتيش».

تساءل «بيرسى»: «هل يحتاجون لأى مساعدة يا سيدى؟».

أجابه «دمبلدور» ببرود: «نعم.. ولكن لن يخطو أحد من هؤلاء الحراس إلى داخل المدرسة ما دمت أنا مديرها».

نظر له «بيرسى» بدهشة وهو يغادر البهو فى سرعة وهدوء، بينما وقف «سناب» قليلاً يراقب مديره وعلى وجهه بدا تعبير من الامتعاض الشديد قبل أن يغادر المكان بدوره.

ونظر «هارى» على جانبيه ليجد كلاً من «رون» و«هيرميون» قد رقدا مفتوحى العينين لتنعكس عليهما صورة السقف المرصع بالنجوم.

خلال الأيام القليلة التالية لم يكن هناك حديث داخل أروقة المدرسة إلا عن «سيريوس بلاك»، وراحت آراؤهم عن كيفية دخوله المدرسة تتنوع وتزداد اختلافًا؛ حتى أن «هانا آبوت» من تلاميذ «هافلباف» قضت جزءًا كبيرًا من درسها التالى: لتخبر كل من يسمعها أن بلاك حول نفسه إلى شجرة مثمرة.

وكـانت لـوحـة السيـدة البـديـنـة قـد اسـتـبـدلت بـلـوحـة «سيركادوجان» وفرسه الرمادى الضخم، ولم يسعد أحد بذلك، فقد قضى «سيركادوجان» نصف وقته فى تحدى الناس فى المبارزة، والنصف الآخر فى تفكير سخيف لكلمات سر معقدة، يغيرها مرتين على الأقل يوميًا.

فقال «سيموسٍ» لـ «بيرسى» بغضب: «إنه مجنون.. ألا يمكن أن يوجد شخص آخر».

أجاب «بيرسى»: «لا يوجد أى لوحة أخرى تقبل العمل بهذه الوظيفة، لقد خاف الجميع مما حدث للسيدة البدينة، وكان «سير كادوجان» شجاعًا بما يكفى حتى يتطوع للعمل».

وعلى كل حال فقد كان «سيركادوجان» هو أقل ما يقلق «هارى»، والذى كان تحت رقابة مشددة؛ فالمعلمون يجدون أى عذر حتى يرافقوه أثناء سيره فى أى ممر من الممرات، كما كان «بيرسى» يتبعه كظله فى كل مكان يذهب إليه حتى استدعته الأستاذة «ماكجونجال» إلى مكتبها، وعلى وجهها ذلك التعبير الذى يوحى له دومًا بأن شخصًا قد مات، ثم قالت: «هناك شىء لن نستطيع أن نخفيه عنك بعد الآن يا «بوتر»، أعرف أنه سيكون صدمة لك، ولكن «سيريوس بلاك»....».

أجاب «هارى» مقاطعًا: «أنا أعرف أنه يسعى خلفى، لقد سمعت والد «رون» يقص ذلك على والدته، فالسيد «ويزلى» يعمل فى وزارة السحر».

بدت المفاجأة على وجه الأستاذة «ماكجونجال» ثم قالت: «حسنًا.. في هذه الحالة يا «بوتر» أظنك ستتفهم أن تدريب «الكويدتش» الليلى لن يكون فكرة طيبة».

قال «هارى»: «ولكن مباراتنا ستكون يوم السبت، ويجب أن أتدرب»، نظرت له بتمعن وكان «هارى» يعلم أنها شديدة الاهتمام بما يفيد فريق «جريفندور»، فقد كانت هى التى اقترحت اشتراكه فى الفريق فى مركز الباحث؛ فانتظر كلمتها وهو يحبس أنفاسه.

ونهضت وهى تحدق فى النافذة نحو ملعب «الكويدتش»، والذى لا يكاد يكون مرئيًا من خلال الأمطار، ثم قالت: «حسنًا.. يعلم الله أننى أتمنى أن نفوز بالكأس أخيرًا، ولكننى سأكون أكثر سعادة إذا كان هناك معلم يراقبك.. سأطلب ذلك من مدام «هوتش».

ازداد الجو سوءًا مع اقتراب مباراة «الكويدتش» الأولى، وبلا اكتراث كان فريق «جريفندور» يتدرب بقوة أكثر تحت رقابة مدام «هوتش»، ثم أتى التدريب الأخير ليلة السبت، وجاء «أوليفر وود» بأخبار غير سارة قائلاً وقد بدا عليه غضب شديد: «إننا لن نواجه تلاميذ «سليذرين»».

لقد قابلنى «فلينت» وأخبرنى أننا سنواجه «هافلباف» بدلاً منهم، تساءل باقى أعضاء الفريق: «لماذا؟».

أجاب «وود» وهو يضغط على أسنانه بقوة: «لقد اعتذر «فلينت» لأن باحثهم ما زال مصابًا، ولكن الواضح أنهم لا يريدون أن يلعبوا فى هذا الطقس فسوف يقلل فرصهم..».

كانت هناك رياح قوية وأمطار غزيرة طوال اليوم، وطوال حديث «وود» معهم؛ كان صوت الرعد يهدر فى المكان، حتى قال «هارى»: «لا يوجد شيء فى ذراع «مالفوى».. إنه يتظاهر بذلك».

قال «وود» بأسف: «أعرف ذلك، ولكننا لا نستطيع أن نثبت هذا، كما أننا كنا نقوم بكل التدريبات على أساس أننا سنلاعب «سليذرين»، والآن سنواجه «هافلباف»، وأسلوبهم فى اللعب مختلف، وقد أصبح لهم قائد وباحث جديد هو «كيدريك ديجورى»».

وتساءل كل من «أنجيلينا» و«إليسيا» و«كاتى» فى صوت واحد: «ماذا؟ هل هو ذلك الشخص طويل القامة حسن المظهر؟».

ثم قالت «كاتى»: «إنه قوى وهادئ!».

قال «فريد» بنفاد صبر: «إنه هادئ؛ لأنه لا يستطيع نطق كلمتين معًا. أنا لا أعرف لماذا تقلق يا «أوليفر» إن «هافلباف» ليس فريقًا خطيرًا، وفى مباراتنا الأخيرة استطاع «هارى» أن يمسك بزمام الأمور فى أول خمس دقائق.. هل تذكر؟».

صاح «وود»: «لقد كنا نلعب فى ظروف مختلفة تمامًا، لقد أضاف لهم «ديجورى» جانبًا قويًا؛ فهو باحث ممتاز، وكنت أخشى أن تتراخوا هكذا.. يجب ألا نتراخى.. يجب أن نحافظ على تركيزنا».

ثم قال «فريد»: «اهدأ يا «أوليفر».. سنأخذ مباراة «هافلباف» بجدية تامة».

وفى اليوم السابق للمباراة؛ ازدادت قوة هبوب الرياح، وهطلت الأمطار بغزارة، وساد الظلام فى ممرات المدرسة، وامتلأت الفصول بأضواء إضافية، وقال «مالفوى» وهو يزفر بقوة: «آه.. لو كان ذراعى أفضل حالاً!» ولم يكن «هارى» يهتم بأى شىء قدر اهتمامه بمباراة الغد، فى حين أسرع «أوليفر وود» بين الفصول موزعًا نصائحه على أعضاء فريقه ومكررًا كلامه كثيرًا، حتى لاحظ «هارى» أنهم قد تأخروا على فصل الدفاع ضد السحر الأسود لمدة عشر دقائق، فانطلق و«أوليفر» يصيح خلفه: ««ديجورى» يمتاز بأنه مراوغ سريع جدًّا، لذلك يجب أن تحاول التغلب عليه».

ووصل «هارى» للفصل، ثم دفع الباب ودخل قائلاً: «آسف لتأخرى يا أستاذ «لوبين» أنا...».

ولكنه لم يكن الأستاذ «لوبين» ذلك الذى نظر نحوه فى مقدمة الفصل، لقد كان «سناب»، فقال: «لقد بدأ هذا الدرس منذ عشر دقائق يا «بوتر»؛ لذلك فسنخصم عشر نقاط من تلاميذ «جريفندور».. اجلس».

ولكن «هارى» لم يتحرك، وإنما تساءل: «أين الأستاذ «لوبين»؟».

قال «سناب» بابتسامة ملتوية: «لقد قال إنه مريض، ولن يستطيع التدريس اليوم، وأظن أننى قلت لك أن تجلس!!».

ولكن «هارى» ظل فى مكانه متسائلاً: «ماذا حدث له؟».

قال «سناب» وصوته يوحى بالتمنى أكثر ما يوحى بالنفى: «لا شىء يهدد حياته.. سأخصم خمس درجات أخرى، وإذا لم تجلس فسيصبحون خمسين درجة».

سار «هارى» ببطء حتى مقعده، وجلس، ودار «سناب» بعينيه بين تلاميذ الفصل، ثم عاد يقول: «وكما كنت أقول ـ من قبل أن يقاطعنا «بوتر» ـ: «الأستاذ «لوبين» لم يحتفظ بأى تسجيل لما قمتم بدراسته حتى الآن».

أجابت «هيرميون» سريعًا: «سيدى.. لقد درسنا «بوجارت» و«القبعات الحمراء» و«كاباسى»، ونحن الآن على وشك أن نبدأ فى...».

قاطعها «سناب» ببرود: «هدوء.. أنا لم أسأل عن شىء، لقد كنت أعلق على افتقار الأستاذ «لوبين» للتنظيم».

وقال «دين توماس» فى جرأة أيدتها همهمات بين صنوف التلاميذ: «إنه أفضل معلم دفاع قابلناه حتى الآن» فازداد الغضب البادى على وجه «سناب» ثم قال: «إن من السهل إرضاءكم، وأظن أن تلاميذ الصف الأول قد درسوا «القبعات الحمراء» و«كاباسى» ولكن ما سنناقشه اليوم....».

وراح «هارى» يقلب الكتاب حتى الفصل الأخير، والذى يعلم تمامًا أنهم لم يدرسوه قبل أن يتابع «سناب»: «....الذئاب المتحولة».

قالت «هيرميون»: «ولكن يا سيدى.. ليس المفروض أن ندرس «الذئاب المتحولة» الآن وإنما يجب أن نبدأ فى «هنكس بانكس».

قال «سناب» ببرود مميت: «آنسة «جرانجر» أنا الذى أحدد هذا الدرس، وليس أنت، وأنا أخبرك وأخبر الجميع أن يحولوا صفحات كتبهم إلى صفحة رقم ثلاثمائة وتسع وأربعين» ثم نظر حوله قبل أن يتابع: «الجميع.. الآن!».

وسرت نفس الهمهمة وسط التلاميذ الذين فتحوا كتبهم قبل أن يتساءل «سناب»: «من منكم يستطيع أن يخبرنى كيف نفرق بين «الذئب المتحول» و«الذئب الحقيقى»؟».

وجلس الجميع بلا صوت أو حركة فيما عدا «هيرميون» التى رفعت يدها لأعلى كالعادة طلبًا للإجابة عن السؤال، ولكن «سناب» تجاهلها متسائلاً: «لا أحد؟» ثم ظهرت الابتسامة الملتوية على شفتيه وهو يتابع: «هل يعنى هذا أن الأستاذ «لوبين» لم يعلمكم الفرق الأساسى بين...».

قال «بارفاتى» فجأة: «لقد أخبرناك أننا لم ندرس «الذئاب المتحولة» بعد وأننا مازلنا فى...».

قاطعه «سناب» فى حدة: «هدوء!.. حسنًا.. حسنًا.. إننى لم أنتظر أبدًا أن أقابل تلاميذ بالصف الثالث لا يقدرون على التعرف على ذئب متحول عند رؤيتهم له.. سأخبر الأستاذ «دمبلدور» عن مدى تأخركم و...».

قالت «هيرميون»: «من فضلك يا سيدى.. إن الذئب المتحول يختلف عن الذئب الحقيقى فى جوانب متعددة مثل...».

قاطعها «سناب» ببرود: «هذه هى المرة الثانية التى تتكلمين

فيها فى غير دورك يا آنسة «جرانجر»، سأخصم خمس درجات أخرى من «جريفندور»»، احمر وجه «هيرميون» بشدة، وامتلأت عيناها بالدموع، ثم أطرقت برأسها نحو الأرض، فى حين كان كل تلاميذ الفصل يحدقون فى «سناب».

ثم قال «رون»: «لقد سألت سؤالاً وهى تعرف الجواب! فلماذا تسأل إذا كنت لا تريد أن يجيب أحد؟».

وكان الفصل يعلم أن الأمر قد وصل إلى مرحلة حرجة، فحبس الجميع أنفاسهم وهم يرون «سناب» يتوجه نحو «رون» قائلاً: «ويزلى.. احتجاز! وإذا سمعتك تنتقد طريقة تدريسى فى الفصل فستأسف لذلك بشدة».

ولم يصدر أحدهم أى صوت حتى انتهى الدرس، لقد جلس الجميع لتسجيل مذكرات عن الذئاب المتحولة، بينما كان «سناب» يذهب ويجىء وسط الصفوف لمعرفة ما قام به «لوبين»؛ حتى سمع الجميع صوت الجرس معلنًا نهاية الدرس، فقال «سناب»: «سيكتب كل واحد منكم مقالاً من رقعتين جلديتين عن: «كيف تعرف وتقتل الذئاب المتحولة». وسأنتظر هذا المقال صباح يوم الإثنين، وأنت يا «ويزلى» انتظر حتى نرتب أمر احتجازك.

وغادر «هارى» و«هيرميون» الفصل مع باقى التلاميذ الذين انفجروا فى الحديث حول «سناب»، فقال «هارى» لها: «إن «سناب» لم يكن هكذا مع أى معلم من معلمى الدفاع من قبل

حتى ولو كان يطمع فى الوظيفة، فلماذا يفعل ذلك مع «لوبين»؟ هل تعتقدين أن كل هذا بسبب «بوجارت»؟».

أجابت «هيرميون»: «لا أدرى.. ولكننى آمل أن يتحسن حال الأستاذ «لوبين» قريبًا..».

لحق بهم «رون» بعد خمس دقائق قائلاً: «هل تعلمان ماذا قرر هذا الـ ... أن أفعل؟ يجب أن أقوم بتنظيف أسفل أسرَّة المستشفى وبدون سحر.. لماذا لا يكون «بلاك» مختبئًا فى مكتب «سناب»؟! إنه يستطيع أن يقضى عليه من أجلنا!».

* * *

استيقظ «هارى» مبكرًا جدًّا فى الصباح التالى حتى أن السماء كانت لاتزال مظلمة، ولدقيقة ظن أن صوت الرياح هو الذى أيقظه، ولكنه أحس بهواء بارد يضرب مؤخرة عنقه فجلس فى فراشه، وإلى جواره كان يحوم «بيفز» أحد أشباح الحراسة فقال «هارى» له بحدة: «لماذا فعلت ذلك؟».

ولم يجب «بيفز» وإنما زفر ما بقى من الهواء، ثم تراجع وخرج من الحجرة، واندفع «هارى» إلى ساعته المنبهة ليرى الوقت، فوجدها تشير إلى الرابعة والنصف، فحاول العودة إلى النوم مرة أخرى، ولكنه كان أمرًا شديد الصعوبة فقد استيقظ ولم يستطع أن يتجاهل صوت هدير الرعد بالخارج، والرياح القوية التى تضرب أسوار القلعة، وأصوات حفيف الأشجار فى الغابة المحرمة القادمة من بعيد، وخلال ساعات قليلة سيكون

فى ملعب «الكويدتش»، وهنا استسلم؛ لأنه لن يستطيع النوم بعد ذلك، فنهض وارتدى ملابسه، والتقط عصا مكنسته، ثم خرج بهدوء من جناح النوم، وما إن فتح الباب حتى وجد شيئًا يحتك بقدمه فانحنى ليمسك بـ «كروكشانكس» من نهاية ذيله، ثم سحبه للخارج.

قال له: «أتعلم؟ أظن أن «رون» كان محقًّا بشأنك.. هناك الكثير من الفئران فى المكان.. هيا اذهب وطاردهم.. هيا».

ثم أنزله بجوار قدميه متابعًا: «... وابتعد عن «سكابرز»».

كان صوت العاصفة أكثر ارتفاعًا فى الحجرة العامة، وكان «هارى» يعلم أن المباراة سيتم إلغاؤها؛ فلم يسبق إقامة مباراة فى مثل هذه العاصفة الرعدية، كما أن «هارى» كان لديه ذلك الشعور بسبب إشارة «وود» إلى «ديجورى» التى قالها له فى الممر، فقد كان «ديجورى» فى الصف الخامس، وأضخم من «هارى»، فعادةً ما يتميز الباحثون بالخفة والسرعة، ولكن وزنه سيكون ميزة فى مثل هذا الطقس؛ لأنه سيعطيه ثباتًا أكثر أثناء اللعب.

وقضى «هارى» الساعات حتى الفجر أمام المدفأة وهو يستيقظ بين حين وآخر حتى يبعد «كروكشانكس» عن سلم التلاميذ، وأخيرًا ظن «هارى» أن وقت الإفطار قد حان، فتوجه نحو اللوحة؛ ليسمع «سيركادوجان» يصيح: «هيا قف، وبارز أيها الجبان».

فتثاءب «هارى» قائلاً: «أوه.. أطبق فمك».

ثم توجه للمائدة وبدأ إفطاره، أما «وود» الذى لم يكن يأكل شيئًا فقد قال: «ستكون مباراة عصيبة».

وقالت «إليسيا»: «كفى قلقًا يا «أوليفر» فقليل من الأمطار لا يهمنا». ولكن الأمر كان أكثر من القليل من المطر، وبسبب شعبية «الكويدتش» فقد توجهت المدرسة كلها إلى الملعب لمشاهدة المباراة، والجميع رءوسهم منحنية بسبب الرياح القوية، وقبل أن يدخل «هارى» غرفة تغيير الملابس رأى «مالفوى» و«كراب» و«جويل» يضحكون، ويشيرون له من تحت مظلة عملاقة، وهم فى طريقهم إلى الملعب.

وبدل أعضاء الفريق ملابسهم، وانتظروا لتعليمات «وود» كعادته قبل المباريات ولكنه لم يفعل، فقد حاول عدة مرات ثم هز رأسه يائسًا قبل أن يشير إليهم كى يتبعوه.

كانت الرياح قوية جدًا والجمهور يصيح، ولكنهم لم يستطيعوا سماعه بسبب هدير الرعد، وهطول الأمطار التى كانت تضرب نظارة «هارى»، فتساءل: كيف سيرى الملعب بهذه الطريقة؟

ومن الاتجاه المعاكس للملعب كان تلاميذ «هافلباف» يتقدمون نحوهم فى ردائهم الأصفر الفاقع، وتقدم قائدا الفريقين ليتصافحا؛ فابتسم «ديجورى»، ولكن «وود» كان يبدو كالمريض، فاكتفى بإيماءة من رأسه، واستطاع «هارى» قراءة شفتى مدام «هوتش» وهى تقول: «أعدوا عصيكم». ورفع

«هـارى» قدمـه من وحل الملعب، وارتقى فوق عصـا المكنسة، حتى أشارت بـالبدء، فبدأ «هـارى» يرتفع وهو يواجـه صعوبة فى توجيه عصـاه وسط الأمطـار، وخلال خمس دقـائق كان «هـارى» يشعر ببرودة شديدة، ويواجـه صعوبة كبيرة فى رؤية زملائـه بـالفريق، فراح يقطع الملعب ذهـابًا وعودة وهو يرى الظلال الحمراء والصفراء التى تملأ الملعب دون أدنى فكرة عمـا يحدث فى بـاقى الملعب، ودون أن يسمع أى شىء ممـا يقال وسـط هـذه الـريـاح، كـمـا أن المشـاهـدين اخـتـفـوا تحت أمـواج العبـاءات والمظلات. اقترب «هـارى» مرتين من الـ «بلادجر»، ولـكـن رؤيـتـه كـانت غـائـمـة بسبب الأمـطـار؛ فـلـم يسـتـطـع أن يخبرهـم بذلك...

ومع أول ضوء للبرق، استطـاع «هـارى» سمـاع صوت صـافرة مدام «هوتش»، ثم رأى «وود» من خلال الأمطار الغزيرة وهو يشير لـه، فـاجتمع الفريق كلـه ليسمع «وود» يصيح فى فريقـه: «نـحن نتقدمهم بـخمسين نقطة، ولكن إذا لم نـحصل على «سنتش» بـأسرع مـا يمكن سنستمر فى اللعب حتى الليل».

فقـال «هـارى» وهو يلوح بنظـارتـه: «ليس لدى أى فرصة مع هذه». وفى هذه اللحظة ظهرت «هيرميون» وهـى تمسك بعبـاءتهـا فوق رأسهـا، ثم قـالت: «لقد واتتنى فكرة يـا «هـارى».. أعطنى نظـارتك بسرعة».

أعطاهـا لهـا والفريق يشاهد مـا تفعله فى دهشة، وهـى تمس

النظارة بعصاها السحرية ثم تقول: «امبرفيوس». وأعادتها إلى «هارى» مرة أخرى قائلة: «ستقاوم الماء».

وبدا «وود» كما لو كان يريد أن يقبلها من فرط سعادته، ولكنه قال وهى تختفى وسط الزحام: «رائع.. حسنًا.. هيا بنا».

نجحت تعويذة «هيرميون»، فرغم شعور «هارى» بالبرودة الشديدة، ورغم إبتلال ملابسه إلا أنه استطاع أخيرًا أن يرى بوضوح، فاندفع بعصاه وسط الرياح وهو يبحث عن الـ «سنتش» فى كل اتجاه، ويتجنب «البلادجر» حتى هبط من تحت «ديجورى» الذى كان قادمًا من الاتجاه المضاد، وهدر صوت الرعد مرة أخرى وظهر ضوء البرق، فازدادت خطورة الأمر، وازدادت رغبة «هارى» فى الحصول على الـ «سنتش» بسرعة، فاستدار وهو ينوى التوجه لمنتصف الملعب قبل أن يضىء البرق المكان مرة أخرى؛ ليرى «هارى» ما جذب انتباهه وأبعده عن كل ما حوله، لقد رأى ظل كلب عملاق ارتسم فى الفضاء بلا حركة فوق أحد صفوف المقاعد الخالية، وللحظة فقد «هارى» سيطرته على العصا، فانخفضت قليلاً حتى عاود الارتفاع مرة أخرى؛ ليجد هذا الكلب وقد اختفى، وسمع صوت «وود» يصيح به: «هارى.. هارى.. خلفك».

والتفت «هارى» حوله؛ ليجد «ديجورى» ينطلق عبر الملعب نحو كرة ذهبية لامعة، فانطلق «هارى» فوق عصاه نحوها وهو يزمجر: «هيا.. أسرع». ولكن فجأة حدث شىء غريب، لقد هبط

صمت تام على المكان، ورغم قوة الرياح فقد توقف صوتها، كان الأمر كما لو أن أحدهم قد فصل الصوت، أو كما لو أن «هارى» أصابه صمم مفاجئ.. ما الذى يحدث؟

وفجأة سرت موجة مألوفة من البرودة فى جسده، وأحس فجأة بشىء يتحرك أسفل الملعب، وقبل أن يحصل على فرصة للتفكير نظر إلى أسفل؛ ليجد على الأقل مائة حارس وقد ارتفعت وجوههم المختفية نحوه؛ ليشعر «هارى» كما لو كانت هناك مياه مثلجة تملأ صدره، ثم سمع شخصًا يصرخ فى رأسه؛ صوت امرأة: «لا.. ليس «هارى».. ليس «هارى»..».. من فضلك تنحى جانبًا أيتها الفتاة الغبية.. ابتعدى الآن.

«... لا.. ليس «هارى».. خذونى أنا بدلاً منه. اقتلونى أنا..».

وبدا ضباب كثيف يكتنف عقله.. ماذا كان يفعل؟ لماذا كان يطير؟ إنه يريد أن يساعدها.. ستموت.. هناك من سيقتلها، وشعر أنه يسقط.. يهوى فوق ضباب ثلجى.

ثم سمع مرة أخرى: «إلا «هارى».. كن رحيمًا.. كن رحيمًا به».

ثم سمع صوتًا مبحوحًا يضحك، وصراخ المرأة، ولم يشعر «هارى» بأى شىء بعد ذلك.

* * *

«لقد كان محظوظًا؛ لأن الأرض كانت لينة».

«لقد ظننت أنه مات بكل تأكيد».

«ولكن حتى نظارته لم تتحطم».

سمع «هاري» هذه الأصوات التي تهمس من حوله، ولكنه لم يفهم شيئًا، فلم يكن لديه فكرة عن مكانه، ولا كيف وصل إلى هنا، ولا عما كان يفعله قبل حضوره.. كل ما يعلمه أن كل بوصة من جسمه كانت تؤلمه.

«لقد كان أكثر شيء مخيف رأيته في حياتي».

أكثر شيء مخيف.. هذه الأجسام السوداء.. البرد.. الصراخ، وفجأة فتح «هاري» عينيه ليجد نفسه راقدًا في المستشفى، ومن حوله أعضاء فريق «جريفندور» وقد غطاهم الطين من أعلى إلى أسفل، إلى جواره أيضًا كل من «رون» و«هيرميون» وقد ابتلت ملابسهما، كما لو كانا قد خرجا لتوهما من حمام سباحة، ثم قال «فريد»: ««هاري» بماذا تشعر؟».

وبدا كما لو أن ذاكرة «هاري» قد عادت له فجأة.. البرق.. ذلك الكلب العملاق.. المباراة.. وحراس «أزكابان»، فتساءل: «ماذا حدث؟».

وجلس فجأة فلهث الجميع قبل أن يجيب «فريد»: «لقد سقطت.. من ارتفاع يناهز خمسين قدمًا».

وتابعت «إليسيا» وهي ترتعد: «لقد اعتقدنا أنك لقيت مصرعك».

قال «هاري»: «ولكن المباراة.. ماذا حدث؟».

ولم ينطق أحدهم بأي شيء.. فعاد «هاري» يتساءل: «إننا لم نخسر.. أليس كذلك؟».

أجابه «جورج»: «لقد استطاع «ديجورى» أن يحصل على الكرة الذهبية، فبعد أن سقطت لم يلاحظ ما حدث، وعندما نظر للخلف ورآك على الأرض حاول طلب إعادة المباراة، ولكن الفوز كان عادلاً، وهذا ما اعترف به «وود»».

وفجأة لاحظ «هارى» عدم وجوده فتساءل: «وأين «وود»؟».

أجاب «فريد»: «لايزال هناك».

وضع «هارى» وجهه فوق ركبتيه، ثم رفع يديه إلى شعره وراح يشده بقوة، فهزه «فريد» من كتفيه بعنف قائلاً: «هارى.. إنك لم تفقد كرة ذهبية قبل ذلك».

ثم قال «جورج»: «كان سيأتى وقت وتخطئها».

وعاد «فريد» يقول: «والأمر لم ينتهِ بعد.. لقد فقدنا مائة نقطة، أليس كذلك؟ إذا خسر «هافلباف» أمام «رافنكلو»، وهزمنا نحن «رافنكلو» ثم «سليذرين» و...».

قال «جورج»: «يجب أن يخسر «هافلباف» بفارق مائتى نقطة على الأقل».

«ولكن إذا هزموا رافنكلو».

«مستحيل، «رافنكلو» فريق جيد، ولكن إذا خسر «سليذرين» أمام «هافلباف»..».

«كل شىء يعتمد على النقاط...».

استلقى «هارى» هناك دون أن يقول أى كلمة.. لقد خسروا.. ولأول مرة يخسر مباراة كويدتش».

وبعد حوالى عشر دقائق حضرت مدام «بومفرى» تخبرهم أن يغادروا المكان ويتركوه فى هدوء، فقال «فريد»: «سنأتى لنراك لاحقًا، كن واثقًا من نفسك يا «هارى»، فأنت لاتزال أفضل باحث لدينا».

وخرج أعضاء الفريق معًا والطين يتساقط من ملابسهم، فأغلقت مدام «بومفرى» الباب خلفهم، فى حين بقى كل من «رون» و«هيرميون» بالقرب من الفراش حتى قالت «هيرميون»: «لقد كان «دمبلدور» غاضبًا جدًّا.. إننى لم أره هكذا من قبل، لقد انطلق نحو الملعب عندما سقطت، ثم وجه عصاه السحرية نحو الحراس، فغادروا المكان على الفور».

وقال «رون»: «ووضعك على محفة، ومشى بك نحو المدرسة والمحفة تطير بك إلى جواره، فظن الجميع أنك قد...».

وبدأ صوته يضعف، فقد كان «هارى» يفكر فيما فعله معه هؤلاء الحرس، وهذا الصوت الذى كان يصرخ ويتردد صراخه فى أذنيه، وعندما نظر نحوهما وجد «رون» و«هيرميون» يحملقان به، فراح يبحث عن شيء يقوله ثم تساءل: «هل أحضر أحدكم عصاى؟».

ونظر «رون» نحو «هيرميون» التى قالت: «حسنًا.. عندما سقطت.. اندفعت بعيدًا و... و...».

«و... ماذا؟».

«واصطدمت بـ ...، بـ ... اصطدمت بـ «ومينج ويلو»».

وارتعشت أوصال «هارى».. لقد كانت «ومينج ويلو» شجرة عملاقة شرسة تقف وحيدة وسط فناء المدرسة، فعاد يتساءل: «وماذا بعد؟».

أجابت «هيرميون» بصوت خفيض: «لقد أحضرها الأستاذ «فليتويك» قبل عودتك».

وببطء اتجهت نحو حقيبتها، ثم اعتدلت وبين يديها مجموعة أخشاب صغيرة محطمة هى آخر ما تبقى من عصا مكنسة «هارى» المخلصة.. والتى لحقتها الهزيمة أخيرًا!.

* * *

١٠ خريطة ماروادر

أصرت مدام «بومفرى» على بقاء «هارى» بالمستشفى حتى نهاية العطلة الأسبوعية، ولم يجادل «هارى» أو يشكو وإن كان لم يسمح لها بالتخلص من بقايا عصاه المحطمة، كان يشعر وكأنه فقد أحد أفضل أصدقائه.

وكان زوار «هارى» كثيرين، وحاولوا جميعهم أن يخرجوه مما هو فيه من حزن، وأرسل له «هاجريد» باقة من الزهور الصفراء، أما «جينى ويزلى» فقد أتت ببطاقة صنعتها بنفسها وقد احمر وجهها بشدة من فرط الخجل، وحضر فريق «جريفندور» لزيارته بصحبة «وود» هذه المرة، والذى أخبر «هارى» أنه لا يلومه على أى شيء، أما «رون» و«هيرميون» فكانا لا يتركان فراش «هارى» إلا مع حلول الظلام، ورغم ذلك لم يشعر «هارى» بأى تحسن؛ لأنهم لم يعرفوا سوى نصف ما يؤلمه، فهو لم يخبر أحدًا منهم عن ذلك الكلب العملاق.. ولا حتى «رون» أو «هيرميون»؛ لأنه كان يعلم أن هيرميون ستسخر منه، أما «رون» فسيصيبه الذعر، لقد حدث ذلك الأمر الذى يشير إلى قدره المحتوم مرتين: الأولى قبل أن يستقل «حافلة الفارس»، والثانية عندما سقط من فوق عصاه، هل كان ذلك الكلب يسعى خلفه حتى يقضى عليه؟ هل سيقضى ما بقى من حياته وهو ينظر حوله خوفًا من هذا الوحش؟

وأخيرًا.. فهناك هؤلاء الحراس الذين يشعر «هارى» بالإعياء كلما فكر فيهم، الجميع يقول: إنهم مخيفون، ولكن لا أحد يحدث له ما يحدث لـ «هارى» إذا اقتربوا منه.. ولا أحد يسمع صدى صوت والديه فى رأسه..

الآن أدرك «هارى» صاحب هذا الصوت الذى كان يتردد صوت صراخه فى أذنيه.. لقد سمع كلماتها من قبل، وكان يسمعها ثانية وثانية فى ساعات الليل التى يقضيها بالمستشفى محملقًا بالسقف.

كلما اقترب منه هؤلاء الحراس يرى لحظات حياة أمه الأخيرة ومحاولاتها لحمايته من «فولدمورت»، وضحكة «فولدمورت» قبل أن يقتلها، ويغرق «هارى» فى أحلامه، ثم يستيقظ مرة واحدة على صوت أمه.

كان أمرًا طيبًا أن يعود «هارى» للمدرسة فى يوم الإثنين، سوف يجعله هذا يفكر فى أشياء أخرى، حتى ولو اضطر لتحمل سخرية «مالفوى»، لقد كان «مالفوى» إلى جواره دائمًا ويذكره بهزيمة «جريفندور»، وقد نزع أخيرًا تلك الأربطة من فوق ذراعه وراح يحتفل بعودته لاستخدام كلتا ذراعيه، فراح يقلد سقوط «هارى» من على عصاه.. أما درس الوصفات التالى فقد قضاه «مالفوى» فى تقليد الحراس، حتى اشتبك معه «رون» فى عراك، فسدد له ضربة قوية ردها له «مالفوى»، مما جعل «سناب» يخصم خمسين نقطة من تلاميذ «جريفندور».

فـقــال «رون»: «إذا تــولى «ســنــاب» درس الـدفــاع الـقــادم فسيصيبني الإعياء». قالها «رون» وهم متجهون نحو فصل «لوبين» بعد الغداء حتى وصلوا إلى هناك، فعاد «رون» يقول: «انظري من هناك يا «هيرميون»». ودارت «هيرميون» حول الباب ثم قالت: «هيا».

لقد عاد الأستاذ «لوبين» إلى العمل، ويبدو أنه كان مريضًا، فقد كان ثوبه القديم غير مهندم عليه، وكانت هناك هالات سوداء تحيط بعينيه، إلا أنه ابتسم نحو تلاميذه وهم يتخذون مقاعدهم، ثم يندفعون فى الشكوى من كل ما قام به «سناب» أثناء غياب «لوبين».

«هذا ليس عدلاً.. إنه لم يقم بأى شىء، فكيف يسند لنا واجبات منزلية؟».

«إننا لا نعرف أى شىء عن الذئاب المتحولة».

«رقعتان جلديتان!».

تساءل «لوبين»: «هل أخبرتم الأستاذ «سناب» أننا لم نقم بتغطية هذا الموضوع بعد؟».

وعادت الضوضاء من جديد.

«نعم.. ولكنه قال: إننا متأخرون».

«إنه لا يسمع».

وابتسم «لوبين» مرة أخرى ثم قال: «لا تقلقوا، سأتحدث مع الأستاذ «سناب»، وليس عليكم أن تكتبوا ذلك المقال».

وهنا صاحت «هيرميون»: «لا.. لقد أنهيته بالفعل!».

وكـان درسـه ممتـعًـا، فـقـد أحضـر الأسـتـاذ «لـوبين» صـنـدوقـًا زجـاجيًا بـه «هنكس بـانكس»، وهـو كـائـن صـغـير ذو سـاق واحـدة، يبدو كما لو كان من الدخان، ويبدو عليه أنه طيب وغير ضار.

وعـنـدمـا سـمـعوا صـوت الجرس تجمـع الجمـيـع وتـوجـهوا نـحـو الـبـاب وبيـنـهم «هـارى» ولكن...

صـاح «لوبين»: «انتظر دقيقة «يا هـارى»».

عـاد «هـارى» إلى داخل الفصل، ونظر نحو الأسـتـاذ «لوبين» وهـو يـغـطـى صـنـدوق «هـنـكس بـانكس» الزجـاجى بـقـطـع مـن القمـاش، ثم قـال: «لقد سمعت عن المبـاراة، وأنـا آسف لمـا حدث بشأن عصاك، هل هنـاك فرصة لإصلاحها؟».

قـال «هـارى»: «لا.. لقد حطمتـهـا الشجرة تمـامًا».

زفر «لوبين» ثم قـال: «لقد قـامـوا بزراعة هذه الشجرة عندمـا وصلت إلى «هـوجـوورتس»، وكـان الـتـلامـيـذ يمارسـون الـلـعب، ويحـاولون الاقتراب منها ولمس جذع الشجرة، وفى النهـاية كـاد أحد التلاميذ ـ ويدعى «دافى جدجيون» ـ أن يفقد عينيه، وهـنـا أصبح الاقتراب منها ممنوعًا، فما بالك بعصا مكنسة».

تسـاءل «هـارى» بصعوبـة: «وهل سمعت عن الحراس؟».

نظر «لوبين» نحوه بسرعة ثم قـال: «نعم.. ولا أظن أن أحدنـا قد رأى الأسـتـاذ «دمبلدور» غـاضـبًـا هكذا، فقد قضـوا فـتـرة طويلة يحـاولون أن يسمح لهم بـالدخول إلى فنـاء المدرسة، وأظن أنـهم كـانوا السبب فى سقوطك.

أجابه «هارى»: «نعم». ثم تردد قليلاً قبل أن يتساءل: «لماذا؟ لماذا أتأثر بهم بهذا الشكل؟ هل أنا.....؟».

قاطعه الأستاذ «لوبين» كما لو كان يقرأ أفكاره: «الأمر لا علاقة له بالضعف أو القوة، إنهم يؤثرون عليك بهذا الشكل؛ لأن حياتك السابقة بها رعب لم يعرفه الآخرون، إن هؤلاء الحراس من أكثر المخلوقات حماقة، إنهم لا يطيقون السلام أو الأمل أو السعادة، إنهم يمتصونها، وحتى العامة يشعرون بوجودهم، فقط اجعل واحدًا منهم يقترب من أحد هؤلاء الحراس لن يلبث إلا ويشعر أن كل شعور طيب وكل ذكرى سعيدة قد ذهبت منه، ولن يتركك حتى يجعلك مثله كئيبًا وبلا روح، لتبقى لك أسوأ خبرات حياتك، وما حدث لك يا «هارى» يكفى لأن يجعل أى شخص يسقط من فوق عصاه.. لا يوجد ما تخجل منه».

نظر «هارى» نحو مكتبه ثم قال: «عندما يقتربون منى أسمع صوت «فولدمورت» وهو يقتل أمى».

حرك «لوبين» ذراعه نحو «هارى» كما لو كان سيقبض على كتفه، ولكنه تراجع وساد الصمت بينهما لدقيقة ثم عاد «هارى» يتساءل: «لماذا حضروا إلى المباراة؟».

أجاب «لوبين» ببرود وهو يغلق حقيبته: «لقد شعروا بالجوع.. «دمبلدور» لا يسمح لهم بدخول المدرسة؛ لذلك قلت مواردهم من المعاناة البشرية، ويبدو أنهم لم يستطيعوا مقاومة ذلك الزحام الشديد والإثارة.. والعواطف الجياشة.. لقد كانت بمثابة وليمة لهم».

تمتم «هاری»: «لابد أن «أزكابان» مكان رهيب».. وأومأ «لوبين» موافقاً ثم قال: «إن حصن «أزكابان» مقام فوق جزيرة صغيرة، ولكنهم لا يحتاجون أسوارًا، فيكفى أن السجين هناك سجين الرأس، ولا يستطيع أن يفكر بفكرة طيبة واحدة؛ فيصاب معظمهم بالجنون خلال أسابيع».

قال «هارى» ببطء: «ولكن «سيريوس بلاك» استطاع الهرب منهم...».

سقطت حقيبة «لوبين» من فوق مكتبه؛ فانحنى بسرعة لالتقاطها، ثم قال وهو يعتدل: «نعم.. لابد أنه وجد طريقة ليواجههم بها، لم أكن أظن أن هذا الأمر ممكن، فالمفروض أن الحراس يجردون الساحر من قواه إذا كان سيقضى معهم وقتًا طويلاً...».

قال «هارى» فجأة: «ولكنك جعلت هذا الحارس الذى كان بالقطار يبتعد». أجابه «لوبين»: «هناك أكثر من وسيلة دفاع يمكن للفرد أن يستخدمها، ولكنه كان مجرد حارس واحد، فكلما زاد عددهم ازدادت صعوبة مقاومتهم».

وتساءل «هارى» على الفور: «أى دفاعات؟ وهل يمكنك أن تعلمها لى؟».

- «أنا لا أدعى أننى خبير فى مواجهة هؤلاء الحراس يا «هارى»، وإنما على العكس....».

- «ولكن إذا حضر أحدهم إلى مباراة أخرى فأريد أن أكون قادرًا على محاربتهم».

نظر «لوبين» نحو وجه «هارى» فى تردد، ثم قال: «حسنًا.. سأحاول مساعدتك، ولكن يجب أن تنتظر حتى الفصل الدراسى القادم؛ فلدى الكثير من العمل لأقوم به قبل الإجازات، وقد جاء مرضى فى وقت غير مناسب!».

قبل نهاية الفصل الدراسى بأسبوعين؛ تحولت السماء إلى لون أبيض ساطع، وغطى الجليد الأراضى الموحلة، وداخل القلعة كانت احتفالات الكريسماس، وكان الأستاذ «فليتويك» قد قام بتزيين الفصول بأضواء براقة، وكان التلاميذ يناقشون بسعادة خططهم للإجازة، وقرر كل من «رون» و«هيرميون» البقاء فى «هوجوورتس»، ورغم أن «رون» تحجج بأنه لن يستطيع قضاء أسبوعين مع «بيرسى»، وأن «هيرميون» ادعت أنها تريد استعمال المكتبة، لكن «هارى» لم يقتنع، لقد كانا يفعلان ذلك حتى يظلا معه، وقد كان شديد الامتنان لهما.

وتقرر أن يكون هناك رحلة إلى «هوجسميد» فى نهاية الفصل الدراسى، وهو ما أسعد الجميع ما عدا «هارى» بالطبع، فقالت «هيرميون»: «يمكننا أن نتسوق من هناك من أجل الكريسماس، فسيحب أبواى هذه الحلوى من محل «هانى ديوك»».

ولأن «هارى» كان يعلم أنه سيكون التلميذ الوحيد من الصف الثالث الذى سيبقى بالمدرسة، فقد قرر أن يقضى الوقت فى القراءة والتدريب، بعد أن اختار إحدى عصىّ المدرسة ليركبها

رغم أنها كانت من طراز قديم، وكانت بطيئة ومملة، لكنه كان بحاجة لعصا أخرى بلاشك».

وفى صباحٍ يوم السبت، يوم الذهاب إلى «هوجسميد» ودع «هارى» كلاً من «رون» و«هيرميون» والتى التفت بعباءتها، ثم استدار وصعد السلم بمفرده متوجها إلى برج «جريفندور»، وهو يرى الجليد وقد بدأ يتساقط من النوافذ، وعم السكون أرجاء القلعة حتى سمع «هارى» من يناديه، فاستدار ليجد «فريد» و«چورچ» يتقدمان نحوه فتساءل «هارى»: «ماذا تفعلان؟».

وكيف لم تذهبا إلى «هوجسميد»؟ أجابه «چورچ» فى غموض: «لقد جئنا لنقدم لك شيئًا قد يسعدك قبل أن نذهب.. تعالَ..».

فدخل «هارى» خلفهما إلى أحد الفصول الخالية، ثم أغلق «چورچ» الباب بهدوء، واستدار نحو «هارى» ثم قال: «هدية كريسماس مبكرة يا «هارى»». ثم جذب «فريد» شيئًا ما من تحت عباءته ووضعه على المكتب، كانت رقعة جلدية مربعة غير مكتوب عليها أى شىء، فظن «هارى» أنها واحدة من مقالب «فريد» و«چورچ» فتساءل: «ما هذا؟».

قال «چورچ»: «هذا يا «هارى» هو سر نجاحنا».

وقال «فريد»: «ولقد قررنا بالأمس أنك تحتاجه أكثر منا».

ثم قال «چورچ»: «وعلى كل حال فإننا نعرفها عن ظهر قلب، ولا نحتاجها بعد الآن».

تساءل «هارى»: «وما الذى سأفعله بمثل هذه الرقعة القديمة؟».

قال «چورچ»: «حسنًا.. عندما كنا فى الصف الأول دخلنا إلى أحد الممرات؛ مما أثار ضيق الأستاذ «فليتش»، فاستدعانا لمكتبه وراح يهددنا بالعقاب؛ حتى لاحظنا أن أحد أدراج مكتبه مكتوب عليه: «محظور وشديد الخطورة». فافتعلنا خدعة جديدة، وتوجهت نحو الدرج وحصلت على هذه».

ثم قال «فريد»: «ليس الأمر بهذا السوء، فإننا نظن أن «فليتش» لم يكتشف أهميتها، ومن المحتمل أنه لم يكن يعرف ما هى».

تساءل «هارى»: «وأنتما.. هل اكتشفتما أهميتها؟».

أجاب «فريد»: «بالتأكيد.. هذه الجميلة الصغيرة علمتنا أكثر مما علمنا كل معلمى المدرسة».

ثم أخرج عصاه السحرية ومس بها الرقعة برفق، فبدأت خطوط من الحبر تظهر فوقها مثل خيوط العنكبوت، وراحت الخطوط تتصل ببعضها وتتقاطع حتى غطت كل الرقعة، ثم بدأت بعض الكلمات فى الظهور، لقد كان خريطة تفصيلية لقلعة «هوجوورتس» وأراضيها، وأهم ما يميزها هى تلك النقاط المتحركة التى تحمل أسماء معلمى المدرسة، وتوضح أماكن تواجدهم، وما يقومون به، فراحت عينا «هارى» تنتقلان بين الممرات المعتادة حتى لاحظ وجود مجموعة من الممرات التى لم يدخلها من قبل وكان معظمها يؤدى.....

... إلى «هوجسميد» مباشرة. قالها «فريد» وهو يشير إلى أحدهم ويتبعه حتى نهايته: «إنها سبعة ممرات، وفليتش يعرف أربعة،

أما الثلاثة الباقون فلا يعرفهم سوانا، فهذا الممر يؤدى مباشرة إلى محل «هانى ديوك» وقد استعملناه كثيرًا، وربما تكون قد لاحظت أن مدخل الممر يقع مباشرة خارج هذه الحجرة».

وأخيرًا قال «چورچ»: «لا تنسَ أن تمحوها بعد استخدامها...».

وتابع فريد محذرًا: «وإلا استطاع أى شخص أن يقرأها.... والآن أرجو أن تحترس لنفسك يا «هارى»..».

ثم عاد «چورچ» يقول: «نراك فى «هانى ديوك»..».

وغادرا الحجرة معًا وقد بدت عليهما السعادة فى حين ظل «هارى» محملقًا فى الخريطة، وقد خطر على تفكيره شىء قاله السيد «ويزلى» ذات مرة: «لا تثق أبدًا بأى شىء يمكن أن يفكر بذاته ما دمت لا ترى أين عقله» وكانت هذه الخريطة هى أحد هذه الأشياء الخطرة التى حذره منها السيد «ويزلى»، ولكن «هارى» عاد يفكر أنه لا يريدها إلا ليذهب إلى «هوجسميد»، إنه لن يستخدمها لسرقة شىء، أو للإضرار بشخص، ولقد ظل «فريد» و«چورچ» يستخدمانها لسنوات دون أن يدرى أحد، ودون أن يحدث أى شىء، وبالفعل نظر «هارى» نحو الخريطة، وتتبع بإصبعه ذلك الممر، ثم طواها ووضعها داخل ملابسه، وخرج إلى باب الحجرة حتى تأكد من عدم وجود أحد بالخارج، فخرج من الحجرة وتسلل حتى وصل إلى تمثال تلك الساحرة ذات العين الواحدة، وأخرج الخريطة مرة أخرى، ولدهشته فقد وجد نقطة حبر تحمل اسم «هارى بوتر» وتقف حيث يقف هو

تمامًا، وبدا كما لو كانت نقطة الحبر الصغيرة تخرج عصاها السحرية وتمس بها التمثال، فأخرج عصاه الحقيقية ومس بها التمثال، ولكنّ شيئًا لم يحدث، وعندما عاود النظر إلى الخريطة؛ قرأ هذه الكلمة الصغيرة التى تتحرك إلى جواره: «ديسينيوم» فهمس بها «هارى» وهو يمس التمثال مرة أخرى، وعلى الفور انفتح ظهر التمثال فتحة تسمح بمروره منها، فنظر «هارى» حوله ثم أعاد الخريطة إلى داخل ملابسه مرة أخرى، ودخل من الفتحة لينزلق حتى وصل إلى أرض صلبة باردة، وعندما وقف نظر حوله ليجد المكان مظلمًا، فرفع عصاه وتمتم: «لاموس». وهنا رأى أنه داخل سرداب ضيق، فأخرج الخريطة ليخفى معالمها كما علمه «چورچ»، ثم طواها بحرص، وأعادها إلى داخل ملابسه قبل أن ينطلق فى السرداب الملتوى وهو يحمل عصاه أمامه، واستغرق الأمر نحو ساعة، حيث أحس «هارى» أن السرداب قد بدأ يرتفع، فأسرع لتزداد سخونة وجهه وبرودة أطرافه، وبعد عشر دقائق أخرى وصل إلى درجات حجرية فبدأ صعودها بحرص، مائة.. مائتان.. ولم يستطع متابعة العد وهو يصعد حتى اصطدمت رأسه بشىء فجأة.

كان شيئًا يشبه بابًا مؤديًا للخارج، وبالفعل فتحه «هارى» وعندما صعد برأسه لأعلى لم يستطع سماع أى شىء، وإنما رأى مجموعة من الصناديق، وسلمًا يؤدى لأعلى، لقد كان مخزنًا، وعندما صعد لأعلى أغلق ذلك الباب خلفه واتجه للسلم

الخشبى المؤدى للدور العلوى حتى استطاع سماع الأصوات التى تعلوه، وفجأة سمع صوت باب يفتح ثم يغلق مرة أخرى، ثم سمع صوت باب آخر أكثر قربًا منه يفتح بدوره، وبدا أن أحدهم على وشك النزول، وبالفعل سمع «هارى» صوت سيدة تصيح:

«أحضر صندوقًا آخر من حلوى الچيلى.. لقد قضوا على كل ما لدينا هنا».

سمع «هارى» صوت قدمين تهبطان السلم؛ فانحنى خلف صندوق كبير، وانتظر حتى بعدت هذه الأقدام، وسمع صاحبها ينقل بعض الصناديق نحو الحائط، وظن «هارى» أنه قد لا تسنح له فرصة أخرى، فخرج من مخبئه فى هدوء وسرعة، وصعد ذلك السلم، وعندما نظر خلفه، رأى رأس رجل أصلع ينحنى داخل أحد الصناديق، وعندما وصل «هارى» إلى الباب الذى فى أعلى السلم خرج منه ليجد نفسه خلف منصة البائعين فى محل «هانى ديوك»، انحنى ليمر ثم استقام واقفًا مرة أخرى وهو ينظر حوله، كان المحل مزدحمًا بتلاميذ «هوجوورتس» الذين لم ينظر أحدهم نحوه، فدخل وسطهم، وراح ينظر حوله وهو يكتم ابتسامة عندما تخيل ما يمكن أن يشعر به «ددلى» إذا عرف المكان الذى هو به الآن.

كان المحل مليئًا بالأرفف التى اكتظت بأشهى أنواع الحلوى، ومئات القطع من مختلف أنواع الشيكولاتة، وعلى حائط آخر

وجد لافتة تقول: «حلوى المؤثرات الخاصة». مثل ذلك اللبان الذى قد يملأ إحدى الحجرات بكرة لا تنفجر لمدة أيام وغيرها وغيرها، واندفع «هارى» وسط تجمع من تلاميذ الصف السادس حتى رأى لافتة مكتوبًا عليها «نكهات غير معتادة»، ورأى «رون» و «هيرميون» يجربان أحد أنواع المصاصات، فتسلل «هارى» حتى جاء خلفهما ليسمع «هيرميون» تقول: «لا.. «هارى» لن يريد واحدة من هذه».

فتساءل «رون» وهو يقدم لها نوعًا آخر: «وماذا عن هذه؟».

فقال «هارى»: «لا بالطبع».

وكادت الحلوى أن تسقط من بين يدى «رون» قبل أن تتساءل «هيرميون» بدهشة: ««هارى»؟! ما الذى تفعله هنا؟ وكيف....؟».

خفض «هارى» صوته حتى لا يسمعه أحد تلاميذ الصف السادس، وقص عليهما ما حدث له مع «چورچ» و «فريد».

فقال «رون» مقاطعًا: «وكيف يحدث هذا ، كيف يقدمان لك هذا الشئ ولا يقدمانه لى ، أنا شقيقهم».

أجابته «هيرميون»: «ولكن «هارى» لن يحتفظ بها، سيقدمها إلى الأستاذة «ماكجونجال»، أليس كذلك يا «هارى»؟».

فأجاب «هارى»: «لا.. لن أفعل ذلك».

فقال «رون»: «وهل جننت حتى تسلم لها مثل هذا الشىء المهم؟».

قال «هارى»: «إذا سلمتها فسأكون مضطرًا لإخبارها عن

كيفية حصولى عليها، وهنا سيعرف «فليتش» أن «چورچ» و«فريد» قد حصلا عليها من عنده».

وهمست «هيرميون» متسائلة: «وماذا عن «سيريوس بلاك»؟ من المحتمل أن يستخدم أحد هذه الممرات حتى يصل إلى المدرسة.. لابد أن يعرف المعلمون».

أجابها «هارى» سريعًا: «لا يمكن أن يستخدم أحد الممرات التى على الخريطة؛ فهناك سبعة ممرات هنا، أليس كذلك؟ ولقد أخبرنى «فريد» أن «فليتش» يعرف أربعة منهم بالفعل، والثلاثة الآخرون أحدهم مسدود، وأحدهم مدخله عند شجرة «ومينج ويلو» ولا يستطيع أحد الدخول منه، أما الممر الذى جئت منه فمن الصعب رؤية مدخله الموجود بالمخزن؛ إلا إذا كان يعرف بوجوده من قبل و....».

وتردد «هارى» قليلاً، فماذا لو كان «بلاك» يعلم بوجود هذا الممر؟ أما «رون» فقد ازدرد لعابه ثم أشار إلى ذلك الإعلان المعلق على الباب من الداخل.

«طبقًا لأوامر وزارة السحر نذكر رواد المحل أنه حتى إعلان آخر فإن حراس «أزكابان» سيقومون بالمرور فى شوارع «هوجسميد» كل ليلة بعد غروب الشمس من أجل سلامة سكان «هوجسميد»، وحتى القبض على «سيريوس بلاك»؛ لذلك فمن الأفضل إنهاء التسوق قبل حلول الظلام.

ثم قال «رون»: «أتمنى أن أرى بلاك يحاول دخول المحل

مع كل هؤلاء الحراس الذين يدورون فى الشوارع، وعلى كل حال يا «هيرميون» فإن أصحاب المحل يقطنون بالدور العلوى، وسيسمعون صوت أى اقتحام، وبدت «هيرميون» كما لو كانت تحاول البحث عن مشكلة أخرى ثم قالت: «نعم ولكن... لكن، لا يجب أن يأتى «هارى» إلى «هوجسميد»؛ إنه لم يحصل على تصريح، وإذا اكتشف أحدهم الأمر فسيتعرض لمشكلات كبيرة والليل لم يحل بعد، فماذا لو ظهر «سيريوس بلاك» الآن؟».

أجابها «رون»: «سيكون عليه أن يجد «هارى» وسط كل هذا».

وأشار إلى الجليد الكثيف المتساقط ثم تابع: «هيرميون.. إننا نحتفل بالكريسماس و«هارى» يستحق شيئًا من الراحة».

ولم تجب «هيرميون» وإنما عضت شفتها وقد بدا عليها القلق الشديد، فتساءل «هارى» مازحًا: «هل ستبلغين عنى؟».

أجابته: «بالطبع لا.. ولكن يا «هارى»....».

قاطعها «رون» وهو يجذب يد «هارى»: «هل رأيت كل هذه الأنواع من الحلوى؟».

وبعد أن أنهوا تسوقهم؛ تقدم كل من «رون» و «هيرميون» لدفع ثمن مشترياتهم قبل أن يخرجوا من المحل، كانت «هوجسميد» تبدو كبطاقة المعايدة، فقد كانت المنازل والمتاجر كلها مغطاة بالجليد، وعلى الأبواب علقت الزينات، وأضاءت الشموع أشجار عيد الميلاد.

وارتعش «هارى» فهو لم يحضر عباءته معه، وساروا معًا فى الشارع، ورءوسهم منحنية فى مواجهة الرياح القوية، وراح كل من «رون» و«هيرميون» يصيحان: «هذا هو مكتب البريد.....».

«ويمكننا أن نذهب إلى شيريكنج شاك».

ولكن «رون» عاد يقول: «اسمعا.. إن الجو شديد البرودة.. فماذا عن مشروب دافئ؟».

وكان «هارى» يتمنى هذا بشدة، فقد كانت الرياح قوية للغاية، ويداه كادتا أن تتجمدا فى هذا الطقس، لذلك فقد عبروا الطريق، وخلال دقائق كانوا داخل محل صغير.

كان المحل مزدحمًا للغاية ودافئًا، أشار «رون» إلى سيدة ذات وجه جميل تقوم بخدمة رواد المحل قائلاً: «هذه هى مدام «روزميرتا».. سأذهب لإحضار المشروبات».

توجه «هارى» مع «هيرميون» إلى مؤخرة المكان، اختارا أحد الأركان ليجلسا بين النافذة وبين إحدى أشجار عيد الميلاد فى مواجهة المدفأة، ثم عاد «رون» بعد خمس دقائق وهو يحمل ثلاثة أوعية تتصاعد الأبخرة من أعلاها قائلاً: «عيد سعيد».

وشرب «هارى».. لقد كان ألذ ما شربه، وبدا كما لو أنه يدفئ كل جزء من جسده من الداخل قبل أن يفتح باب المحل مرة أخرى فيهب نسيم بارد داخل المكان ويعبث بشعره، ونظر «هارى» للخلف ليرى مَن هناك، كانت الأستاذة «ماكجونجال»

و«فليتويك» قد دخلا للمكان ثم لحق بهما «هاجريد» الذى انخرط فى حديث مع رجل يرتدى قبعة خضراء، وعباءة مخططة، هو «كورنيليوس فودچ» وزير السحر.

وفى حركة واحدة رفع «رون» و«هيرميون» يديهما وخفضا رأس «هارى»؛ ليختفى أسفل المنضدة، ثم أزاحا كوبه من فوقها، ومن مكانه رأى «هارى» أقدام وزير السحر ومن معه، وقد توقفت قليلاً قبل أن تتوجه نحوه، وسمع «هارى» صوت «هيرميون» تقول: «موبيليار باص». وارتفعت شجرة عيد الميلاد التى كانت إلى جوارهم بضع بوصات قبل أن تستقر على الأرض أمام المنضدة لتحجب عنهم الرؤية، وعبر الفروع السفلى؛ استطاع «هارى» أن يرى أربعة مقاعد تتحرك حول المنضدة المجاورة لهم، ثم سمع أصواتهم وهم يملون طلباتهم على مدام «روزميرتا»:

- «ماء چيلى صغير....».

- «ماء صودا مع ثلج».

ثم سمع صوت «فودچ» يقول: «شكرًا لك يا «روزميرتا».. إنه من الطيب أن أراك مرة أخرى، لِمَ لا تحضرين مشروبًا وتأتين لتجلسى معنا؟».

أجابته السيدة: «حسنًا.. شكرًا جزيلاً لك أيها الوزير».

ورأى «هارى» حذاء السيدة «روزميرتا» وهو يذهب ثم يعود مرة أخرى، وقلبه يخفق بقوة، لماذا لم يخطر على باله أن هذه

آخر إجازات الفصل الدراسى للمعلمين كذلك؟ وقد كان يحتاج لوقت حتى يعود إلى محل «هانى ديوك» ويتسلل عبر الفتحة حتى يعود لمدرسته.

وسمع صوت مدام «روزميرتا» تتساءل: «وما سبب حضورك هنا يا سيدى الوزير؟».

وأجابها الوزير: «ومن يكون غير «سيريوس بلاك» يا عزيزتى؟ هل عرفت ما حدث فى المدرسة يوم الهالويين؟».

أجابته: «نعم.. لقد سمعت بعض الشائعات».

وهنا تساءلت الأستاذة «ماكجونجال»: «هل أخبرت الجميع يا «هاجريد»؟».

ولكن مدام «روزميرتا» عادت تهمس: «هل تظن أن «بلاك» مازال فى المنطقة يا سيدى؟».

أجاب «فودج» باقتضاب: «أنا واثق من ذلك».

عادت تتساءل قائلة: «هل تعرف أننى مازلت أواجه صعوبة فى تصديق ذلك؟ فلو كنت أخبرتنى أن «بلاك» كان سيصبح هكذا عندما كان لا يزال ضمن تلاميذ «هوجوورتس» لما صدقت».

أجابها «فودج»: «أنت لا تعرفين نصف الأمر، فأسوأ ما فعله غير معروف».

عادت تتساءل: «هل تعنى أن هناك ما هو أسوأ من قتل هؤلاء الأبرياء؟».

أجابها «فودج»: «بالتأكيد».

- «لا أصدق.. فماذا يمكن أن يكون أسوأ من ذلك؟».

عادت الأستاذة «ماكجونجال» للحديث قائلة: «لقد قلت: إنك تذكرينه حينما كان فى «هوجوورتس». فهل تذكرين من كان أفضل أصدقائه؟».

أجابت ضاحكة: «بالتأكيد.. لقد كان كل منهما كظل الآخر.. «سيريوس بلاك» و«جيمس بوتر»».

وسقط الكوب من يد «هارى» فجأة، فلكزه «رون» حتى يحترس للصوت، فعادت الأستاذة «ماكجونجال» تقول: «نعم.. تمامًا.. لقد كان كل منهما صديقًا مخلصًا للآخر، ونحن لم نواجه زوجًا من مثيرى المشكلات مثلهما».

ولكن «هاجريد» قال: «لا أعرف ولكن «چورچ» و«فريد» يبشران بذلك».

عاد «فودچ» يقول: «لقد كان «جيمس» يثق فى «بلاك» أكثر من أى صديق له، ولم يتغير هذا الأمر عندما تركوا المدرسة، وبعد أن تزوج «جيمس» من «ليلى» جعلا من «بلاك» الأب الروحى لابنهما «هارى»، وبالطبع «هارى» لا يعرف أى شىء عن ذلك، فيمكن أن تدمره هذه الفكرة».

همست «روزميرتا»: «لأن «بلاك» بدأ يتعامل مع «أنت تعرف من»».

خفض «فودچ» صوته مجيبًا: «بل أسوأ من ذلك يا عزيزتى، فلم يكن الكثيرون يعلمون أن.. «أنت تعرفين من» يسعى خلف

«هـارى» وأسرتـه، ولكن «دمبلدور» الذى كـان يعمل بلا كلل فى مواجهة «أنت تعرفين من» كان له بعض المساعدين الذين أخبره أحـدهـم بـذلك، فـأسـرع لـيـنـبـه «جيـمس» و«لـيلـى» علـى الـفـور، ونصـحـهمـا بـالاخـتـفـاء فـى مـكـان مـا، وكـان لابد أن يسـتـخـدمـا تعويذة يقومـان بعدهـا بـالاستعـانة بشخص واحد لحفظ سرهمـا، وقد اختـارا هذا الحـارس؛ فكـان «بلاك».

تـابـعت الأسـتـاذة «مـاكـجـونـجـال» قـائـلـة: «وبـالـطبع فقد أخبر «جيمس بوتر» «دمبلدور» أن «بلاك» سيفضل الموت على أن يخبر أى أحد بمكـانـه، كمـا أن «بـلاك» كـان يـخطط للاخـتفـاء بدوره، ولكن «دمبلدور» ظل قلقًا، وأذكر أنه عرض على «جيمس» أن يكون هو كاتم الأسرار».

لـهثت مدام «روزميرتـا»: «لقد كـان يشك فـى بلاك».

أجـابـتـهـا «مـاكـجـونـجـال»: «لقد كـان واثقًا أن شخصًا قريبًا من آل «بوتر» يـخبر «تـعرفين من» بـتـحـركـاتـهم».

عـادت «روزميرتـا» تتسـاءل: «ولكن «بوتر» أصر علـى «بلاك»؟».

أجـابـهـا «فودچ»: «نعم، وكـان «بلاك» قد أصابـه الملل من دور العميل المزدوج، وكـان على استعداد لأن يصرح بعلاقته مـع «من تعرفين»، وبـالفعل اختـار نفس الوقت الذى بدأ رئيسه يعلن فيه عن مخططاته حتى يعلن هو عن وجهه الحقيقى».

وهنـا صـاح «هـاجريد» بصوت مرتفع جعل نصف القاعة تنظر نـحوهم: «ذلك الوغد الشرير.. لقد قـابلته، لقد كنت آخر من رآه قبل

أن يقتلهما، وأنا الذى أنقذت «هارى» من منزل «جيمس» و «ليلى» بعد مصرعهما؛ فأخرجته من وسط الأنقاض وعلى جبهته هذه الندبة، وعاد «سيريوس بلاك» على ظهر تلك الدراجة البخارية التى اعتاد ركوبها، ولم أكن أعرف أنه حافظ أسرار «جيمس» و«ليلى»، فظننت أنه عرف ما حدث، وجاء ليرى ما يستطيع أن يفعله، وهل تعلمون ما الذى فعلته؟ لقد أكدت له مصرعهما.. ذلك الخائن».

قالت الأستاذة «ماكجونجال»: «من فضلك يا «هاجريد».. اخفض صوتك!».

ولكنه عاد يتابع: «لقد أخبرنى أنه الأب الروحى لـ «هارى»، وطلب منى أن أعطيه له، ولكن «دمبلدور» قد أخبرنى قبل ذلك ألا أعطيه لأحد، فرفضت وأخبرته أنه سيذهب لمنزل خالته، فحاول منافستى إلا أنه استسلم فى نهاية الأمر وطلب منى أن أستخدم دراجته قائلاً: «إنه لن يحتاجها بعد ذلك».

«وكان يجب أن أعرف أن فى الأمر خدعة، فقد كان يحب هذه الدراجة، فلماذا يتركها الآن بهذه السهولة؟ والسبب أنها كانت ستسهل تتبعه بعد أن عرف «دمبلدور» أنه حافظ أسرار «آل بوتر». وكان «بلاك» يعرف أنها مسألة وقت قبل أن تبدأ وزارة السحر البحث عنه».

وعمّ المكان صمت طويل بعد قصة «هاجريد» قبل أن تعاود مدام «روزميرتا» التساؤل: «ولكنه لم ينجح فى الهرب، أليس كذلك؟ لقد ألقت وزارة السحر القبض عليه فى اليوم التالى».

أجابها «فودج»: «لم نكن نحن الذين وجدناه، وإنما وجده «بيتر بيتيجرو» أحد أصدقاء «جيمس»»، والذى مات وهو يحاول الانتقام من «بلاك» حسب رواية العامة الذين رأوهما وهما يتشاجران، وقد محونا ذاكرتهم بالطبع بعد أن عرفنا منهم ما حدث، وبعدها تم إلقاء القبض على «بلاك» وأرسل إلى «أزكابان»».

زفرت «روزميرتا» زفرة طويلة، ثم تساءلت: «هل صحيح أنه مجنون يا سيدى؟».

أجابها «فودج»: «أتمنى أن أقول ذلك، فكل ما فعله يؤكد هذا، ولكننى قابلته فى آخر زيارة لى إلى «أزكابان»، وكما تعرفين فإن كل السجناء هناك يكلمون أنفسهم من فرط ما يتعرضون له، ولكن «بلاك» كان طبيعيًا تمامًا وطلب منى جريدتى؛ لأنه لم يستطع إكمال الكلمات المتقاطعة، وقد اندهشت لأن الحراس لم يستطيعوا التأثير عليه، خاصة وأن الحراسة عليه كانت مشددة ليلاً ونهارًا».

عادت «روزميرتا» تتساءل: «ولكن ما سبب هربه؟.. لا أظن أنه يحاول العودة إلى «أنت تعرف من»».

أجابها «فودج»: «أظن أن تلك هى خطته، ولكننا نأمل أن نمسك به قبل ذلك، ويجب أن أقول: إن عودة الخادم المخلص إلى «أنت تعرفين من» سيعجل بظهوره وهو ما يجعلنى أرتعد خوفًا».

وهنا قالت الأستاذة «ماكجونجال»: «أتعرف يا

«كورنليوس».. إذا كنت ستتناول العشاء مع المدير؛ فيجب أن نعود للقلعة الآن».

وخرجوا واحدًا تلو الآخر من الحانة، وفتح الباب، وطارت ثلاث من المكانس السحرية، وهبت ريح باردة.. واختفى الأساتذة الثلاث، وعندها خرج «هارى» من تحت المنضدة، وواجه «رون» و«هيرميون» ولم يجدا ما يمكن أن يقال.

* * *

١١ السـهم النـارى

لم يكن لدى «هارى» أى فكرة واضحة عن كيفية عودته إلى ذلك المخزن فى محل «هانى ديوك»، حتى يعود للقلعة مرة أخرى، ولكن كلّ ما كان يعرفه هو أنه لم يشعر بالوقت الذى استغرقته رحلة العودة، فقد كان عقله مشغولاً بالمحادثة التى سمعها لتوه، لماذا لم يخبره أحد قبل ذلك؟ «دمبلدور»، «هاجريد»، السيد «ويزلى»، «كورنليوس فودچ» لماذا لم يخبره أحدهم أن وفاة والديه كانت بسبب خيانة أفضل صديق لهما، وقابله «رون» و«هيرميون» أثناء العشاء دون أن يجرؤ أى منهما على الحديث عما سمعاه، فقد كان «بيرسى» يجلس بالقرب منهم، وعندما صعدوا إلى الحجرة تسلل «هارى» إلى جناح النوم وتوجه مباشرة إلى الخزانة المجاورة لفراشه، ووجد على الفور ما كان يبحث عنه، ذلك الألبوم الذى قدمه له «هاجريد» منذ عامين، والذى كان مملوءًا بصور والده ووالدته، وجلس فى فراشه، وبدأ يتصفح الألبوم حتى توقف عند صورة لوالديه فى يوم زفافهما، كان والده يلوح له وعلى رأسه بدا ذلك الشعر الأسود غير المنتظم الذى ورثه «هارى» عنه، وكانت والدته تبدو فى غاية السعادة، وهناك.. لابد أن يكون هو.. ذلك الرجل الذى لم يفكر «هارى» به مطلقًا، وإذا لم يعرف أنه نفس

الشخص لما ظن أن هذا هو «بلاك»، ولم يكن وجهه شاحبًا، وإنما كان وسيمًا باسمًا، ترى هل كان يعمل لحساب «فولدمورت» عند التقاط هذه الصورة؟ ترى هل كان يخطط لقتل هذين الشخصين الواقفين إلى جواره؟ ترى هل كان يعرف أنه سيتعرض لسجن مدته اثنا عشر عامًا فى أزكابان؟ وكان من المفروض أن تغيره هذه السنوات تمامًا، ولكن حراس «أزكابان» لم يؤثروا فيه.

أغلق «هارى» الألبوم بقوة وانحنى ليعيده إلى الخزانة مرة أخرى، ثم غير ملابسه وخلع نظارته، ثم أوى إلى فراشه.

وانفتح الباب ليدلف منه «رون» متسائلاً: «هارى؟!».

ولكن «هارى» تظاهر بالنوم ولم يتحرك حتى سمع «رون» يغادر المكان مرة أخرى، فاستدار وفتح عينيه، كان يشعر بما لم يشعر به من قبل، كان يرى «بلاك» وهو يضحك منه كما لو أن أحدهم نزع تلك الصورة من الألبوم ولصقها أمامه، وشاهد كما لو كان يشاهد أحد الأفلام، شاهد «بلاك» وهو يقضى على «بيتر بيتيجرو» واستطاع أن يسمع صوته - رغم أنه لم يسمعه من قبل -: «لقد تم الأمر يا سيدى.. آل «بوتر» جعلونى حافظ أسرارهم». ثم بدا صوت آخر يضحك ضحكة حادة، نفس الضحكة التى يسمعها «هارى» كلما اقترب منه أحد هؤلاء الحراس.

ولم يستطع «هارى» النوم، فنهض ليجد جناح النوم خاليًا، فارتدى ملابسه واتجه للحجرة العامة؛ ليجدها خالية إلا من

«رون» و«هيرميون» التى وضعت واجباتها المدرسية على ثلاث مناضد متجاورة فتساءل: «أين الجميع؟».

قال «رون» وهو ينظر نحو «هارى» جيدًا: «ذهبوا.. إنه أول أيام الإجازة.. هل تذكر؟ إن موعد الغداء اقترب ولقد كنت على وشك أن آتى لأوقظك».

جلس «هارىٍ» على مقعد بجوار المدفأة، بينما كان الجليد يواصل تساقطه خارج النافذة، وكان «كروكشانكس» ممددًا أمام المدفأة؛ فقالت «هيرميون»: «إنك لا تبدو بخير يا «هارى»».

ولكنه أجاب: «أنا بخير».

فقالت «هيرميون» وهى تتبادل نظرة مع «رون»: «اسمع يا «هارى».. لابد أن ما سمعته قد أزعجك، ولكن لا يجب أن يدفعك هذا لعمل أى شيء أحمق».

تساءل «هارى»: «مثل ماذا؟».

قال «رون» بحدة: «مثل أن تحاول أن تتبع «بلاك»..».

ولم يجب «هارى»، فعادت «هيرميون» تتساءل: «إنك لن تفعل ذلك يا «هارى».. أليس كذلك؟».

وتابع «رون»: «لأن «بلاك» لا يستحق أن تموت بسببه».

ونظر «هارى» نحوهما وهو يرى أنهما لا يفهمان شيئًا، فسألهما قائلاً: «هل تعرفان ما أراه وأسمعه إذا اقترب منى أحد الحراس؟».

هز كلاهما رأسه نفيًا، فأجاب: «أسمع صوت أمى وهى تصرخ

أثناء مواجهتها لـ «فولدمورت»، وإذا سمعت والدتك وهي تصرخ هكذا وهي على وشك أن تلقى مصرعها فلن تنسى ذلك، وإذا اكتشفت أن شخصًا كان يفترض أن يكون صديقًا، ولكنه خانها وأرسل «فولدمورت» خلفها....».

أجابته «هيرميون»: «لا شيء يمكنك أن تفعله، سيقبض الحراس على «بلاك» وسيعيدونه إلى «أزكابان» ليلقى ما يستحقه».

قال «هاري»: «لقد سمعت ما قاله «فودج» من أن «بلاك» لم يتأثر بوجوده في «أزكابان» مثل أي شخص عادي؛ فهذا لا يعتبر عقابًا له كالآخرين».

قال «رون» وقد بدا عليه التوتر: «إذن فماذا تقول؟! هل تود أن تقتل «بلاك»؟».

قالت «هيرميون» في صوت غلب عليه الفزع: «لا تكن سخيفًا.. إن «هاري» لا يريد أن يقتل أحدًا، أليس كذلك يا «هاري»؟».

ولم يجب «هاري» مرة أخرى، فهو لم يكن يعرف ما يريد، كل ما كان يعرفه أن بقاءه هكذا دون أن يفعل شيئًا في حين يستمتع «بلاك» بحريته، كان أكثر من احتماله، ثم قال فجأة: «إن «مالفوي» يعرف.. هل تذكران ما قاله لي في درس الوصفات «لو كنت مكانك لما جلست هكذا، كنت سأسعى للثأر دائمًا».

قال «رون»: «وأنت تنوي أن تعمل بنصيحته بدلاً منا؟ اسمع.. هل تعرف ما الذي حصلت عليه أم «بيتيجرو» بعد أن قضى عليه «بلاك»؟».

لقد أخبرنى أبى أنها حصلت على أصبعه فى صندوق، لقد كان هذا أكبر جزء تبقى منه، إن «بلاك» رجل مجنون وخطير يا «هارى»».

قال «هارى»: متجاهلاً «رون»: «لابد أن والد «مالفوى» أخبره».

قالت «هيرميون» وقد بدأت الدموع تلمع فى عينيها: «هارى.. أرجوك كن عاقلاً، لقد قام «بلاك» بشىء مرعب، ولكن لا تعرض نفسك للخطر، فهذا هو ما يريده «بلاك»، فلو بحثت عنه ستكون النتيجة أنك ستقع بين يديه، إن والديك لم يكونا ليرغبا فى إلحاق أى أذى بك، أليس كذلك؟ إنهما لن يرغبا فى أن تذهب إلى «بلاك»».

قال «هارى»: «لا أعرف... بسبب «بلاك» لم أتكلم معهما مطلقًا».

وساد الصمت لفترة تثاءب فيها «كروكشانكس» وأبرز مخالبه حتى قال «رون» محاولاً تغيير الموضوع: «انظر.. إننا فى إجازة فقد اقترب الكريسماس، دعنا نذهب لزيارة «هاجريد»، إننا لم نقم بزيارته منذ وقت طويل!».

قالت «هيرميون» مسرعة: «لا.. ليس من المفروض أن يغادر «هارى» القلعة يا «رون»..».

ولكن «هارى» قال: «نعم.. هيا بنا؛ لأسأله كيف لم يخبرنى بأى شىء عن «بلاك» وهو يحكى لى ما حدث لوالدىّ؟».

وبالفعل ارتدوا عباءاتهم وتوجهوا ناحية القلعة الخالية، حتى وصلوا إلى الأبواب الأمامية، ووصلوا إلى كوخه، وطرق «رون» الباب، ولكن لم يجبهم أحد! فتساءلت «هيرميون» وهى ترتعش من البرد الشديد: «إنه ليس بالخارج.. أليس كذلك؟».

ألصق «رون» أذنه بالباب ثم قال: «هناك ضوضاء مريبة بالداخل...».

ألصق كل من «هارى» و«هيرميون» أذنيهما بالباب؛ ليسمعا أصواتًا غريبة من داخل الكوخ، فقال «رون»: «من الأفضل أن نذهب لنحضر أحدًا».

ولكن «هارى» صاح: ««هاجريد»!.. «هاجريد»! هل أنت هنا؟».

وسمعوا صوت أقدام ثقيلة ثم انفتح الباب، ووقف «هاجريد» وقد احمرت عيناه بشدة، وظهرت بهما الدموع قبل أن ينقض «هاجريد» على «هارى» قائلاً: «هل سمعت؟».

كان «هاجريد» ضخمًا يصل حجمه إلى ضعف حجم الرجل العادى، لم يكن الأمر مضحكًا سيفقد «هارى» حياته تحت ثقل «هاجريد»، ولكن «هيرميون» و«رون» أمسكا بذراعى «هاجريد» وأبعداه؛ فاندفع «هارى» نحو الداخل، ولحق به «هاجريد» ليلقى بنفسه فوق أحد المقاعد، وقد أغرقت الدموع وجهه ولحيته.

قالت «هيرميون»: ««هاجريد».. ما هذا؟».

ولمح «هارى» خطابًا رسميًّا موضوعًا على المنضدة، فأعاد

سؤاله، فاتجه «هاجريد» نحو الخطاب، وسلمه إلى «هارى» الذى قرأه بصوت مرتفع:

عزيزى السيد «هاجريد»

طبقاً لتحرياتنا عن حادث هجوم هيبوجريف على أحد تلاميذ فصلك، فقد قبلنا تأكيد الأستاذ «دمبلدور» أنك لا تتحمل أى مسئولية عن ذلك الحادث.

قال «رون»: «عظيم.. رائع يا «هاجريد»». وانطلق ليربت على كتف «هاجريد»، ولكن «هاجريد» ظل يتصبب عرقًا ويلوح بإحدى يديه حتى يكمل «هارى» قراءة الخطاب.

وعلى كل حال فإننا نسجل اهتمامنا بالهيبوجريف، لذلك فقد قررنا تشكيل لجنة من أعضاء مجلس المخلوقات الخطرة لاستجوابك يوم ٢ أبريل، لذلك فلابد أن تقدم نفسك إلى المجلس فى «لندن» فى هذا التاريخ مع الهيبوجريف، وحتى ذلك الحين فيجب عزل ذلك المخلوق.

قال «رون»: «ولكنك قلت إن «باك بيك» هيبوجريف طيب وأراهن أنه سينجح و.....».

قاطعه «هاجريد» قائلاً: «أنت لا تعرف أعضاء هذه اللجنة».

وفجأة صدر صوت من ركن حجرة «هاجريد»؛ جعل كلاً من «رون» و«هيرميون» و«هارى» يلتفتون، لقد كان الهيبوجريف المسمى «باك بيك» راقدًا هناك، ويتناول شيئًا جعل الدماء تتناثر

على أرضية الغرفة، فقال «هاجريد»: «لم أحتمل أن أتركه مقيدًا وسط الجليد بمفرده».

ونظر كل من «رون» و«هيرميون» إلى بعضهما البعض، ثم إلى «هارى»، كما لو كانا يتوقعان أن يبدأ عتاب «هاجريد» الآن؛ لأنه لم يخبره عن حقيقة «بلاك»، ولكن «هارى» لم يستطع أن يفعل ذلك بينما كان «هاجريد» تعيسًا وخائفًا وإنما قال: «اسمع يا «هاجريد».. يمكنك أن تتخطى هذا الأمر، فكل ما تحتاجه هو دفاع قوى، كما يمكنك استدعاءنا كشهود..».

ولكن «هاجريد» ظل ينتحب، فنظر «هارى» و«هيرميون» إلى «رون» لكى يساعدهما فقال: «ترى هل أعد بعض الشاى؟».

وحدق به «هارى» مندهشًا فغمغم «رون»: «هذا ما تفعله أمى دومًا عندما يكون هناك أحد على غير ما يرام».

وفى النهاية وبعد التأكيد على المساعدة، وأمام هذا الكوب الكبير من الشاى الساخن؛ اقتنع «هاجريد»، وبدأ تجفيف وجهه بمنديل كبير، ثم قال: «أنتم على حق، ولكن هؤلاء الحراس كلما رأيتهم شعرت وكأننى سأذهب إلى «أزكابان» مرة أخرى».

وصمت الجميع.. فقد كانت أول مرة يتحدث فيها «هاجريد» عن المدة التى قضاها فى «أزكابان»، فتساءلت «هيرميون»: «هل المكان هناك مخيف يا «هاجريد»؟».

أجاب بهدوء: «نعم.. بالتأكيد، أنا لم أذهب لمكان مثل هذا من قبل، لقد كدت أن أجن بسبب هؤلاء الحراس.. كل ما كان يداهمنى

هو الذكريات المريرة.. يوم أن استبعدت من «هوجوورتس».. يوم وفاة والدى.. ويوم تركت «نوبرت» يذهب..».

وامتلأت عيناه بالدموع فقد كان «نوبرت» هو التنين الصغير الذى فاز به «هاجريد» قبل ذلك فى إحدى المسابقات.

وعاد «هاجريد» يتابع: «إنك تستطيع تذكر اسمك بصعوبة، ولا يمكنك أن ترى أى فائدة لحياتك على الإطلاق، فقد اعتدت على تمنى الموت، وعندما أخرجونى من هناك كان الأمر وكأننى ولدت من جديد، فقد عاد لى كل شىء، كان أفضل شعور فى العالم رغم أن الحراس لم يكونوا حريصين على ذهابى للخارج».

قالت «هيرميون»: «ولكنك كنت بريئًا».

عاد ليقول: «هل تظنين أن هذا الأمر يهمهم؟ لا.. إنهم لا يهتمون بذلك، فما دام تحت يديهم مائتا رجل يمتصون سعادتهم، فهم لا يهتمون بمن هو المذنب ومن هو البرىء».

وصمت «هاجريد» قليلاً وراح ينظر للشاى الذى بين يديه، ثم قال بهدوء: «إننى أفكر أن أترك «باك بيك» يذهب بعيدًا.. ولكننى أخشى مخالفة القانون.. فأنا..» وامتلأت عيناه بالدموع مرة أخرى وهو ينظر نحوهما: «أنا لا أريد أن أعود إلى «أزكابان» ثانية».

ورغم أن الرحلة إلى كوخ «هاجريد» خلت من المتعة، ولكنها أثرت على «هارى» ذلك التأثير الذى كان يرغبه كل من «رون»

و«هيرميون»، فقد نسى كل شيء عن «بلاك»، وإنما اهتم بموقف «هاجريد» وقضيته أمام لجنة الحيوانات الخطيرة، وفى اليوم التالى ذهب الثلاثة إلى المكتبة، ثم عادوا إلى الغرفة العامة ومعهم كتب قد تساعدهم فى إعداد دفاع عن «باك بيك»، فجلسوا أمام نار المدفأة يبحثون عما قد يساعدهم.

«هناك شيء هنا.. قضية فى ١٧٢٢ ولكن «الهيبوجريف» أدين.. انظرا ما فعلوه به.. يا له من أمر مقزز».

«هذا قد يساعدنا.. فقد تركوا أحد هذه الكائنات التى تحمل رأس إنسان وجسد أسد بعد أن مزق أحدهم عام ١٢٩٦؛ فقط لأن الجميع كان يخشى الاقتراب منه».

وفى هذه الأثناء كانت القلعة تستعد لأعياد الكريسماس، فانتشرت الزينات، وأشجار عيد الميلاد فى الممرات والغرف المختلفة، وانطلقت رائحة الأطعمة الشهية فى كل مكان، وفى صباح يوم عيد «الكريسماس» استيقظ «هارى» على صوت «رون» صائحًا: «هيا.. هدايا».

ونهض «هارى» ومد يده نحو نظارته، ثم غادر فراشه ليجد مجموعة من الهدايا، وكان «رون» قد فض لفافات هداياه بالفعل: «حلوى أخرى.. انظر إذا كنت ستجد واحدة».

وبالفعل فقد أرسلت السيدة «ويزلى» حلوى وبعض الفطائر المنزلية وكعكة «الكريسماس»، فنحى كل هذه الأشياء جانبًا؛ ليرى عبوة طويلة ورفيعة أسفل كوم الهدايا؛ فتساءل «رون»: «ما هذا؟».

أجابه «هارى» وهو يفض اللفافة: «لا أدرى». وعندما أخرج ما بها لهث فرحًا، لقد كانت عصا مكنسة رائعة، فترك «رون» ما كان بيده، واقترب ليرى قائلاً: «لا أصدق».

لقد كانت من طراز السهم النارى والتى رآها «هارى» ذات يوم فى حارة «دياجون» وتمنى أن يحصل عليها، وعندما التقطها شعر وكأنما كانت تهتز بين يديه؛ فتركها وقد تعلقت بالهواء فى ذلك الارتفاع المناسب لكى يمتطيها، وراحت عيناه تنتقلان من الرقم المسجل الذهبى فى أعلاها حتى تلك الخطوط الأنيقة فى نهايتها، فتساءل «رون»: «من الذى أرسلها لك؟».

قال «هارى»: «انظر.. هناك بطاقة».

وبحث «رون» داخل الصندوق ولم يجد شيئًا، فقال: «لا شىء.. من الذى سينفق كل هذا من أجلك؟».

أجاب «هارى» وقد أدرك ما يشعر به «رون»: «حسنًا.. أراهن أن آل «درسلى» ليسوا من أرسلها».

فقال «رون» وهو يدور حول العصا متأملاً لكل جزء فيها: «أراهن أنه «دمبلدور» فقد أرسل لك عباءة الإخفاء من قبل، دون أن يعلن عن هويته».

قال «هارى»: «لقد كانت عباءة الإخفاء مملوكة لوالدى، وكل ما فعله «دمبلدور» أنه سلمها لى، ولكنه لن ينفق مئات القطع الذهبية من أجلى، فهو لن يستطيع تقديم مثل هذا الشىء لباقى التلاميذ...».

فقال «رون»: «ولذلك لن يقول إنه هو من أرسلها، فكما يقول «مالفوى».. هيى.. «هارى».. انتظر حتى يراها «مالفوى».. أراهن أنه سيمرض.. إنها مطابقة للمواصفات الدولية.. أليس كذلك؟».

تمتم «هارى» وهو يمرر يده عليها: «أنا لا أصدق هذا». ولكن «رون» لم يسمعه، فقد كان غارقًا فى الضحك وهو يتخيل «مالفوى» عندما يراها؛ حتى قال أخيرًا: «أنا أستطيع أن أخمن من أرسلها.. «لوبين»».

اندهش «هارى» وقد كاد أن يضحك بدوره: «ماذا؟ «لوبين»؟ إذا كان يملك كل هذا الذهب، فمن الأحرى أن يشترى لنفسه بعض الثياب الجديدة».

فقال «رون»: «نعم، ولكنه يحبك، ولم يكن موجودًا عندما تحطمت عصاك، وقد يكون سمع بالأمر وقرر شراءها لك».

قال «هارى»: «ماذا تعنى؟ لقد كان مريضًا أثناء المباراة!».

قال «رون»: «إنه لم يكن بالمستشفى، فقد كنت هناك لقضاء تلك العقوبة من «سناب»، هل تذكر؟».

وحملق «هارى» فى وجه «رون» ثم قال: «أنا لا أصدق أن «لوبين» يقدم لى شيئًا كهذا».

دخلت «هيرميون» إلى المكان متسائلة: «لماذا تضحكان؟».

كانت تحمل «كروكشانكس» بين يديها فقال «رون»: «لا تقتربى به هنا». ولكن «هيرميون» لم تكن منصتة، فتركت

«كروكشانكس» فوق فراش «سيمون» الخالى ووقفت فى انبهار أمام السهم النارى ثم قالت: «هارى.. من أرسلها؟».

أجاب «هارى»: «لا أعرف؛ فلم يكن بها بطاقة».

ولم يبدُ على «هيرميون» أى سعادة، وإنما عضت شفتها وتغير وجهها.

فتساءل «رون»: «ما الأمر؟».

أجابت ببطء: «لا أعرف، ولكن هذه عصا جيدة، أليس كذلك؟».

أجاب «رون» مندهشًا: «إنها أفضل عصا».

- «لذلك فلابد أن تكون غالية الثمن».

- «إنها تساوى ثمن كل عصىّ فريق «سليذرين» مجتمعة».

عادت «هيرميون» تتساءل: «حسنًا.. من سيرسل إلى «هارى» شيئًا غاليًا كهذا دون أن يخبره عن اسمه؟».

قال «رون» بنفاد صبر: «ومن يهتم؟ اسمع يا «هارى».. هل أستطيع أن أجربها؟».

فقالت «هيرميون» بحدة: «لا أظن أن أحدًا يمكنه ركوبها بعد».

ونظر «هارى» و«رون» نحوها قبل أن يتساءل الأخير ساخرًا: «وماذا تظنين أن «هارى» سيفعل بها.. هل «ينظف الأرض؟».

وقبل أن تجيب «هيرميون» قفز «كروكشانكس» نحو «رون» فوق ردائه؛ ليقفز «سكابرز» فوق كتفه ليمسك به «رون» من ذيله ويدفع «كروكشانكس» ثم يحاول ركله، ولكن قدمه ارتطمت بحاجز فراش «هارى»، فراح يقفز وهو يصرخ من الألم وهنا

وقف شعر «كروكشانكس» حتى نهايته عندما انطلق صفير جهاز الإنذار وهو يضىء ويدور حول نفسه، فقال «هارى»: «لقد نسيت هذا الشىء».

وقال «رون»: «من الأفضل أن تأخذى هذا الشىء للخارج يا «هيرميون». ثم جلس على فراش «هارى» ليرى إصابة أصبعه قبل أن يضيف: «ألا يمكن أن تُسكتى هذا الشىء؟».

خرجت «هيرميون» من الحجرة، بينما تعلقت عينا «كروكشانكس» الصفراوان على «رون».

وأمسك «هارى» بذلك الجهاز وأعاده إلى صندوق مستلزماته، وكل ما كان يمكن سماعه الآن هو صوت «رون» وهو يتألم، أما «سكابرز» فكان يرتعد بين يدى «رون»، فقال «هارى»: «إنه لا يبدو بخير، أليس كذلك؟».

قال «رون»: «إنه عصبى.. سيكون بخير إذا تركه هذا الشىء وشأنه». ولم يكن يوم الكريسماس يومًا سعيدًا، فقد كان «رون» لا يزال غاضبًا بسبب محاولات «كروكشانكس» التهام «سكابرز» أما «هيرميون» فقد كانت غاضبة لأن «رون» حاول ركل «كروكشانكس»، وحاول «هارى» الإصلاح بينهما، ولكنه لم يستطع، فراح يجرب عصاه الجديدة، فى حين ظلت «هيرميون» تتابعه بنظراتها دون أن تتحدث.

عندما حان وقت الغداء هبط الجميع إلى البهو العظيم ليجدوا أن الموائد قد عادت بجوار الحوائط مرة أخرى، فيما

عدا مائدة واحدة لاثنى عشر شخصًا استقرت فى وسط البهو، وكان كل من الأستاذ «دمبلدور» و«ماكجونجال» و«سناب» و«سبراوت» و«فليتويك» هناك مع «فليتش» الذى خلع معطفه البنى المعتاد، وهذا بالإضافة إلى ثلاثة تلاميذ آخرين؛ اثنين من الصف الأول، وواحد من الصف الخامس، فقال «دمبلدور»: «عيد كريسماس سعيد»، لقد أبعدنا الموائد لأن عددنا قليل.. فلتجلسوا».

وجلس كل من «رون» و«هيرميون» و«هارى» على طرف المنضدة، وتذكر «هارى» «بوجارت» عندما نظر نحو «سناب»، فالتفت نحو «رون»، وابتسم كلاهما قبل أن يبدأ «هارى» تناول طعامه من جديد عندما انفتح باب البهو مرة أخرى، كانت الأستاذة «تريلاونى» تسرع نحوهم، فنهض «دمبلدور» مرحبًا بها: «إنها مفاجأة رائعة يا «سيبيل»».

قالت الأستاذة «تريلاونى» بصوتها غير الواضح: «لقد كنت أطالع الكرة السحرية، ورأيت نفسى أتناول الغداء معكم، فأسرعت وأتيت لكم، وأنا أتمنى أن تسامحونى على تأخرى».

أجاب «دمبلدور»: «بالتأكيد.. بالتأكيد.. تفضلى بالجلوس».

ولكنها لم تجلس وإنما صدرت عنها صرخة منخفضة قبل أن تقول: «لا أستطيع يا سيدى المدير.. فلو جلست سنصبح ثلاثة عشر شخصًا، ولا شىء يجلب النحس مثل هذا، فأول من سينهض سيكون أول من يموت».

قالت الأستاذة «ماكجونجال» بنفاد صبر: «سنغامر يا «سيبيل».. هيا اجلسي قبل أن يبرد الطعام».

وترددت قليلاً قبل أن تجلس وعيناها مغلقتان كما لو كانت في انتظار صوت الرعد وهو يضرب المنضدة.

وحاولت الأستاذة «ماكجونجال» تقديم شيء من الطعام لها، ولكنها تجاهلتها،ثم فتحت عينيها وتساءلت: «ولكن.. أين الأستاذ «لوبين» العزيز؟».

أجاب «دمبلدور»: «أظن أنه مريض مرة أخرى، ومن سوء الحظ أن يحدث هذا في يوم عيد الكريسماس».

فقالت الأستاذة «ماكجونجال»: «ولكنك كنت تعرفين ذلك بالطبع يا «سيبيل»؟».

نظرت «تريلاوني» نحوها نظرة باردة ثم قالت: «بالتأكيد ولكنني لا أحب التظاهر بذلك حتى لا يتضايق من حولي بسببي».

قالت «ماكجونجال»: «آه.. هذا يفسر الأمر إذن».

اتضح صوت الأستاذة «تريلاوني» فجأة وهي تقول: «لقد كنت أعرف مسبقًا أن «لوبين» لن يكون معنا لفترة طويلة، وهو يعرف تمامًا أن وقته قصير».

وحاول «دمبلدور» وضع نهاية لهذه المحادثة فقال: «هل قدمت له هذه الوصفة مرة أخرى يا «سناب»؟».

أجاب «سناب»: «نعم يا سيدي».

فقال: «رائع.. سينهض ويصبح على ما يرام فى أقرب وقت.. هل تذوقت هذا يا «ديريك»؟! إنه رائع..».

شعر تلميذ الصف الأول بالحرج وهو يسمع مدير المدرسة يخاطبه مباشرة هكذا، فمد يده ليتناول ما يقدمه له بيدين مرتعشتين.

وسارت الأمور بشكل طبيعى حتى انتهى الطعام، ونهض كل من «رون» و«هارى» فصاحت «تريلاونى»: «أعزائى.. من منكما غادر مكانه أولاً؟».

أجاب «رون» وهو ينظر نحو «هارى»: «لا أعرف».

فقالت «ماكجونجال» فى سخرية: «أظن أن هذا سيجعل الأمور تختلف؛ إلا إذا كان هناك من يحمل فأسًا بالخارج وينتظر الأول».

وضحك الجميع حتى «رون» قبل أن يسأل «هارى» «هرميون»: «هل ستأتى؟».

فأجابت: «لا.. سأتكلم قليلاً مع الأستاذة «ماكجونجال»».

تثاءب «رون» وهو يغادر البهو ويقول ساخرًا: «ربما تريد إضافة بعض المواد لدراستها هذا العام».

وعندما وصلا للوحة وجدا «سير كادوجان» يحتفل بالكريسماس، فسألهما عن كلمة السر بعد أن هنأهما بالعيد. وبعد أن أخبره «هارى» بها، توجه إلى جناح النوم، وأخذ عصا مكنسته الجديدة، وعدة العناية بعصى المكانس التى قدمتها له «هيرميون»، وراح يبحث عن شىء يفعله بها، ولكنه وجدها

لامعة وليس بها أى عيوب، حتى دخلت «هيرميون» المكان بصحبة الأستاذة «ماكجونجال» التى قالت: «لقد أخبرتى الآنسة «جرانجر» أنك قد حصلت على عصا مكنسة جديدة يا «بوتر».. هل هى هذه؟» ونظر كل من «رون» و«هارى» نحو «هيرميون» دون أن يجيب أحدهما، فقالت «ماكجونجال»: «هل يمكن أن أراها؟».

ولم تنتظر ردًا، وإنما جذبتها من بين يديه وفحصتها بعناية قبل أن تقول: «ولم يكن بها أى بطاقة يا «بوتر»؟ أو رسالة من أى نوع؟».

أجاب «هارى»: «لا».

فقالت الأستاذة «ماكجونجال»: «حسنًا.. ولكننى أخشى أننى يجب أن أحصل على هذه يا «بوتر»».

قال «هارى» وهو ينهض فجأة: «ماذا؟! لماذا؟!».

أجابته: «يجب أن نتأكد من أنها لا تجلب النحس.. أنا لست خبيرة بالطبع، ولكن مدام «هوتش» و«فليتويك» سيقومان بفحصها».

ردد «رون» فى دهشة كما لو كانت مجنونة: «فحْصها؟!».

عادت تقول: «لن يستغرق الأمر أكثر من بضعة أسابيع، وستعود لك بعد أن نتأكد من خلوها من أى جالب للنحس».

قال «هارى» وصوته يرتعش: «ليس بها شىء يا أستاذة.. صدقينى».

تساءلت برقة: «وكيف تعرف يا «هارى».. لن تعرف هذا حتى تبدأ الارتفاع بها، وهذا لن يحدث قبل فحصها. وعندما نتأكد سأبلغك».

ثم استدارت وهى تحمل العصا وتخرج من المكان، فوقف «هارى» ينظر خلفها وبين يديه الطلاء الملمع، فى حين اتجه «رون» نحو «هِيرميون» متسائلاً: «لماذا أسرعت بإبلاغ «ماكجونجال»؟».

نحّت «هيرميون» كتابها جانبًا ونهضت لتواجه «رون» قائلة: «لأننى ظننت ـ وقد وافقتنى الأستاذة «ماكجونجال» ـ أن «سيريوس بلاك» قد يكون هو من أرسل هذه العصا إلى «هارى»!».

* * *

١٢ الـــدرع

كـان «هـارى» يـعـلـم أن «هـيـرمـيـون» تقصد مصلحته عندما أخبرت الأستاذة «ماكجونجال» عن العصا.. لكن ذلك لم يمنع شعوره بالضيق مُنها.. لقد كان صاحب أفضل عصا مكنسة لمدة ساعات.. لكن الآن وبسبب تدخلها، فهو لا يعرف إذا كان سيراها أم لا.. كان متأكدًا من أن السهم الذهبى سليم تمامًا.. أما الآن فلا يعرف ماذا ستكون حالها بعد أن تمر بهذه الاختبارات..

و«رون» أيضًا كان غاضبًا منها، لكن «هيرميون» التى كانت مقتنعة أنها فعلت الصواب بدأت تتجنب الذهاب للحجرة العامة، وقد ظن كل من «رون» و«هارى» أنها استقرت فى المكتبة، ولم يحاولا إقناعها بالعودة، وعلى كل حال فقد سعدا عند عودة باقى تلاميذ المدرسة مع بداية العام الجديد، وعاد برج «جريفندور» إلى سابق الضوضاء والزحام الذى كان يميزه، وجاء «وود» ليتكلم مع «هارى» وسأله: «هل استمتعت بعيد الكريسماس؟». ولم ينتظر إجابة، وإنما جلس وخفض صوته متابعًا: «لقد كنت أفكر أثناء «الكريسماس» فبعد المباراة الأخيرة.. إذا حضر هؤلاء الحراس المباراة القادمة.. أعنى.. كما تعرف.. لن نستطيع أن نجعلك...».

ولم يكمل كلامه؛ فقال «هارى» سريعًا: «إننى أعمل على ذلك

فقد أخبرني الأستاذ «لوبين» أنه سيدربني على التعامل مع هؤلاء الحراس، ومواجهتهم، وسنبدأ هذا الأسبوع، فقد علمت أنه لن يكون مشغولاً بعد «الكريسماس»»، قال «وود» وقد هدأ قليلاً: «آه.. حسنًا، في هذه الحالة فأنا لا أريد أن أفقدك كباحث، ولكن هل طلبت شراء عصا جديدة؟».

أجابه «هاري»: «لا».

فعاد «وود» يقول: «ماذا؟ من الأفضل أن تتحرك، فلن تستطيع مواجهة فريق «رافنكلو» بهذه العصا العتيقة».

فقال «رون»: «لقد جاءته عصا سهم ناري في عيد الكريسماس».

تساءل «وود» مندهشًا: حقًّا؟ سهم ناري حقيقي؟

قال «هاري» بكآبة: «لا تنفعل هكذا يا «أوليفر».. فلم أعد أملكها الآن لقد صودرت». ثم شرح له كل ما حدث؛ فتساءل «وود»: «ولكن من سيفعل ذلك؟».

أجابه «سيريوس بلاك»: «إنه يتبعني، ولذلك تظن الأستاذة «ماكجونجال» أنه قد يكون هو من أرسلها إليّ».

لوح «وود» بيده قائلاً: «ولكن «بلاك» لا يستطيع شراء عصا مكنسة من طراز السهم الناري، إنه مطارد، وكل الناس يبحثون عنه، فكيف يمكن أن يدخل إلى محل شهير لشرائها؟».

قال «هاري»: «أعرف.. ولكن «ماكجونجال» لا تزال تريد فحصها».

وشحب وجه «وود» قبل أن يقول: «سأذهب لأتكلم معها

وسأقنعها أن وجود عصا من هذا الطراز ضمن فريقنا أمر مهم.. إنها تريد أن يفوز «جريفندور» مثلنا.. سأقنعها.. سهم ناري.. سهم ناري ضمن فريقنا..».

انتظم سير الدروس مرة أخرى في اليوم التالي، ولم يكن درس التنبؤ أكثر إثارة من أي درس سابق، وكانت قد بدأت معهم قراءة الكف، وقضت معظم وقت الدرس تخبر «هاري» أنه يملك أقصر خط عمر رأته.

أما الدرس الذي كان «هاري» ينتظره فقد كان درس الدفاع ضد السحر الأسود. وبعد محادثته مع «وود» كان «هاري» يريد أن يبدأ دروس مواجهة الحراس بأسرع ما يمكن، فقال «لوبين» عندما ذكره «هاري» بوعده له في نهاية الدرس: «دعني أرى.. ماذا عن الساعة الثامنة مساء يوم الخميس؟ يجب أن أفكر جيدًا، فكما تعرف لا يمكن أن أحضر أحد الحراس إلى القلعة حتى نتدرب عليه».

تساءل «رون» وهو يهبط نحو البهو لتناول العشاء: «لا يزال يبدو مريضًا، أليس كذلك؟ ترى.. ما السبب؟».

ومن خلفهما سمعا صوت زفرة قوية، كانت «هيرميون» التي تحاول إغلاق حقيبتها المكتظة بالكتب فقال «رون»: «إذن فماذا تريدين أن تقولي؟».

قالت «هيرميون»: وهي تحمل حقيبتها فوق كتفها: «لا شيء».

قال «رون» بحدة: «بل لديك، لقد كنت أتساءل ما خطب «لوبين» وأنتِ....».

قاطعته «هيرميون»: «حسنًا.. أليس واضحًا؟».

ورأى «رون» نظرة التعالى فى عينيها، فقال: «إذا كنت لا تريدين أن تخبرينا فلا تقولى شيئًا».

أجابته بغضب وهى تنطلق بعيدًا: «حسنًا».

فقال «رون» وهو ينظر لها: «إنها لا تعرف، وإنما تحاول أن تجعلنا نعود لنكلمها مرة أخرى».

فى الساعة الثامنة من مساء الخميس، غادر «هارى» برج «جريفندور» واتجه لفصل تاريخ السحر، كانت الحجرة مظلمة وخالية؛ فأخرج عصاه وأشعل الشموع وانتظر خمس دقائق حتى وصل الأستاذ «لوبين» وهو يحمل حقيبة كبيرة وضعها على المكتب؛ فتساءل «هارى»: «ما هذا؟».

قال «لوبين» وهو يخلع عباءته: ««بوجارت» آخر.. لقد بحثت فى كل مكان فى القلعة؛ حتى صادفنى الحظ، ووجدت أحدهم فى حافظة ملفات الأستاذ «فليتش»، فهذا أفضل من أن نحضر حارسًا حقيقيًا، فهو سيتحول إلى حارس عندما يراك، وسنستطيع أن نتدرب عليه. ويمكننى أن أبقيه فى مكتبى عندما لا نكون فى حاجة إليه، فهناك خزانة أسفل مكتبى ستروق له».

قال «هارى» وهو يحاول ألا يبدو فى صوته أى خوف من ذلك الحارس الذى هو على وشك مقابلته: «حسنًا».

فقال الأستاذ «لوبين» وهو يخرج عصاه مشيرًا لـ «هارى» أن

يفعل مثله: «حسنًا.. إن التعويذة التى سأعلمها لك من قسم متقدم للغاية من السحر يا «هارى»».

تساءل «هارى» بعصبية: «وكيف تعمل؟».

أجاب «لوبين»: «عندما تتم بشكل صحيح تحضر إلى ذهنك حاميًا يقف حائلاً بينك وبين الحارس مثل الدرع، ولكن يجب أن أحذرك يا «هارى» بأن هذا السحر متقدم للغاية، وهناك العديد من السحرة المهرة يواجهون صعوبة فى عمله».

تساءل «هارى» بفضول: «وكيف ستعمل؟».

أجاب «لوبين»: «ستعمل التعويذة فقط، إذا ركزت كل تفكيرك فى ذكرى واحدة سعيدة جدًا».

وبدأ «هارى» يبحث عن ذكرى سعيدة، وبالطبع فإن كل ما حدث فى منزل آل «درسلى» لن يفلح، حتى استقر أخيرًا على أول مرة ركب فيها عصا مكنسة؛ فحاول التركيز حتى يستعيد ما كان يشعر به تمامًا، وأخيرًا أشار له «لوبين» بالبدء قائلاً: «هيا ركز بشدة فى ذكرى سعيدة».

فقال «هارى» وهو يحاول التركيز فى ذكرى ركوبه عصا المكنسة لأول مرة؛ حتى قال «لوبين»: «هيا.. ستكون التعويذة هى «إكسبكتو باترونام».

رددها «هارى» وهو يحاول التركيز بشدة فى ذكراه السعيدة:

آه.. نعم إكسبكتو باترونو.. لا.. باترونام.

آه عفواً.. إكسبكتو باترونام.. إكسبكتو باترونام.

وبدأ شيء يشبه غازًا فضيًّا في الخروج من طرف عصاه مع صوت فصيح مفاجئ، فقال «هاري» منبهرًا: «هل رأيت هذا؟ لقد حدث شيء ما».

أجاب «لوبين» مبتسمًا: «رائع.. حسنًا فلتجربها على هذا الحارس» جذب «هاري» عصاه وشدد قبضته عليها، وحركها نحو وسط الغرفة الخالية، محاولاً السيطرة على عقله، ولكن شيئًا ما كان يقلقه؛ ففي أي لحظة يمكن أن يسمع صوت أمه مرة أخرى ولكن.. لا يجب أن يفكر في ذلك.. وهو لم يكن يرغب في ذلك.. أم أنه كان يريد ذلك؟».

أزاح «لوبين» غطاء الحقيبة ليصعد منها حارس، استدار وجهه المخفي نحو «هاري»، فبدأت الأضواء تخبو حتى انطفأت، فخرج الحارس وبدأ يتقدم ببطء نحو «هاري» وأصوات أنفاسه الثقيلة تتردد في المكان. وبدأت موجة من البرد...... فصاح: «إكسبكتو باترونام.. إكسبكتو باترونام.. إكســ...».

ولكن الحجرة بدأت تختفي من جديد، وبدأ هذا الضباب الكثيف يحيط به، وبدأ صوت أمه يتردد.. أقوى من ذي قبل - راح يتردد داخل رأسه.. «ليس «هاري» .. ليس «هاري» أرجوك.. سأفعل أي شيء.. «هاري»».

وعاد «هاري» إلى وعيه ليجد نفسه راقدًا على الأرض، وقد عادت الأضواء للحجرة مرة أخرى، وبالطبع لم يكن في حاجة لأن يسأل عما حدث.. فغمغم ـ وهو يشعر بالعرق البارد يتساقط خلف نظارته ـ قائلاً: «آسف».

فتساءل «لوبين»: «هل أنت بخير؟».

أجاب «هارى» وهو ينهض مستنداً إلى أحد المكاتب: «نعم...».

قدم له «لوبين» قطعة من الشيكولاته قائلاً: «كل هذا قبل أن نحاول مرة أخرى، فأنا لم أتوقع أن تنجح فى المرة الأولى. فى الحقيقة كنت سأندهش لو حدث ذلك!».

قال «هارى» وقد بدأ يأكل قطعة الشيكولاته التى على شكل ضفدع: «إن الأمر يزداد سوءًا.. لقد كان صوتها أكثر ارتفاعًا هذه المرة وهو... «فولدمورت..» وازداد شحوب «لوبين» أكثر من قبل؛ فقال «لوبين»: «هارى، إذا لم تكن تريد الاستمرار فسأتفهم ذلك».

قال «هارى» وهو يضع باقى قطعة الشيكولاتة فى فمه: «لا، أنا أريد الاستمرار، يجب أن نفعل ذلك، فماذا لو اقتحم هؤلاء الحراس مباراتنا مع «رافنكلو»؟.

لا يمكن أن أسمح بسقوطى مرة أخرى، ولو خسرنا هذه المباراة نكون قد خسرنا كأس الكويدتش».

قال «لوبين»: «حسنًا.. ربما يجب أن تختار ذكرى جديدة، أعنى أن تركز فى.... هذه الذكرى لا تبدو قوية بما يكفى..».

وفكر «هارى» جيدًا، ثم اختار مشاعره عندما فاز فريق «جريفندور» بالبطولة العام الماضى، فقبض على عصاه السحرية بقوة مرة أخرى، ثم اتخذ موضعه فى منتصف الحجرة، ثم قال «لوبين» وهو يجذب غطاء حقيبته: «مستعد؟».

أجاب «هارى» وهو يحاول ملء رأسه بأفكاره السعيدة عن فوز

فريق «جريفندور»، ويبعد عن رأسه أى فكرة سيئة عما سيحدث عندما يبدأ الحارس فى الظهور حتى قال «لوبين»: «هيا». ثم جذب الغطاء فعادت الحجرة مظلمة مرة أخرى. وساد المكان برودة قارسة، وبدأ الحارس يتقدم نحو «هارى» بأنفاسه الثقيلة ويده تمتد نحوه، فصاح «هارى»: .. إكسبكتو باترونام.. إكسبكتو باترونام.. إكسبكتو باتـ....».

وفجأة غطى ضباب أبيض على أفكاره.. وبدأ يرى أشكالاً تتحرك أمامه؛ حتى بدا صوت رجل.. رجل يصيح فى فزع: «ليلى.. خذى «هارى» وابتعدى، إنه هو! اركضى.. وأنا سأمنعه....».

وسمع صوت أحدهم يخرج من حجرة.. انفتح باب بقوة.. ثم صوت ضحكة.. ضحكة مرتفعة شريرة..

««هارى».. «هارى».. استيقظ».

كان «لوبين» يربت على وجه «هارى» محاولاً إفاقته ليجد «هارى» نفسه ملقى على الأرض، ثم قال: «لقد سمعت أبى.. إنها المرة الأولى التى أسمع فيها صوته، لقد كان يحاول التصدى بنفسه لـ «فولدمورت» حتى يمنح أمى الوقت للهرب..».

وفجأة لاحظ «هارى» أن هناك دموعًا على وجهه تختلط بالعرق، فأحنى رأسه قدر استطاعته، وراح يمسحها بثوبه وهو يتظاهر بأنه يربط حذاءه؛ حتى لا يراه «لوبين» الذى تساءل فى صوت غريب: «هل سمعت «جيمس»؟».

نظر «هارى» نحوه متسائلاً: «هل... هل كنت تعرف أبى؟».

قـال «لـوبـيـن»: «فـى الـحـقـيـقـة.. نـعـم.. لـقـد كـنـا أصـدقـاء فـى «هـوجـوورتس»، اسـمـع يـا «هـارى».. ربـمـا يـجـب أن نـغـادر هـذا المكان الليلة، لقد أصبح الأمر سخيفًا، ولم يكن يجب على أن أقترح عليك تجربة ذلك..».

قال «هـارى» وهو ينهض مرة أخرى: «لا.. أريد محاولة واحدة أخرى، فأنا لا أفكر فى أشياء سعيدة بالقدر الكافى.. هذا هو كل شىء.. انتظر!!».

وراح يفكر فى ذكرى سعيدة بالفعل.. ذكرى قد تتحول إلى عامل مساعد قوى للغاية.. تلك اللحظة التى عرف فيها أنه ساحر، وأنه سيغادر منزل آل «درسلى» إلى «هوجوورتس»، فلو لم تكن هذه ذكرى سعيدة فلن يستطيع التفكير فى شىء آخر. فراح يركز بشدة فيما شعر به عندما لاحظ أنه سيغادر شارع «بريفت دريف» فوقف مواجهًا الحقيبة مرة أخرى ليتساءل «لوبين»: «مستعد؟ ركز جيدًا.. هيا» وجذب الغطاء ليظهر الحارس مرة أخرى فى الحجرة ليحل البرد والظلام للمرة الثالثة، ويصيح «هارى» بكل قوة: «إكسبكتو باترونام.. إكسبكتو باترونام.. إكسبكتو باترونام..!».

بدأت الصرخات تعود لذهن «هارى» مرة أخرى، ولكن هذه المرة كانت تبدو كما لو كانت تأتى من بعيد، وتعلو، ثم تنخفض مرة أخرى.. ولكنه كان لايزال يرى الحارس قبل أن ينطلق ظل فضى عملاق من طرف عصاه نحو الحارس، وكان «هارى»

يحافظ على توازنه بصعوبة، فقد كان غير متأكد من نجاحه حتى الآن.. وفجأة صاح «لوبين»: «وهل هذا وقته؟».

وكان هناك صوت فرقعة عالية اختفى بعدها الحارس، وسقط «هارى» على مقعده وهو يشعر بإجهاد شديد كما لو كان يركض منذ ساعة، وكانت ساقاه ترتعشان والعرق يغرق جبهته، وبطرف عينه لمح الأستاذ «لوبين» وهو يعيد «بوجارت» إلى الحقيبة بعصاه السحرية قائلاً: «رائع».

لقد كانت بداية رائعة يا «هارى».

تساءل «هارى» بشغف: «هل يمكن أن أجرب مرة أخرى؟ مرة واحدة؟!».

أجاب «لوبين» بحزم: «ليس الآن.. لقد نلت ما يكفيك الليلة».

ثم ناوله شيكولاته من أفضل منتجات «هانى ديوك» قائلاً: تناول أكبر قدر ممكن، وإلا ستقتلنى مدام «بومفرى» سأراك فى نفس الوقت من الأسبوع القادم».

قال «هارى» وهو يتناول قطعة شيكولاته ويشاهد «لوبين» وهو يرتب الحجرة وينظف شموعها التى أضاءت بعد اختفاء الحارس:

«حسنًا». ثم تساءل: «أستاذ «لوبين».. إذا كنت تعرف أبى فلابد أنك كنت تعرف «سيريوس بلاك»؟».

استدار «لوبين» بسرعة شديدة وتساءل بحدة: «من أين لك بهذه الفكرة؟».

أجاب «هارى»: «لا شىء.. أنا أعنى.. لقد عرفت فقط أنهما كانا صديقين فى «هوجوورتس» كذلك..».

وهدأ وجه «لوبين» ثم قال باقتضاب: «نعم لقد كنت أعرفه، أو أظن ذلك، من الأفضل أن تذهب الآن يا «هارى»، فقد تأخر الوقت».

غادر «هارى» الحجرة وسار فى الممر، وهو يتناول ما بقى من الشيكولاته، ويتمنى لو لم يكن قد ذكر «بلاك»؛ فقد لاحظ أن «لوبين» لم يكن راضيًا عن هذا الأمر، ثم عاد ليتساءل فى ذهنه عن أمه وأبيه، لقد كان أمرًا مخيفًا أن يسمع صوت والديه، وراحت اللحظات الأخيرة تتردد فى أذنيه، لقد كانت هذه اللحظات هى الوحيدة التى يسمع فيها صوت والديه، ولكنه لن يستطيع التغلب على الحراس، إذا كان يرغب فى سماع صوتهما حتى قال لنفسه: «لقد ماتا.. ماتا، والاستماع لصوتهما لن يعيدهما، ومن الأفضل أن تسيطر على نفسك إذا كنت ترغب فى الفوز بكأس الكويدتش».

ثم تناول آخر قطعة من الشيكولاته وتوجه إلى برج «جريفندور».

لعب فريق «رافنكلو» أمام فريق «سليذرين» بعد أسبوع من بداية الفصل الدراسى، وفاز فريق «سليذرين» بفارق ضئيل. وكان رأى «وود» أن هذه أخبارطيبة لفريق «جريفندور» الذى سيحصل على الترتيب الثانى إذا تغلب على «رافنكلو»، كذلك ومن أجل هذا زاد عدد مرات تدريب الفريق إلى خمس مرات أسبوعيًا

وهو ما يعنى أن «هارى» لم يعُد أمامه سوى ليلة واحدة لعمل كل واجباته المدرسية، فقد كان اليوم السادس بعد تدريباته مع الفريق محجوزًا لتدريب مواجهة الحراس مع الأستاذ «لوبين» الذى كان مجهدًا أكثر من كل تدريبات الكويدتش، ورغم هذا فقد كان لا يبدى هذا القدر من الانشغال الذى تبديه «هيرميون» التى كانت تظهر فى ركن الحجرة العامة، وقد انشغلت بكل ما تناثر أمامها من كتب وخرائط وقواميس؛ ومذكرات؛ لدرجة أنها كانت تفزع إذا قاطعها أحد، فقال «رون» لـ «هارى» الذى كان ينهى أحد مقالات الأستاذ «سناب» السخيفة: «كيف تفعل هذا؟».

رفع «هارى» عينيه نحوها، ولكنه رآها بالكاد من خلف أكوام الكتب التى أمامها ثم تساءل: «تفعل ماذا؟».

أجاب «رون»: «إنها تحضر كل الدروس، وقد سمعتها تتحدث مع الأستاذة «فيكتور» هذا الصباح عن درس الأمس، مع أنها كانت معنا فى نفس الوقت فى فصل العناية بالمخلوقات السحرية، ولقد أخبرنى «ماكميلان» أنها تحضر كل دروس الدراسات العامة، رغم أن نصف هذه الدروس يكون فى نفس وقت دروس التنبؤ التى لا تتغيب عن واحد منها كذلك».

ولم يكن «هارى» يملك وقتًا لحل لغز غموض جدول دروس «هيرميون»، فقد كان يحتاج كل وقته لإنهاء مقال «سناب». ولكنه لم يلبث أن قوطع مرة أخرى بسبب «وود» هذه المرة الذى أتاه قائلاً: «أخبار سيئة يا «هارى»، لقد قابلت الأستاذة

«ماكجونجال» بخصوص السهم النارى و... لقد وبختنى فقد أخبرتنى أننى أهتم بتفوق الفريق أكثر من اهتمامى ببقائك على قيد الحياة فقط؛ لأننى أخبرتها أننى لا أهتم إذا كانت ستخرجك من المباراة بعد أن تحصل على الكرة الذهبية أم لا، لقد كانت طريقتها وهى تصيح فى وجهى... لو كنت رأيتها لظننت أننى قلت شيئًا رهيبًا، ثم سألتها عن المدة التى ستبقيها لديها فما كان منها إلا أن أجابتنى: «كل الوقت الذى يحتاجه الأمر». قالها مقلدًا صوتها ثم تابع: «أظن أن الوقت قد حان لتطلب عصا جديدة يا «هارى» فيمكنك الحصول على «نيمبوس ٢٠٠١ » مثل التى مع «مالفوى»».

فقال «هارى» معترضًا: «أنا لا أشترى أى شيء يظن «مالفوى» أنه جيد.. انتهى «يناير»، وأقبل شهر «فبراير» دون أى تغيير فى الجو شديد البرودة، واقترب موعد مباراة «رافنكلو»، ولكن «هارى» لم يطلب عصا جديدة، وإنما كان يطلب من الأستاذة «ماكجونجال» أخبار عصاه بعد كل درس من دروس التحول، ومن خلفه كان يقف «رون» آملاً أن تعيدها له، أما «هيرميون» فكانت تمر من خلفهما دون اهتمام.

أما الأستاذة «ماكجونجال» فكانت تجيبه للمرة الثانية عشرة دون حتى أن يفتح فمه: «ليس بعد يا «بوتر»، لا يمكنك استعادتها حتى الآن، لقد قمنا بفحص التعاويذ العادية، ولكن الأستاذ «فليتويك» يرى أن العصا قد تحمل تعويذة خفية،

سأخبرك عندما ننهى فحصها. والآن، أرجو أن تتوقف عن مضايقتى باستمرار».

وحتى تكون الأمور أكثر سوءًا، فإن دروس مقاومة الحراس لم تكن تسير على ما يرام، فكل مرة يخرج هذا الطيف الفضى من طرف عصاه، ولكن تعويذته لم تكن بالقوة الكافية لإبعاد الحارس، كل ما يحدث هو سحابة تحيط به، وتحاول جرفه بعيدًا، ولكن «هارى» يحاول البقاء هناك فشعر بالغضب من نفسه، كان يشعر بالذنب تجاه رغبته السرية فى سماع صوت والديه مرة أخرى، ولكن الأستاذ «لوبين» قال له بعد أربعة أسابيع من التدريب: «إنك تتوقع الكثير من نفسك، فالنجاح فى عمل تعويذة كهذه إنجاز ضخم بالنسبة لساحر فى الثالثة عشرة من عمره، إنك لا تشعر بتقدم، أليس كذلك؟».

أجاب «هارى»: «لقد كنت أظن أن الحارس سيهزم أو يختفى..».

قال «لوبين»: «إن هذه التعويذة لا تقوم بذلك، ولكنك قمت بعمل كبير فى وقت قليل، وإذا ظهر أحد الحراس فى مباراتك القادمة فستكون قادرًا على إبعاده بما يكفى حتى تعود للملعب».

قال «هارى»: «لقد قلت إن الأمر سيكون أكثر صعوبة إذا كان عددهم أكبر».

قال «لوبين»: «إننى أثق بك ثقة كاملة، انظر.. لقد أحضرت لك شرابًا لم تجربه من قبل» ثم أخرج ثلاث زجاجات من حقيبته، فقال «هارى» دون تفكير: «نعم.. أنا أحب ذلك بالفعل».

ورفع «لوبين» حاجبيه في دهشة، فعاد «هاري» يقول: آه.. لقد أحضر لي «رون» و«هيرميون» بعضها من «هوجسميد».

كان يكذب ولكن «لوبين» قال: «نعم.. هيا فلتشرب نخب فوز فريق «جريفندور» على «رافنكلو».. رغم أنني يجب أن أكون محايدًا بصفتي معلمًا».

تناول الشراب في صمت قبل أن يتساءل «هاري»: «ما الذى يوجد تحت غطاء رأس الحارس؟».

أجاب «لوبين» مفكراً: «هممم... حسنًا، إن الحارس يزيل غطاء رأسه فقط عندما يستخدم أسوأ أسلحته».

عاد «هاري» يتساءل: «وما هو؟».

أجاب «لوبين» بابتسامة ملتوية: «إنهم يطلقون عليها اسم قبلة الحارس، والحراس يستخدمونها عندما يريدون تدمير أحدهم بشكل تام، وأظن أن هناك ما يشبه الفم أسفل هذا الغطاء، فهم يدفعون بأنيابهم في فم الضحية، ويمتصون روحه».

تساءل «هاري» في دهشة: «ماذا؟.. هل.. هل يقتلون؟».

أجاب «لوبين»: «لا.. بل أسوأ من ذلك، إنك تعيش دون روح، وإنما يستمر عقلك وقلبك في العمل، ولكن دون أي شعور بنفسك وبدون ذاكرة ولا ذكريات، ولا توجد فرصة للشفاء كذلك، وإنما تبقى فقط مثل الوعاء الخاوي».

تناول «هاري» القليل من الشراب، ثم عاد «لوبين» يقول: «إنه المصير الذى ينتظر «سيريوس بلاك»، لقد كان في جريدة

«المتنبئ اليومى» هذا الصباح، فقد صرحت لهم وزارة السحر باستخدام هذه الطريقة معه». لم ينطق «هارى» وهو يتخيل كيف يمكن أن يحدث ذلك، ولكنه فكر فى «بلاك»؛ فقال: «إنه يستحق ذلك».

قال «لوبين»: «هل تظن ذلك؟ هل تظن أن أحدًا يستحق هذا المصير؟».

أجاب «هارى»: «نعم.. لـ .. لبعض الأسباب».

كان يرغب أن يخبره بالمحادثة التى سمعها فى المحل عن خيانة «بلاك» لوالديه، ولكنه كان سيكشف أمره، وأنه ذهب إلى «هوجسميد» دون تصريح؛ لذلك فقد أنهى شرابه ثم شكر «لوبين» وغادر الحجرة.

تمنى «هارى» لو أنه لم يسأل عما يوجد أسفل غطاء رأس الحارس؛ فقد كانت الإجابة مخيفة، فماذا لو أن أحدهم امتص روحك؟

وجرفته الفكرة حتى كاد يصطدم بالأستاذة «ماكجونجال» التى قالت: «احترس أثناء سيرك يا «بوتر»».

وأجاب «هارى»: «آسف يا أستاذة».

«لقد كنت أبحث عنك فى الحجرة العامة، حسنًا.. لقد قمنا بكل الفحوص اللازمة، ولم نجد أى شىء بها، إنك تملك صديقًا رائعًا فى مكان ما يا «بوتر»...».

ولم يصدق «هارى» نفسه، لقد كانت تحمل عصاه الجديدة

وهـى تـبـدو رائـعـة كمـا كـانت فقـال فـى ضـعـف: «هـل يمـكـن أن أستعيدهـا حقـا؟».

أجـابته وهـى تبتسم: «نعم.. أظن أنك ستحتـاج استخدامهـا فى التدريب قبل مباراة يوم السبت، أليس كذلك؟ وستحـاول أن تفوز يـا «بـوتـر»؟ وإلا فسـنـخـرج من الـمـنـافسة كمـا تفضل الأستـاذ «سناب» وذكرنى بـالأمس..».

ودون كلام حمل «هـارى» العصـا عـائدًا إلى برج «جريفندور» وعند انعطافه رأى «رون» يتقدم نحوه بـابتسامة واسعة قـائلاً: «هل أعـادتـهـا لك! رائـع! اسمـع.. هل أستطيع أن أجربـهـا؟ غدًا؟».

قـال «هـارى» وهـو يشعر بسعـادة لم يجربـهـا منذ شهر: «كمـا تشاء.. هل تعرف.. يجب أن نصـالح «هيرميون» لقد كـانت تقصد خيرًا..».

أجـابه «رون» : «حسنًـا..! إنـهـا فـى الـحجرة الـعـامـة الآن».

واستدارا معًا وتوجهـا إلى «جريفندور» وشاهدا «نيفيل لونج بوتوم» أمـام لوحـة «سيركـادوجـان» وقد بدا أنـه يرفض دخوله، فقـال «نيفيل»: «لقد دونتهـا، ولكن يبدو أنـهـا سقطت منى فى مكـان مـا».

قـال «سير كـادوجـان»: «قصـة لطيفـة». ثم رأى «رون» و«هـارى» فتـابـع: «مسـاء الـخير يـا صغـارى، تعـالوا وأبـعدوا هذا الأحمق، إنه يريد الدخول بـالقوة».

قـال «رون»: «أوه.. أطبق فمك».

فقال «نيفيل»: «لقد فقدت كلمة السر، لقد جعلتهم يخبروننى عن الكلمات التى يستخدمها هذا الأسبوع؛ لأنه يغيرها باستمرار».

فقال «هارى» لـ «سيركادوجان»: «أود سبرد يكتيس». فبدا عليه الإحباط قبل أن يفسح لهم طريق الدخول، وما إن رآه بقية تلاميذ «جريفندور» حتى التفوا حول «هارى» يسألونه عن عصاه.

«من أين حصلت عليها يا «هارى»؟».

«هل ستسمح لى بتجربتها؟».

«هل جربتها يا «هارى»؟».

«لاعبو «رافنكلو» لن يحصلوا على أى فرصة، فجميعهم يستخدمون طراز كلين سويب رقم (٧)».

«هل يمكن أن أحملها فقط يا «هارى»؟».

وبعد نحو عشر دقائق من إبداء الإعجاب بعصا المكنسة الجديدة من طراز السهم النارى، انفض هذا الزحام حتى استطاعا رؤية «هيرميون»، وقد كانت الشخص الوحيد الذى لم يهرع نحوهما، وإنما انحنت فوق عملها وهى تتجنب النظر نحوهما، فى حين اقترب «هارى» و«رون» نحوها حتى نظرت نحوهما أخيرًا؛ فقال «هارى» مبتسمًا: «لقد استعدتها».

ثم قال «رون»: «هل رأيت يا «هيرميون»؟ لم يكن بها شىء».

فقالت «هيرميون» : «حسنًا.. ربما كان بها أى شىء، أعنى لقد عرفت على الأقل أنها آمنة!».

قال «هاري»: «أظن هذا.. من الأفضل أن أصعد لأضعها..».

فقال «رون» بشغف: «سآخذها أنا.. فمن المفروض أن أقدم لـ«سكابرز» دواءه الآن».

وأخذ العصا وحملها كما لو كانت مصنوعة من الزجاج؛ فسأل «هاري» «هيرميون» قائلاً: «هل يمكنني الجلوس؟».

أجابته وهي تزيل رقعة جديدة ضخمة من على المقعد المجاور: «أظن هذا». ونظر «هاري» على المنضدة ليجد «هيرميون» تنهي مقالاً بعنوان (لماذا يستخدم العامة الكهرباء؟) هذا بالإضافة إلى ترجمة بعض الرموز الغريبة فتساءل: «كيف تتعاملين مع كل هذه الأشياء؟».

أجابته وقد بدا عليها الإجهاد مثل «لوبين»: «أعمل بجد كما تعلم».

فتساءل «هاري» وهو يراها ترفع بعض الأوراق بحثًا عن قاموس الرموز:

«ولماذا لا تؤجلين دراسة مادتين أو ثلاث؟».

أجابت مستنكرة: «لا يمكن أن أفعل ذلك!».

فقال «هاري»: «ولكن هذه المواد تبدو شديدة الصعوبة».

أجابته : «لا.. إنها رائعة.. إنها مادتي المفضلة و...».

وفجأة سمع «هاري» صرخة صبي تأتي من أعلى تلتها خطوات أقدام مسرعة، راحت تقترب وتقترب حتى ظهر «رون» وهو يجر خلفه ملاءة فراش، ثم صرخ في وجه «هيرميون»: «انظري»!!

«رون، ماذا؟...».

«إنه «سكابرز».. انظرى».

تقدمت «هيرميون» نحو الملاءة، ونظر لها «هارى» من مكانه ليرى فوقها بقعًا صغيرة حمراء اللون، بقعًا تشبه الـ ....

... دماء!.. لقد انتهى، وهل تعرفين ماذا كان على الأرض؟».

أجابت «هيرميون» فى صوت مرتعد: «لا.. لا..».

فألقى «رون» بشىء ما على المنضدة، نظر نحوه «هارى» و«هيرميون».

كانت بضع شعرات بنية اللون - شعرات قط.

* * *

١٣ «جريفندور» يواجه «رافنكلو»

كان الأمر يبدو كنهاية لصداقة «رون» و«هيرميون»، فقد كان كلاهما غاضبًا، أما «هارى» فلم يعرف كيف يصلح الأمر، كان «رون» غاضبًا؛ لأن «هيرميون» لم تنظر لمحاولات «كروكشانكس» التهام «سكابرز» بجدية، ولم تهتم بمراقبته عن قرب، كما أنها لم تكف عن الادعاء بأن «كروكشانكس» برىء، وأن «رون» يجب أن يبحث عن «سكابرز» تحت أسِرَّة الفتيان فى حجرة النوم. وأثناء هذا كانت «هيرميون» مصممة على أن «رون» ليس لديه دليل على أن «كروكشانكس» التهم «سكابرز»، أما هذا الشعر فقد يكون هناك منذ الكريسماس، كما أن «رون» يعامل قطها بعداء منذ أن سقط على رأسه هذا الشىء فى محل الحيوانات.

ومن جانبه كان «هارى» يرى أن «كروكشانكس» قد التهم «سكابرز».. وعندما حاول إيضاح ذلك لـ«هيرميون»، ثارت عليه أيضًا، فقالت: «حسنًا.. أنت فى جانب «رون»، لقد كنت أعرف أنك ستفعل ذلك..

أولاً.. كانت عصا المكنسة، والآن «سكابرز». أنا دائمًا المخطئة، أليس كذلك؟ أرجو أن تدعنى بمفردى يا «هارى»، فلدىَّ الكثير من العمل لأنهيه».

أما بالنسبة لـ«رون» فقد كان الأمر جادًا ومؤلمًا، فقال له «فريد» مواسيًا: «لا عليك يا «رون»، لقد كنت دومًا تشكو أن «سكابرز» أصبح مملاً، كما أنه كان مريضًا منذ فترة طويلة، لقد كان ما حدث أفضل له.. ابتلعه مرة واحدة، ربما لم يشعر بشيء».

وهنا صاحت «جينى»: «فريد!».

فعاد «چورچ» يقول: «لقد كان كل ما يفعله هو النوم يا «رون»، وأنت كنت تقول ذلك».

قال «رون» بحزن: «لقد هاجم «جويل» من أجلنا ذات مرة، هل تذكر يا «هارى»؟».

أجاب «هارى»: «نعم.. هذا صحيح».

ثم قال «فريد»: «لقد كانت أفضل حالاته، لقد جعل ذلك الندبةَ فى أصبع «جويل» ذكرى لا تُنسى، ولكن تعال يا «رون».. فلنذهب إلى «هوجسميد» ونشترى فأرًا آخر، فهذا الحزن لن يُجدى».

وفى محاولة أخيرة لإبعاد «رون» عن حزنه أقنعه «هارى» بالحضور إلى تدريب الفريق النهائى قبل مباراة «رافنكلو»؛ حتى يستطيع ركوب السهم النارى بعد نهاية التدريب، وبدا أن الفكرة أبعدت ذهن «رون» عن «سكابرز» قليلاً؛ فوافق وذهبا معًا إلى الملعب.

وكانت مدام «هوتش» لا تزال تحضر التدريب؛ لمراقبة «هارى»، وقد انبهرت بعصا «هارى» الجديدة مثل الجميع،

حملتها بين يديها، وأعطته رأيها فيها كمحترفة قبل التدريب: «انظر إلى توازنك فوقها، إن طراز «نيمبوس» به خطأ؛ لأنه لا يحفظ هذا التوازن، كما أنه أرفع من طراز «كلين سويب». إنها تذكرنى بالأسهم الفضية، خسارة.. أنهم توقفوا عن صناعتها، لقد تعلمت الطيران على واحدة منها، وقد كانت طرازًا رائعًا أيضًا.

واستمرت على هذا النحو لبعض الوقت حتى قال «وود»: «مدام «هوتش»؟ هل من الممكن أن يستعيد «هارى» السهم النارى؟ إننا فقط نريد بدء التدريب...».

فقالت: «آه.. نعم.. تفضل يا «بوتر»، سأجلس هنا مع «ويزلى..».

وخرجا من الملعب ليجلسا فى مقاعد المشاهدين، وتجمّع فريق «جريفندور» حول «وود»؛ لسماع تعليماته الأخيرة قبل مباراة الغد، وقال «وود»: «««هارى»، لقد علمت من سيلعب فى موقع الباحث ضمن فريق «رافنكلو». إنها «تشو تشانج»، وهى من تلميذات الصف الرابع، ولاعبة جيدة بالفعل.. لقد كنت أتمنى ألا تكون فى لياقة تسمح لها بالاشتراك، فقد كانت مصابة..».. ولم يكمل «وود»، وإنما ابتلع عدم سعادته بتماثلها للشفاء، ثم تابع: «... ولكن على الجانب الآخر إنها تركب عصا من طراز «كوميت» رقم (٦٢) التى ستبدو مضحكة أمام السهم النارى»، ثم نظر نحو عصا «هارى» بإعجاب قبل أن يصيح: «حسنًا.. هيا بنا..».

وامتطى «هارى» عصاه وانطلق، كانت أروع من كل أحلامه! فهى تلف وتدور مع أخف لمسة، كان الأمر يبدو كما لو كانت تطيع أفكاره أكثر مما تطيع قبضته، فانطلقت بسرعة عبر الملعب، وعندما انحرف بحدة، صرخت «إليسيا سبينيت»، ثم هبط لأسفل بتحكم فائق حتى أصبح يلمس الحشائش بأطراف قدميه قبل أن يعاود الارتفاع لمسافة خمسين قدمًا فى الهواء مرة أخرى.. ثم صاح «وود»: «هارى» سأخرج الكرة!

فاستدار «هارى» وسابق «بلادجر» نحو الأهداف، وتخطاه بسهولة ليرى الكرة من خلف «وود»، فانطلق نحوها وأمسكها بين يديه.

صاح الجميع فى فرح جنونى، فترك «هارى» الكرة مرة أخرى.. تركها دقيقة قبل أن ينطلق خلفها من جديد، ورآها بجوار ركبة «كاتى» فاندفع نحوها وأمسك بها بسهولة.

كان التدريب رائعًا، وكان وجود السهم النارى مؤثرًا جيدًا للغاية على معنويات الفريق؛ فقاموا بأفضل التحركات وبلا أخطاء، ولم يكن لدى «هارى» أى شىء يُنتقد من أجله؛ فقد كان كما قال له «رون»، ثم قال «وود»: «أنا لا أرى ما يمكن أن يوقف تقدمنا غدًا إلا إذا... «هارى»... هل قمت بحل مشكلتك مع الحرّاس؟».

أجاب «هارى» وهو يفكر فى تعويذته الضعيفة متمنيًا أن تكون أكثر قوة الآن: «نعم».

ثم قال «فريد» فى ثقة: «إن الحراس لن يعاودوا الظهور؛ فقد حذرهم «دمبلدور»..».

فقال «وود»: «حسنًا.. فلنأمل ذلك، وعلى كل حال لقد كان عملاً رائعًا منكم جميعًا، فلنعد إلى البرج».

وقال «هارى» عندما توجه باقى التلاميذ إلى غرف تبديل الملابس: «سأنتظر هنا قليلاً، فـ«رون» يريد أن يجرب السهم النارى».

ثم أشار «هارى» إلى «رون» الذى أتى له مسرعًا، بينما كانت مدام «هوتش» قد غاصت فى نوم عميق فى مقعدها.

وقال «هارى» وهو يسلم العصا له: «هيا».

وبالفعل انطلق بها «رون» وكان الظلام قد بدأ يحل، وعندما استيقظت مدام «هوتش» أصرت على عودتهما إلى القلعة، فحمل «هارى» العصا على كتفه وسار مع «رون» خارج الملعب وهما يتكلمان عن حركة السهم النارى السلسة وانحرافها الدقيق تمامًا.

كانا فى منتصف الطريق عندما نظر «هارى» نحو «إليسيا» ليرى ما جعل قلبه يقفز من مكانه.. لقد كانا زوجين من العيون التى تلمع وسط الظلام.

وتوقف «هارى» وقلبه يخفق بقوة بين ضلوعه، فتساءل «رون»: «ماذا هناك؟».

وأشار «هارى» فجذب «رون» عصاه السحرية قائلاً: «لاموس».

فخرج شعاع من الضوء واصطدم بجذع إحدى الأشجار فأضاء ما حولها، لقد كان «كروكشانكس».

زمجر «رون» وهو يمسك بحجر استقر فوق الحشائش قائلاً: «ابتعد»، ولكن قبل أن يفعل شيئًا، كان «كروكشانكس» قد اختفى.

فقال «رون» وهو يلقى بالحجر: «هل ترى؟.. إنها لا تزال تتركه يتجول أينما شاء، ربما يتناول زوجين من الطيور بعد أن التهم «سكابرز»».

ولم يقل «هارى» شيئًا، وإنما أخذ نفسًا عميقًا ينمُّ عن الراحة التى يشعر بها، لقد كان واثقًا أن هاتين العينين هما عينا ذلك الكلب العملاق، وللحظة شعر بالحرج من خوفه، ثم أكمل سيره نحو القلعة دون أن يتكلم أو ينظر يمينًا أو يسارًا، حتى وصلا إلى بهو الدخول.

هبط «هارى»؛ لتناول الإفطار فى صباح اليوم التالى مع باقى زملائه الذين يظنون أن السهم النارى بحاجة لحرس شرف حولها، وعندما دخل «هارى» البهو العظيم اتجهت كل الرءوس نحو عصاه الجديدة، وسرت الهمهمات بين الجميع، ورأى «هارى» ما جعله يشعر بالرضا، رأى فريق «سليذرين» وهم ينظرون نحوه كالمصعوقين، فقال «رون» مشيرًا إلى «مالفوى»: «هل رأيت وجهه؟ إنه لا يصدق!».

وبالطبع كان «وود» فخورًا بها كذلك، فقال لـ«هارى»: «ضعها هنا يا«هارى»»، وبالفعل وضعها «هارى» فى وسط المائدة، وقد

جعل وجهها لأعلى؛ حتى تبدو كالأسهم لكل من يقترب منها، وجاء «سيدريك ديجورى»؛ لتهنئة «هارى»، وطلب منه فقط أن يمسكها.

واقترب «مالفوى»؛ لينظر من قريب ومن خلفه «كراب» و«جويل»، ثم قال:

«هل أنت واثق أنك ستستطيع السيطرة على هذه العصا يا«بوتر»؟».

أجاب «هارى» ببساطة: «نعم.. أظن ذلك».

فقال «مالفوى» وعيناه تمتلئان بالشر: «إن لها مميزات خاصة متعددة.. أليس كذلك؟ خسارة، لم تأتِ معها مظلة، حتى إذا اقترب منك أحد هؤلاء الحرّاس...».

وضحك كل من «كراب» و«جويل».

فرد «هارى» قائلاً: «وخسارة أنك لا تملك ذراعًا إضافية؛ حتى تمسك لك الكرة».

وضحك فريق «جريفندور» بصوت مرتفع، فى حين ضاقت عينا «مالفوى»، وابتعد عنهم، وشاهدوه يلحق بباقى أعضاء فريقه الذين التفوا حوله يسألونه إذا كانت العصا من طراز السهم النارى حقًا.

فى الحادية عشرة إلا الربع انطلق فريق «جريفندور» إلى غرف تبديل الملابس، وكان الجو مختلفًا عن جو مباراتهم مع «هافلباف»، فقد كان الجو صحوًا، وبه برودة خفيفة، ولكن دون

أى مشكلات فى الرؤية هذه المرة، وبدأ «هارى» يشعر بتلك الإثارة التى تجلبها المباراة، وسمعوا أصوات باقى تلاميذ المدرسة وهم يتوجهون نحو الملعب، وخلع «هارى» ملابس مدرسته السوداء، وأخرج عصاه السحرية من جيبه ووضعها بجانب السترة التى كان سيرتديها أسفل ملابس اللعب، وكل ما تمناه هو ألا يحتاج لاستخدامها، وفجأة تساءل إذا كان الأستاذ «لوبين» بين المتفرجين.

وقال «وود» وهو يستعد لمغادرة الحجرة: «أنت تعرف ما يجب أن تقوم به، إذا خسرنا هذه المباراة فسنخرج من المنافسة، كل ما عليك هو أن تطير كما كنت تطير بالأمس».

وخرجوا ليقابلوا عاصفة من التصفيق فى الملعب. كان فريق «رافنكلو» يرتدون لونًا أزرق، ويقفون فى وسط الملعب ومعهم باحثتهم «تشو تشانج» وهى الفتاة الوحيدة فى صفوف الفريق.. كانت أقصر من «هارى» الذى لم يستطع منع نفسه من ملاحظة جمالها وهى تبتسم نحوه، عندما واجها بعضهما قبل بدء اللعب، وصاحت مدام «هوتش»: «وود.. تقدم للمصافحة» وتقدم «وود» ليصافح قائد فريق «رافنكلو» قبل أن تقوم مدام «هوتش» مع صافرتها قائلة: هيا.. ثلاثة.. اثنان.. واحد..».

وركب «هارى» فوق عصاه التى انطلقت أسرع من أى عصا أخرى، فراح يدور حول الملعب بحثًا عن الكرة وهو يسمع التعليق

على المباراة بصوت «لى جوردان» صديق آل «ويزلى»: «لقد انطلقوا. وأكثر شىء مثير فى هذه المباراة هو العصا التى يركبها «هارى» من طراز السهم النارى، لقد علمت أنها ستكون العصا الرسمية لكأس العالم هذا العام».

قاطعه صوت الأستاذة «ماكجونجال» قائلة: «جوردان.. هل تمانع فى أن تخبرنا بما يحدث فى المباراة؟».

فأجابها: «كما تشائين يا أستاذة، إننى فقط أقدم خلفية، فقد تم تصميم السهم النارى بكابحات....».

- «جوردان!».

- «حسنًا.. حسنًا.. إن «جريفندور» مستحوذ، وتتقدم «كاتى بيل» نحو المرمى..».

ودار «هارى» من خلف «كاتى»؛ ليرى أى إشارة لأى شىء ذهبى قبل أن يلاحظ أن «تشو تشانج» تتبعه. لقد كانت لاعبة رائعة بلا شك؛ فقد ظلت تقطع الطريق أمامه وتدفعه إلى تغيير اتجاهه، فصاح «فريد» «أَرِهَا قدراتك على تغيير الاتجاه يا «هارى»»، ثم انطلق ليدفع «بلادجر» كان يستهدف «إليسيا»».

دار «هارى» من خلف مرمى «رافنكلو» ومن خلفه سقطت «تشو» ونجحت «كاتى» فى تسجيل الهدف الأول، ورأى «هارى» الكرة تقترب من أحد الحواجز؛ فانخفض «هارى» نحوها، ورأت «تشو» ما كان يريد أن يفعله، فانطلقت خلفه ليزيد هو من سرعته

وانخفض حتى أصبح على ارتفاع عشر أقدام حتى اندفع «بلادجر» نحوه من أحد ضاربي فريق «رافنكلو» وبالطبع انحرف «هاري» وتفاداها بمسافة بوصة واحدة، ولكن في هذه الثواني اختفت الكرة لتصدر عن المشاهدين آهة مرتفعة تعبر عن خيبة أملهم، واجهها تصفيق أكثر من مشجعي فريق «رافنكلو» تحية لضاربيه، وهنا قذف «چورچ» «بلادجر» آخر في اتجاه أحد ضاربي «رافنكلو» الذي كان لابد أن يرتفع؛ حتى يتحاشى الاصطدام به.

«جريفندور يتقدم بثماني نقاط مقابل لا شيء، وانظر إلى السهم الناري التي ينطلق بها «هاري» بين الفراغات الآن، إن توازنها الرائع ملحوظ فعلاً في...».

««جوردان».. هل تتقاضى أجرك من أجل التعليق على السهم الناري؟! عد إلى المباراة».

تراجع فريق «رافنكلو» بعد أن سجلوا ثلاثة أهداف، وأصبح «جريفندور» متقدمًا بفارق خمسة أهداف. وإذا استطاعت «تشو» أن تمسك بالكرة الذهبية قبله فسيفوز «رافنكلو» بالمباراة، وانخفض «هاري»؛ ليتجنب أحد مطاردي «رافنكلو» وهو يدور بعينيه في الملعب، حتى رأى الكرة الذهبية تدور حول مرمى فريقه، فأسرع نحوها، ولكن فجأة ظهرت «تشو» أمامه.

فصاح «وود»: ««هاري».. هذا ليس وقت الحفاظ على اللياقة.. ادفعها من فوق عصاها إذا كنت مضطرًا».

وعندما رآها «هاري» وجدها تبتسم، فقد اختفت الكرة مرة

أخرى فاستدار ثانية ليرتفع عن الملعب نحو عشرين قدمًا وبطرف عينه رأى «تشو» تتبعه، لقد قررت أن تظل خلفه بدلاً من البحث عن الكرة الذهبية.. حسنًا، إذا كانت تريد أن تتبعه فعليها أن تتحمل تبعات ذلك.

هبط «هاري» مرة أخرى، وظنت «تشو» أنه رأى الكرة فتبعته ولكن «هاري» عدل من هبوطه فجأة؛ فاختل توازنها، ولكن سرعان ما ارتفعت سريعًا مرة أخرى، ورآها «هاري».. رأى الكرة الذهبية للمرة الثالثة عند نهاية ملعب «رافنكلو» فأسرع وخلفه «تشو»، وكانت الكرة تقترب مع كل ثانية حتى سمع صرخة «تشو» وعندما نظر وجد ثلاثة حراس يغطون رءوسهم وينظرون لأعلى نحوه ولم يشكُ «هاري»، وإنما أخرج عصاه السحرية وصاح: «إكسبكتو باترونام» وخرج شيء فضي كبير من طرفها واتجه مباشرة نحو الحراس، ولكنه لم ينتظر النتيجة، كان ذهنه صافيًا وهدفه محددًا، وكان قد وصل تقريبًا، ومد يده نحو الكرة؛ ليمسك بها، وكاد أن يطبق يده عليها حين سمع صافرة مدام «هوتش» فاستدار ليرى أعضاء فريقه يسرعون حوله وهم يتعانقون ويجذبونه حتى كاد يسقط من فوق عصاه.. وهنا، بدأ يسمع أصوات مشجعي فريقه، وعندما هبط من فوق عصاه رأى الجميع حوله في فرحة غامرة، وفي مقدمتهم «رون» الذي رفع ذراع «هاري» لأعلى وهو يصيح: «نعم.. نعم.. نعم».

ثم قال «بيرسي»: «رائع يا «هاري»».

وسمع «هاري» من يهمس في أذنه: «لقد كانت تعويذة».

واستدار ليرى الأستاذ «لوبين» وهو يرتعد وإن بدت عليه السعادة، فقال «هاري» في سرور: «إن الحراس لم يؤثروا عليَّ مطلقًا، لم أشعر بأي شيء».

قال الأستاذ «لوبين»: «ربما لأنهم لم يكونوا حرّاسًا.. تعال لترى».

وخرج «هاري» من وسط الزحام، حتى أصبح يستطيع رؤية طرف الملعب، فقال «لوبين»: «لقد تلقى «مالفوي» درسًا».

وعندما نظر «هاري» وجد «مالفوي» و«كراب» و«جويل» ومعهم «ماركوس فليت» قائد فريق «سليذرين» وهم يحاولون تخليص أنفسهم من تلك الأثواب التي ارتدوها؛ حتى يظهروا كأنهم من الحراس، وبجوارهم كانت الأستاذة «ماكجونجال» تصيح في غضب شديد: «خدعة لا تستحق هذا المجهود ومحاولة وضيعة؛ لإلحاق الضرر بباحث فريق «جريفندور». ستعاقبون بالاحتجاز، وسوف أخصم خمسين نقطة من «سليذرين»، وسأتكلم مع الأستاذ «دمبلدور» عن ذلك.. آه.. ها هو ذا».

وإذا كان هناك أي شيء قد يضيف لفوز «جريفندور»، فقد كان ذلك يكفي.. فقد ضحك «رون»، الذي أسرع بالخروج من وسط الزحام حتى وصل إلى «هاري»، بصوت مرتفع وهو يشاهد «مالفوي» الذي يحاول عبثًا التخلص من الثوب الذي يحيط به، ثم قال «چورچ»:

«هيا يا «هارى».. سنقيم حفلاً فى الحجرة العامة الآن».

وافقه «هارى» الذى كان يشعر بسعادة بالغة لم يشعر بها منذ وقت طويل، وتوجه مع أعضاء فريقه إلى خارج الملعب فى طريقهم إلى القلعة.

كان الأمر كما لو أنهم فازوا بكأس «كويدتش» بالفعل، لقد استمر الحفل طوال النهار وامتد حتى الليل واختفى كل من «فريد» و«چورچ» لساعتين، ثم ظهرا ومعهما كم هائل من المشروبات وحلوى «هانى ديوك»، فتساءلت «أنجيلينا» وهما يوزعان ما معهما على الموجودين: «كيف فعلتما ذلك؟».

وكانت الوحيدة التى لم تشارك فى الحفل هى «هيرميون» التى انزوت فى أحد الأركان تطالع كتابًا ضخمًا بعنوان: «الحياة الأسرية والعادات المنزلية لعامة البريطانيين» واتجه «هارى» نحوها متسائلاً:

«هل حضرتِ المباراة؟».

أجابته بصوت مرتفع دون أن تنظر إليه: «بالتأكيد، وأنا سعيدة للغاية؛ لأننا فزنا، وأظن أنك قمت بأداء رائع حقًا.. ولكننى أريد أن أنهى قراءة هذا يوم الإثنين».

قال لها «هارى»: «هيرميون .. تعالى لتناول بعض الطعام».

أجابته: «لا أستطيع يا «هارى» فما زال لدى مائتان واثنتان وعشرون صفحة لأقرأها..».

توقفت قليلاً، ثم نظرت نحو «رون» وتابعت: «وعلى كل حال فإنه لا يريدنى أن أشارككم».

وغلبتها دموعها قبل أن يستطيع «هارى» قول أى شىء، فوضعت الكتاب أسفل ذراعها واندفعت بعيدًا؛ لتختفى عن نظره، وعاد «هارى» ليسأل «رون»: «ألا يمكن أن ننهى هذا الأمر؟».

أجاب «رون»: «لا.. إلا أن تعتذر عمَّا فعلت، ولكنها لن تعترف أبدًا بخطئها، إنها لا تزال تدعى أن «سكابرز» ذهب فى إجازة ولم ينتهِ الحفل قبل الواحدة صباحًا عندما صعدت الأستاذة «ماكجونجال» وأصرت على أن ينام الجميع، وصعد «رون» و«هارى» وهما لا يزالان يتكلمان عن المباراة.. وفى النهاية، أوى «هارى» إلى فراشه وهو مجهد حتى غرق فى النوم؛ ليرى حلمًا شديد الغرابة؛ لقد كان يسير عبر غابة ومعه عصاه الجديدة فوق كتفه، ويتبع شيئًا فضيًّا يسير بين الأشجار، وكان كل ما يراه هو الضوء الذى يشع منه بين أوراق الأشجار، وعندما حاول اللحاق به تحرك بسرعة أكبر، فبدأ «هارى» يركض، وعندما استدار عند منعطف و...

فجأة، سمع صرخة مدوية، واستيقظ فجأة كما لو أن أحدهم ضربه على وجهه، وسمع حركة حوله، ثم سمع الباب يُفتح، وعندما أزاح «دين توماس» الستار عن فراش «رون» وجده

يجلس فوق فراشه وعلى وجهه فزع شديد وهو يردد: «سيريوس.. سيريوس بلاك ومعه سكين»!

«ماذا؟».

وسأله «دين»: «هل أنت واثق أنه لم يكن حلمًا؟».

واندفع «هارى» نحو الباب وخلفه الجميع، ومن خلفهم أصوات باقى التلاميذ الناعسة:

«من الذى صرخ؟».

«ماذا تفعلون؟»

وعندما وصلوا الحجرة العامة وجدوها لا تزال مضاءة بعد الحفل.. ولكنها خالية.

«هل أنت واثق أنك لم تكن تحلم يا «رون»؟».

«أنا أقول لكم إننى رأيته»!

«ما كل هذه الضوضاء؟».

«لقد قالت الأستاذة «ماكجونجال» إننا يجب أن ننام».

وهبطت بعض الفتيات وهن يتثاءبن.

وجاء «بيرسى» مبرزًا شارة الصبى المثالى الموجودة على ملابسه صائحًا: «الجميع يعودون إلى أماكنهم!».

فقال «رون»: «بيرسى.. إنه «سيريوس بلاك» ومعه سكين، لقد أيقظنى».

وهدأ الجميع قبل أن يقول «بيرسى»: «هراء! لا بد أن الطعام الذى تناولته كان كثيرًا يا «رون».. لقد كان كابوسًا».

«أقول لك إن ...».

«يكفى هذا .. يكفى!».

وحضرت الأستاذة «ماكجونجال» لتحدق فى كل جانب، ثم قالت: «لقد سعدت بفوز «جريفندور» بالمباراة، ولكن الأمر أصبح سخيفًا يا«بيرسى»، إننى أتوقع منك ما هو أفضل!».

أجابها «بيرسى» : «إننى لم أصرح بذلك يا أستاذة.. لقد كنت أخبرهم أن عليهم العودة إلى النوم، لقد داهم شقيقى «رون» كابوس و...»، صرخ «رون»: «لم يكن كابوسًا.. لقد استيقظت يا أستاذة ورأيت «بلاك» يقف أمامى وهو يحمل سكينًا!».

حدقت الأستاذة نحوه، ثم قالت: «لا تكن سخيفًا يا «ويزلى» فكيف سيعبر من اللوحة؟».

فقال وهو يشير نحو صورة «سيركادوجان» : «اسأليه.. اسأليه إذا كان رأى...».

نظرت نحوه بشك، ثم اتجهت نحو اللوحة وتساءلت: «سير كادوجان».. هل سمحت لتوك بدخول رجل إلى المكان؟».

«سير كادوجان»: «بالتأكيد ياسيدتى».

وعم الصمت الجميع قبل أن تعود لتسأل: «ولكن.. كلمة السر!».

أجابها بفخر: «لقد كانت معه.. كانت معه جميع كلمات الأسبوع لقد كان يقرؤها من ورقة صغيرة!».

وتراجعت للخلف بعد أن أغلقت اللوحة وقد شحب لونها

كالشمع، ثم تساءلت فى صوت مرتعد: «من؟! من هذا الأحمق الذى كتب كلمات سر الأسبوع وترك الورقة تسقط منه؟».

وكان الرد هو الصمت المطبق إلا من صوت أحدهم ينتحب، ورغم أنها كانت ترتعش كما كان يرتعش هو من أطراف شعره حتى أخمص قدميه فإن «نيفيل لونج بوتوم» رفع يده لأعلى.

* * *

١٤ أحقاد «سناب»

لم يستطع أحد أن ينام في برج «جريفندور» تلك الليلة، فقد عرفوا أن القلعة سيجرى تفتيشها للمرة الثانية، وظل الجميع مستيقظين في الحجرة العامة؛ انتظارًا لسماع أخبار القبض على «بلاك» حتى عادت الأستاذة «ماكجونجال» عند الفجر لتخبرهم أنه هرب مرة أخرى.. وفي اليوم التالي، بدأ الجميع يلاحظون إجراءات الأمن المشددة، فكان الأستاذ «فليتويك» يضع صورة «بلاك» على الأبواب الأمامية، أما «فليتش» فكان يمر داخل الممرات؛ ليفحص كل شيء بدءًا من الشقوق التي في الحوائط وحتى بيوت الفئران، وقد أعيدت لوحة «سير كادوجان» إلى مكانها في الدور السابع، وجاءت السيدة البدينة مرة أخرى بعد أن وافقت على عودتها إلى وظيفتها بشرط توفير حماية إضافية لها؛ ولذلك تم استئجار حراس آخرين لحراستها فملأوا المكان بحديثهم، ولم يستطع «هاري» منع نفسه من ملاحظة أن ذلك التمثال الواقف أمام الفتحة المؤدية إلى «هوجسميد» لم تكن عليه حراسة، فعرف أن «فريد» و«چورچ» كانا على حق في التفكير أنه لا أحد غيرهما و«هاري» والآن «رون» و«هيرميون» يعرفون ذلك الممر السرى.

فسأل «هاري» «رون»: «هل تظن أننا يجب أن نخبر أي أحد»؟

فأجاب «رون»: «إننا نعرف أنه لم يأت عن طريق «هانى ديوك»، كنا سنعرف لو كان قد اقتحم المكان».

وكان «هارى» سعيدًا بهذا الرأى ؛ فلو أن هذا المكان أبلغ عنه فإنه لن يستطيع الذهاب إلى «هوجسميد» مرة أخرى.

وأصبح «رون» محط اهتمام كبير.. ولأول مرة فى حياته، رأى الناس يهتمون به أكثر من اهتمامهم بـ «هارى»، وكان من الواضح أن «رون» يستمتع بهذه التجربة، فرغم خوفه الشديد مما حدث فى هذه الليلة فإنه كان سعيدًا بإخبار كل من يسأله عما حدث بالتفصيل.

«.. لقد كنت نائمًا وسمعت صوت شىء يتمزق، وظننت أنه كان حلمًا ولكنه لم يكن كذلك، فقد جذب أحدهم الغطاء المجاور لفراشى وعندما استدرت و جدته يقف بجانبى مثل الهيكل العظمى بشعره الأشعث وهو يحمل سكينه العملاق الذى يبلغ طوله نحو اثنتى عشرة بوصة، فنظر نحوى، وعندما نظرت له صرخت فاختفى من المكان».

ثم عاد «رون» يتساءل: «ولكن لماذا؟ لماذا هرب؟».

وكان «هارى» يتساءل عن نفس الشىء، لماذا توجه «بلاك» إلى الفراش الخطأ، ولماذا لم يُسكت «رون» ويتجه نحو «هارى»؟

إنه لم يهتم مطلقًا بقتل الأبرياء طوال اثنى عشر عامًا، وكل ما كان يواجهه هذه المرة هو خمسة صبية منهم أربعة نائمون.

ولكن قال مفكرًا: «لقد كان صراخك هو السبب، لقد أيقظت

الجميع وكان عليه أن يقتلهم جميعًا؛ حتى يستطيع مغادرة المكان، كما أنه لا يريد أن يقابل أحدًا من الأساتذة..».

أما «نيفيل» فقد كان يشعر بخزى كبير وقد عاقبته الأستاذة «ماكجونجال» بحرمانه من رحلات «هوجسميد» وكذلك حبسه، ومنع أى شخص من إعطائه كلمة السر لدخول البرج. وكان المسكين ينتظر كل ليلة أمام لوحة السيدة البدينة حتى يسمح له أحد بالدخول، لكن هذا العقاب لا يساوى شيئًا أمام عقاب جدته، لقد أرسلت له أسوأ ما يمكن أن يفكر فيه أحد تلاميذ «هوجوورتس».. أرسلت له نابحًا.

كان بوم المدرسة يدخل إلى البهو العظيم حاملاً البريد كالعادة. وهبطت إحدى البومات أمامه، وفى منقارها خطاب عرفه «هارى» و «رون» على الفور، فقد أرسلت والدة «رون» نابحًا مثله فى العام الماضى، فقال ناصحًا: «اركض يا «نيفيل»..».

ولم يكن «نيفيل» يحتاج لتكرار النصيحة، فأمسك بالمظروف أمامه كمن يحمل قنبلة، وأسرع خارج البهو، بينما انفجر تلاميذ «سليذرين» ضاحكين وهم ينظرون نحوه وسمعوا صوت جدته وقد تضخم مائة مرة وهى توبخه بسبب هذا العار الذى جلبه على الأسرة.

ولم يلاحظ «هارى» وسط كل هذا أن هناك بريدًا أمامه، فنبهته «هيدويج» بنقرة على يده، فقال: «آه، شكرًا لكِ يا «هيدويج»، وفتح الرسالة وبدأ يقرؤها:

عزيزى «هـارى» و «رون»..

مـاذا عـن تـنـاول الشـاى مـعـى فـى السـادسـة؟ سـأحضـر لأصـطـحـبكمـا من القـلـعـة، انـتظرانـى فـى بـهو الدخـول؛ فلـيس مسموحًا لكما بـالخروج بمفردكمـا.

إلى اللقاء

«هـاجريد»

فقال «رون»: «ربمـا يريد أن يعرف موضوع «بلاك»!».

لـذلك، فـى السـاعـة السـادسـة، غـادر «رون» و«هـارى» بـرج «جريفندور» حتى هبطا إلى بهو الدخول؛ ليجدا «هـاجريد» فى انتظارهمـا بـالفعل.

قـال «رون»: «حسنًا يا «هـاجريد».. هل ترغب فى سماع ما حدث فى ليلة السبت.. أليس كذلك؟

قـال «هـاجريد» وهـو يفتـح البـاب الأمـامـى: «لقد سمعت كل شىء عن هذا الموضوع».

شـعـر «رون» بـالإحـبـاط وعـنـدمـا وصـلـوا إلى كـوخ «هـاجـريـد» وجدوا «باك بيك» الذى فرد جناحيه العملاقين، وعند دخولهم رأى «هـارى» حلة بنية اللون وربطة عنق صفراء وبرتقـالية فظيعة معلقة فوقها، فتساءل: «لمـاذا هذه الأشياء يا «هـاجريد»؟».

أجـاب «هـاجريد»: « إن قضية «باك بيك» مع لجنة المخلوقات الخطرة ستكون يوم الجمعة، وسنكون معًا فى طريقنا إلى لندن، لقد قمت بحجز فراشين فى حافلة الفارس..».

وشعر «هارى» بالذنب؛ فقد نسى تمامًا أن قضية «باك بيك» قد اقتربت، وعندما نظر نحو «رون» عرف أن يشعر بنفس الشعور كذلك، وقد نسيا وعدهما بمساعدة «هاجريد» فى تجهيز دفاع «باك بيك»، ولكن وصول السهم النارى أنساهما هذا الأمر.

صبَّ لهما «هاجريد» الشاى بعد أن قدم لهما بعض الشطائر، ثم قال:

«لدىَّ شىء أريد مناقشته معكما».

تساءل «هارى»: «ما هو؟».

قال «هاجريد» : «هيرميون».

فقال «رون»: «ماذا عنها؟».

أجاب «هاجريد»: «لقد أتت لزيارتى أكثر من مرة خلال أعياد الكريسماس، وكانت تشعر بالعزلة، ففى البداية لم تكونا تتكلمان معها بسبب السهم النارى، والآن لا تكلمانها بسبب ذلك القط الذى...».

قاطعه «رون» بغضب: «... التهم «سكابرز»...»!

فتابع «هاجريد»: «لأنه تصرف كما يتصرف أى قط، إنها تقضى وقتًا عصيبًا الآن، فمع كل هذا الكم من العمل إلا أنها كانت تساعدنى فى قضية «باك بيك» وقد وجدتْ أشياء طيبة لى جعلتنى آمل الحصول على فرصة طيبة الآن..».

قال «هارى»: «هاجريد.. لقد كان يجب بدورنا أن نساعدك.. أنا آسف لذلك».

قال «هاجريد» ملوحًا: «أنا لا ألومك، فقد كنت أعلم أن لديك ما يكفيك من التدريب من أجل مباراة «الكويدتش»، ولكن يجب أن أقول لك إننى كنت أظن أنكما ستقدران صديقتكما أكثر من عصى المكانس أو الفئران، وهذا كل شيء».

تبادل «هارى» و«رون» نظرات قلقة قبل أن يتابع: «لقد كانت فى غاية الضيق بسبب مهاجمة «بلاك» لك يا «رون»، إن لها قلبًا يا «رون»، وتستحق أن تتحدث معها...».

قال «رون» بغضب: «لو أنها تتخلص فقط من هذا القط سأكلمها مرة أخرى، ولكنها لا تزال متمسكة به، ولا تقبل أى كلمة ضده»!

قال «هاجريد» بحكمة: «آه.. حسنًا، إن الناس أحيانًا يتصرفون بحماقة؛ بسبب حيواناتهم الأليفة».

وقضوا بقية زيارتهم فى مناقشة فرصة فوز فريق «جريفندور» بكأس «كويدتش».. وفى الساعة التاسعة، قام «هاجريد» بتوصيلهم إلى القلعة ليجدوا مجموعة كبيرة من التلاميذ وقد تجمعوا حول لوحة الإعلانات، فرفع «رون» رأسه؛ ليرى ماذا هناك، ثم قال: «هوجسميد» فى عطلة نهاية الأسبوع القادم.. ما رأيك؟

أجاب «هارى» بهدوء: «إن «فليتش» لم يفعل أى شيء حيال الممر المؤدى إلى محل «هانى ديوك»..».

سمع «هارى» من يهمس فى أذنه، وعندما استدار نحو

«هيرميون» التى كانت تجلس خلفهما قالت: «««هارى».. إذا ذهبت إلى «هوجسميد» مرة أخرى؛ فسأخبر الأستاذة «ماكجونجال» عن هذه الخريطة».

قال «رون» ساخرًا: «هل تسمع أحدًا يتكلم يا «هارى»؟».

«رون» كيف تدعه يذهب معك بعد ما فعله «سيريوس بلاك» معك.. أنا أعنى ما أقول، سأخبر...».

«إنك تحاولين الآن إلحاق الضرر بـ «هارى»، ألا يكفيك ما قمت به هذا العام؟».

فتحت «هيرميون» فمها لتجيب، ولكن فجأة قفز «كروكشانكس» من فوق ساقيها، فلاحظت الخوف الذى بدا على وجه «رون»، وأمسكت به ثم ابتعدت عنهما سريعًا».

وعاد «رون» يتساءل كما لو أنه لم تكن هناك أى مقاطعة: «وماذا عن الذهاب إلى «هوجسميد»، هيا.. إنك لم ترَ أى شيء هناك فى المرة السابقة».

نظر «هارى» حوله؛ ليتأكد من عدم وجود «هيرميون» بالقرب منهما، ثم قال: «حسنًا.. ولكننى سآخذ عباءة الإخفاء معى هذه المرة».

فى صباح يوم السبت، وضع «هارى» عباءة الإخفاء فى حقيبته ووضع الخريطة فى جيبه، ثم هبط لتناول الإفطار مع الجميع؛ ليتجنب نظرات «هيرميون» المتشككة نحوه، ثم حرص على أن تراه وهو يصعد لأعلى مرة أخرى، فى حين اتجه الجميع

نحو الأبواب الأمامية، ثم لوح مودعًا «رون» الذى ابتسم له وغمز بعينه.

وأسرع «هارى» إلى الطابق الثالث وهو يتحسس الخريطة فى جيبه حتى وصل إلى تمثال الساحرة ذات العين الواحدة وفض الخريطة.. لقد رأى نقطة تتحرك فى طريقه وقد كتب بجوارها «نيفيل لونج بوتوم» فأخرج «هارى» عصاه سريعًا وهو يغمغم: «وسينديوم»، ولكن قبل أن يستطيع الدخول، ظهر «نيفيل» الذى صاح: «هارى»!

لقد نسيت أنك لن تذهب إلى «هوجسميد» كذلك.

رد «هارى» وهو يبتعد عن التمثال سريعًا ويدس الخريطة فى جيبه: «مرحبًا يا «نيفيل»! ماذا تنوى أن تفعل؟».

أجاب: «لا شىء، هل ترغب فى اللعب؟».

«إيه.. ليس الآن.. لقد كنت سأذهب إلى المكتبة حتى أنهى ذلك المقال الذى طلبه لوبين».

«سآتى معك فأنا لم أتمه كذلك».

«انتظر.. لقد نسيت.. لقد أنهيته بالأمس».

«رائع.. يمكنك مساعدتى فهذه الـ...».

قطع «نيفيل» كلامه وهو ينظر فوق «هارى»، لقد كان «سناب» وتقدم «نيفيل» خطوة خلفه، فتساءل «سناب» وهو ينقل عينيه بينهما: «ماذا تفعلان هنا؟».

أجاب «هارى»: «إننا لا نتقابل هنا، بل تقابلنا لتونا».

فعاد سناب يقول: «حقًّا؟ إن لك هواية التجول فى أماكن غير متوقعة يا «بوتر»، ونادرًا ما تكون هناك بدون سبب وجيه، وأظن أنه من الأفضل أن تعودا إلى برج «جريفندور» حيث مكانكما.

وتحرك كلاهما دون أى كلمة أخرى، وعندما استدارا نظر «هارى» خلفه فرأى «سناب» يمر بيده على التمثال، ويفحصه عن قرب، وكان «هارى» ينوى أن يخبر «نيفيل» بكلمة السر ويدعه يمر ثم يتظاهر أنه نسى مقاله فى المكتبة حتى يعود.. وبالفعل، عاد مرة أخرى إلى الطابق الثالث وأخرج الخريطة وفحصها بعناية قبل أن يطلق زفرة ارتياح، فقد عرف من الخريطة أن «سناب» عاد لمكتبه.

فأسرع نحو التمثال ومر عبر تلك الفتحة، ليرى حقيبته وقد استقرت هناك.. ثم بدأ يركض.

كان «هارى» مختفيًا تمامًا تحت عباءة الإخفاء وقد خرج إلى ضوء الشمس خارج محل «هانى ديوك» ورأى «رون» فذهب وربت على كتفه قائلاً: «إنه أنا»، تساءل «رون» هامسًا: «ما الذى أخَّرك؟».

«سناب كان هناك...».

ثم سارا معًا حتى تساءل «رون» بجانب فمه: «أين أنت؟ هل مازلت هناك؟».

وذهبا إلى مكتب البريد وتظاهر «رون» أنه يسأل عن تكلفة

إرسال شيء إلى مصر؛ حتى يستطيع «هارى» أن يشاهد المكان، كانت البومات قد اصطفت أمامه، نحو ثلاثمائة بومة من مختلف الأنواع، ثم ذهبا إلى محل «زونكو» وشاهدا ما به من ألعاب وخدع يمكن تنفيذها، وكان «هارى» يقدم النقود إلى «رون» بعد أن يهمس له بما يريد أن يشتريه، وغادرا المحل وقد قلت أموالهما وإن اكتظت جيوبهما بمختلف الألعاب التى يزخر المحل بها. كان الجو صحوًا ومنعشًا، فسارا من خلف الحانة وشاهدا «شيريكنج شاك» أشهر المنازل المسكونة، الذى بدا رغم ضوء الشمس مخيفًا بتلك النوافذ المسطحة والحديقة الكثيفة الأشجار، فقال «رون» وهما يستندان إلى السور: «حتى أشباح «هوجوورتس» تتجنب هذا المنزل، وعندما سألت «نيك شبه مقطوع الرأس» أخبرنى أنه سمع جلبة كبيرة بالداخل، لا أحد يستطيع دخوله، وقد حاول «فريد» و«چورچ»، ولكن كل المداخل كانت مغلقة..».

وشعر «هارى» بحرارة من طول مدة سيرهما، ففكر أن يخلع العباءة قليلاً، وعندها سمعا صوت أحدهم يقترب من المنزل من الجانب الآخر.. وبعد دقائق، ظهر «مالفوى» وبعده ظهر «كراب» و«جويل» وكان «مالفوى» هو الذى يتكلم: «سيصلنى خطاب من أبى فى أى وقت، فلابد أنه أخبرهم عن ذراعى وأننى لن أستطيع استخدامه لمدة ثلاثة شهور».

ورأى «رون»، فابتسم ابتسامة باهتة قبل أن يتساءل: «ماذا تفعل يا «ويزلى»؟».

ثم نظر للمنزل الذى بدا خلف «رون»: «هل ترغب فى أن تعيش هنا؟ هل تحلم بحجرة نوم خاصة؟ لقد سمعت أن عائلتك كلها تنام فى حجرة واحدة.. هل هذا صحيح؟».

أمسك «هارى» بثوب «رون» حتى يمنعه من الاصطدام بـ «مالفوى» هامسًا: «دعه لى».

لم يكن من الممكن أن يضيع «هارى» مثل هذه الفرصة، وسار ببطء خلف «مالفوى» و«كراب» و«جويل» وملأ يده ببعض الطين من الأرض عندما عاد «مالفوى» يقول: «لقد كنا نتكلم عن صديقك «هاجريد»، نحاول تخمين ما سيقوله أمام اللجنة، هل تظن أنه سيبكى عندما يأخذون منه هذا «الهيبوجريف أم...؟».

وفجأة، اصطدم هذا الطين برأسه من الخلف.

«ماذا...؟».

وظل «رون» مستندًا إلى السور؛ حتى لا يسقط من فرط الضحك، وعندما استدار الثلاثة كان «مالفوى» يحاول نفض هذا الطين عن رأسه متسائلاً: «ما هذا؟ من فعل ذلك؟».

أجاب «رون» ساخرًا: «إن المنزل مسكون كما تعلم».

بدأ كل من «كراب» وجويل» يرتعشان من الخوف، أما «مالفوى» فكان يتلفت حوله فى جنون، وسار «هارى» مرة أخرى حتى وصل إلى بركة مليئة بطين كريه الرائحة، وألقى البعض عليهم، فأجاب «كراب» و«جويل»: القليل هذه المرة..

فقال «مالفوى» وهو يمسح وجهه ويشير إلى نقطة تبتعد نحو ست أقدام عن مكان وقوف «هارى»: «إنه يأتى من هناك».

فتقدم «كراب» إلى حيث أشار، فدار «هارى» حوله والتقط عصا ضرب بها «كراب» على ظهره وهو يحاول كتم ضحكته وعندما التف «كراب» سريعًا؛ ليرى من فعلها، ولأن «رون» كان الشخص الوحيد الذى رآه «كراب»، فقد اتجه نحوه، ولكن «هارى» وضع قدمه فى طريقه، وعندما كاد أن يسقط أمسك بطرف عباءة «هارى»؛ ليكشف وجهه، وعندما رآه «مالفوى» صاح وركض مبتعدًا ومن خلفه «كراب» و«جويل».

أعاد «هارى» العباءة مرة أخرى، فقال «رون»: ««هارى».. من الأفضل أن تسرع بالعودة إلى القلعة قبل أن يخبر «مالفوى» أى أحد».

فودعه «هارى» وأسرع بدوره والأسئلة تتسابق فى رأسه: هل سيصدق «مالفوى» ما رآه؟ وهل سيصدقه أحد؟ لا أحد يعرف أمر عباءة الإخفاء فيما عدا «دمبلدور»، وبدأ «هارى» يشعر بتقلص معدته، «دمبلدور» سيعرف الذى حدث إذا قال «مالفوى» أى شىء، ووصل إلى محل «هانى ديوك» ونزل إلى الممر السرى، وبدأ يركض فى اتجاه القلعة، «مالفوى» سيصل أولاً.. ولكن، هل سيجد معلمًا بسرعة؟

كان يركض بكل سرعته، ورغم الألم الذى شعر به لم يبطئ وفكر أن يترك العباءة، فقد كانت تشكل عبئًا عليه، فأخفاها فى

مكان عرفه جيدًا، ثم بدأ يصعد للقلعة.. وبالفعل، وصل حتى داخل التمثال، وعندما خرج منه سمع خطوات سريعة قادمة.. لقد كان «سناب»، فحاول أن يبدو بريئًا رغم كل هذا العرق الذى يغرق وجهه، ورغم يديه الملوثتين بالطين اللتين حاول دسهما فى جيوبه حتى قال «سناب»: «تعال معى يا «بوتر»».

وتبعه «هارى» لأسفل وهو يحاول مسح يديه فى جيوبه دون أن يلاحظ «سناب» حتى وصلا إلى المكتب.

وكان «هارى» قد دخل لهذا المكتب مرة واحدة قبل ذلك وتعرض لمشكلة كبرى وقتها، ثم قال «سناب»: «اجلس».

وجلس «هارى» بينما ظل «سناب» واقفًا، ثم قال: «لقد حضر «مالفوى» إلى هنا، وأخبرنى بقصة غريبة يا «بوتر»».

ولم ينطق «هارى».

«لقد أخبرنى أنه ذهب إلى «شيريكنج شاك» ووجد «ويزلى».. بمفرده.. ولم ينطق «هارى» أيضًا».

«وقال إنه كان يتحدث مع «ويزلى» عندما اصطدمت برأسه كرة كبيرة من الطين، كيف تظن أن هذا قد حدث؟».

حاول«هارى» أن تبدو عليه الدهشة وهو يجيب: «لا أعرف يا أستاذ».

ونظر «سناب» كما لو كان يحاول أن يخترق عينيه، ثم قال: «ولكن كان لـ «مالفوى» رواية غريبة.. هل تعرف ما هى يا «بوتر»؟».

أجاب «هارى» وهو يحاول أن يبدو شغوفًا بما حدث: «لا».

فأجاب «سناب»: «لقد كان رأسك هناك معلقًا فى الهواء».

وساد صمت طويل بينهما، ثم قال «هارى»: «ربما يجدر به أن يذهب إلى مدام «بومفرى» فلو كان يرى أشياء مثل هذه...».

قاطعه سناب بهدوء: «ما الذى كان يفعله رأسك فى «هوجسميد» يا «بوتر»؟ إن رأسك غير مسموح له أن يكون هناك ولا أى جزء من جسمك».

قال «هارى» وهو يحاول بصعوبة منع أى تعبير من الأسف أو الخوف أن يظهر على وجهه: «أعرف هذا، ولكن الأمر يبدو كما لو كان «مالفوى» قد أصيب بهلاوس و...».

قاطعه «سناب»: «مالفوى لم يُصَبْ بهلاوس، فلو كان رأسك هناك؛ فهذا يعنى أنك كنت هناك».

قال «هارى»: « لقد كنت فى برج «جريفندور» كما طلبت منى».

تساءل «سناب»: «هل يستطيع أحد أن يؤكد ذلك؟».

لم يجب «هارى»، فابتسم «سناب» ابتسامة مخيفة، ثم قال: «حسنًا، لقد قامت وزارة السحر بكل ما تستطيع حتى تحمى «هارى بوتر» الشهير من «سيريوس بلاك»، ولكن «هارى بوتر» الشهير لم يكن حريصًا على نفسه، فذهب إلى حيث يريد دون أى اهتمام بأية تبعات».

وظل «هارى» صامتًا وهو يحاول منع نفسه من قول الحقيقة ولم يكن ليفعلها؛ لأن «سناب» ليس لديه دليل حتى الآن.. ثم قال «سناب» وقد لمعت عيناه فجأة: «إنك شقى مثل والدك يا «بوتر»

هو أيضًا كان كذلك، موهبته فى «الكويدتش» جعلته يظن أنه أفضل منَّا، وأحاط به الأصدقاء فى كل مكان».

قال «هارى» قبل أن يحاول منع نفسه: إن أبى لم يكن مغرورًا.. ولا أنا.

تابع «سناب»: «أبوك لم يهتم بالقواعد، لقد كانت القواعد والقوانين للآخرين وليس للفائز بكأس «الكويدتش»، لقد كان مغرورًا...».

«هذا يكفى».

صرخ «هارى» وهو ينهض واقفًا وقد ملأه الغضب، ولم يهتم بما ظهر على وجه «سناب» من تهديد وغضب وهو يقول: «ماذا قلت يا «بوتر»؟».

صاح «هارى»: «لقد قلت لك أطبق فمك ولا تتحدث عن والدى، فأنا أعرف كل شىء.. لقد أنقذ حياتك.. لقد أخبرنى «دمبلدور» لولا أبى لما كنت أنت هنا الآن!».

شحب وجه «سناب» بشدة، ثم همس متسائلاً: «وهل أخبرك عن الظروف التى أنقذ فيها والدك حياتى؟ أم أنه ظن أن هذه الظروف ستؤلم أذنيك المرهفتين؟».

عضَّ «هارى» على شفته؛ فهو لم يكن يعرف التفاصيل، وإنما لم يكن يريد أن يعترف بهذا، ولكن يبدو أن «سناب» أدرك ذلك، فقال: «أنا لن أسمح بأن تستقر هذه الفكرة فى رأسك عن أبيك يا «بوتر» هل تظن أن ما حدث كان عملاً بطوليًا مجردًا؟ دعنى إذن أصحح

معلوماتك.. لقد كان والدك يمارس معى دعابة كادت أن تودى بحياتى، لولا أنه أفاق فى اللحظة الأخيرة، لم يكن هناك أى شجاعة فيما فعله، لقد كان يفر بحياته أكثر مما كان يريد أن ينقذ حياتى، فلو كانت نجحت دعابته لكان قد استبعد من «هوجوورتس».

ثم قال فجأة: «أفرغ جيوبك يا «بوتر»..».

لم يتحرك «هارى»، فقد كان يسمع خفق قلبه فى أذنيه، فعاد يكرر:

«أفرغ جيوبك يا «بوتر» وإلا سنذهب للمدير».

وببطء، أخرج «هارى» تلك الحقيبة المكتظة بالألعاب التى اشتراها مع «رون» وهو يقول متمنيًا أن يجد الوقت الذى يخبر فيه «رون» بما حدث: «لقد قدمها لى «رون».. لقد اشتراها المرة السابقة».

قال «سناب»: «حقًا؟ وأنت تحملها فى كل مكان منذ ذلك الحين؟ وما هذا؟».

التقط «سناب» الخريطة متسائلاً: «ما هذه؟».

أجاب «هارى»: «رقعة جلدية خالية».

قلبها «سناب» بين يديه، ثم قال: «لا أظنك تحتاج إلى هذه الرقعة القديمة ولن تهتم إذا تخلصت منها»، ثم مد يده نحو نار المدفأة، فصاح «هارى» سريعًا: «لا».

فعاد «سناب» يقول: «إذن، فهذه هدية أخرى من السيد «ويزلى» أم أنها شىء آخر.. ربما تكون خطابًا مكتوبًا بحبر سرى

أو إرشادات للذَّهاب إلى «هوجسميد» دون المرور على الحراس، دعنا نرى»».

ثم اتجه للمكتب وفرد الخريطة عليه، ثم لمسها بعصاه قائلاً: «أظهرى نفسك».

ولم يحدث شيء، فعاد ليمر فوقها بعصاه مكررًا: «أظهرى نفسك» ولم يحدث شيء، فتنفس «هارى» فى راحة قبل أن يقول «سناب» مرة أخرى: «الأستاذ «سيفروس سناب» أحد معلمى هذه المدرسة يأمرك بأن تفصحى عن كل ما فيك».

وكما لو أن يدًا خفية قد بدأت تكتب على الرقعة فقد بدأت بعض الكلمات فى الظهور:

«الأستاذ «مونى» يقدم تحياته إلى الأستاذ «سناب» ويرجوه أن يبعد أنفه العملاق، ويمنعه من التدخل فى شئون الآخرين».

وتجمّد «سناب» فى حين ظل «هارى» محملقًا فى الرسالة التى لم تتوقف عند هذا الحد وإنما استمرت الكتابة:

«والأستاذ «برونجز» يوافق الأستاذ «مونى» على رأيه ويضيف أن الأستاذ «سناب» كائن مقيت».

كان الأمر سيبدو مضحكًا للغاية لولا أنه كان جادًّا هذه المرة، فقد كان هناك المزيد:

«والأستاذ «بادفوت» يسجل دهشته أن مثل ذلك الأحمق أصبح معلمًا».

وأغلق «هارى» عينيه قليلاً وعندما فتحها كانت الخريطة قد كتبت آخر كلماتها:

«الأستاذ «وورمتيل» يتمنى للأستاذ «سناب» يومًا طيبًا ويرجوه أن يغسل شعره، وانتظر «هارى» حتى قال «سناب»: «حسنًا.. سترى» واتجه نحو المدفأة ونثر فوق نارها بعض الرماد قائلاً: «لوبين، أريدك فى كلمة».

ورأى «هارى» ظلاً يتحرك ثم ظهر «لوبين» وهو ينفض الرماد عن ملابسه قائلاً: «هل كنت تنادى يا «سيفروس»؟».

أجاب «سناب»: «بالتأكيد.. لقد طلبت من «بوتر» أن يفرغ جيوبه فكان معه هذه».

فقال «لوبين» بعد أن قرأ ما عليها: «وماذا بعد؟».

أجاب «سناب»: «ماذا بعد؟! إنها زاخرة بالسحر الأسود، وأظن أن هذه من اختصاصك.. من أين تظن أن «هارى» حصل على هذه؟».

نظر «لوبين» نحو «هارى» نظرةً تعنى ألا يقاطعه، ثم قال: «سحر أسود؟ هل تظن ذلك حقًا يا «سيفروس»؟ إنها تبدو لى رقعة جلديه تُهين كل من يحاول قراءتها.. مجرد لعبة طفولية ولكنها ليست خطيرة بالتأكيد.. ربما حصل عليها «هارى» من أحد محال الألعاب.

قال «سناب» غاضبًا: «حقًا؟ هل تظن أن هناك محل ألعاب يقدم هذه؟ أم أنه حصل عليها من صانعيها؟».

ولم يفهم «هارى» ما كان يعنيه «سناب»، ويبدو أن «لوبين» أيضًا لم يعرف، فتساءل: «هل تعنى أحد هؤلاء الأشخاص؟».

«هارى.. هل تعرف أحدًا منهم؟».

أجاب «هارى» سريعًا: «لا».

فقال «لوبين»: «أرأيت يا «سناب»، إنها تبدو لى أحد منتجات محل «زونكو»».

وفى هذه اللحظة، دخل «رون» للمكان وهو لا يكاد يقدر على أن يتنفس من طول المسافة التى كان عليه أن يجريها قائلاً: «أنا... أنا... أعطيت لـ «هارى».. هذه الأشياء.. لقد... لقد... اشتريتها من «زونكو».. منذ... منذ فترة طويلة».

فقال «لوبين»: «حسنًا، لقد اتضح الأمر الآن وسآخذ هذه»، ثم وضع الخريطة فى جيبه وتابع قائلاً: ««رون».. «هارى».. أنا أريدكما معى.. أريد أن أسألكما عن المقالات التى طلبتها.. معذرة يا «سناب»».

ولم يقدر «هارى» أن ينظر نحو «سناب»، لقد سار مع «رون» و«لوبين» خارج المكتب حتى بهو الدخول، ثم قال:

«أستاذ، أنا...».

قال «لوبين»: «لا أريد أن أسمع مبررات»، ثم نظر حوله قبل أن يتابع: «لقد عرفت أن هذه الخريطة كانت عند الأستاذ «فليتش» منذ سنوات، نعم.. أنا أعرف أنها خريطة، ولا أريد أن أعرف كيف وصلت إليكما، ولكننى لن أعيدها لكما بعد ما حدث، لقد ترك

أحدهم معلومات عن القلعة تسقط منه فى مكان ما وتسبب ذلك فى مشكلة يا «هارى»».

وكان «هارى» يتوقع ذلك، فلم ينطق وإنما تساءل: «لماذا ظن «سناب» أننى حصلت عليها من صانعيها؟».

تردد «لوبين» قليلاً، ثم قال: «لأن هؤلاء الأشخاص كانوا يريدون أن تخرج من المدرسة».

«هل تعرفهم؟».

أجاب باختصار: «لقد تقابلنا قبل ذلك».

«لا تتوقع منى أن أتستر عليك مرة أخرى يا «هارى»، لقد ضحَّى والداك بحياتهما من أجل حياتك، ويجب أن تقدر خطورة تعرُّضك لمواجهة مع «سيريوس بلاك» كنوع من رد الجميل لهذه التضحية».

ثم ابتعد تاركًا «هارى» يشعر بما لم يشعر به فى مكتب «سناب» قبل أن يصعد السلم مع «رون».. وعندما مر أمام تمثال الساحرة ذات العين الواحدة، تذكر أمر عباءة الإخفاء.. لقد كانت هناك، ولكنه لم يجرؤ على إحضارها، فقال «رون»: «لقد كان خطئى، فأنا الذى أقنعتك بالمجىء.. إن «لوبين» على حق فلم يكن علينا أن نفعل ذلك».

وتوقف عن حديثه عندما وصلا إلى الممر المواجه للوحة السيدة البدينة، وهناك وجدا «هيرميون» تسير نحوهما.

ومن أول وهلة، عرف «هارى» أنها سمعت بما حدث، فخفق

قلبه وهو يتساءل فى نفسه: «هل أخبرت الأستاذة «ماكجونجال»؟».

وقال «رون» بوقاحة: «تعالى؛ لتقدمى لنا محاضرة أم أن هناك من ستخبرينه بأمرنا؟».

أجابت وهى تحمل خطابًا بين يديها المرتعشتين: «لا.. لقد ظننت أنكما يجب أن تعرفا .. لقد خسر «هاجريد» القضية، وسيتم إعدام «باك بيك»».

* * *

١٥ مباراة «الكويدتش» النهائية

قالت «هيرميون» وهى تمسك بالخطاب: «لقد... لقد أرسل لى هذا».

وأمسك «هارى» بالرقعة فوجدها مبللة وفوقها آثار دموع «هاجريد» المتساقطة فوق الحبر مما جعل من الصعب قراءة الرسالة.

عزيزتى «هيرميون»:

لقد خسرنا، لقد سمحوا لى بإعادته إلى «هوجوورتس» حتى يتحدد موعد الإعدام.

لقد استمتع «باك بيك» بلندن، وأنا لن أنسى كل المساعدات التى قدمتِها لنا.

«هاجريد»

قال «هارى»: «لا يمكن أن يفعلوا ذلك.. لا يمكن .. إن «باك بيك» ليس خطيرًا».

قالت «هيرميون» وهى تمسح دموعها: «لقد كان لوالد «مالفوى» تأثير كبير على اللجنة، وأنت تعرفه وتعرف مدى خوفهم منه، لقد أثر عليهم. وأنا لا أرى أى أمل، فلن يتغير شىء».

ثم قال «رون» بقوة: « كلا.. هناك أمل، وليس عليكِ أن تقومى بكل العمل هذه المرة يا «هيرميون» سأساعدكِ».

ولم تصدق «هيرميون» نفسها، فأحاطت رقبة «رون» بذراعيها ثم ابتعدت قائلة: «رون.. إنني آسفة.. آسفة جدًا بشأن «سكابرز»».

فقال «رون»: «آه.. حسنًا.. لقد كان عجوزا» كان سعيدًا لأنها اعترفت بذلك، فعاد يتابع: « كما أنه كان عديم الفائدة إلى حد ما ولا أحد يعرف، فقد يرسل لى والداى بومة اليوم».

كانت احتياطات الأمن التى اتخذتها المدرسة منذ دخول «بلاك» لها مانعًا للثلاثة من زيارة «هاجريد» فى المساء، فكانت فرصتهم الوحيدة للحديث معه هى أثناء دروس العناية بالمخلوقات السحرية، وكان يبدو عليه الخوف من أثر الصدمة التى تعرض لها، وهو يقول: «كان سكوتى هو الخطأ الذى ارتكبته، لقد جلسوا هناك فى أثوابهم السوداء، وظلت مذكرات الدفاع تسقط منى، ونسيت كل شىء يا «هيرميون»، ثم نهض «لوسيوس مالفوى» وقال كلمته، وقامت اللجنة بعمل كل ما قاله..».

قال «رون»: لا تيأس «مازالت هناك فرصة، سنحاول».

وكانوا فى طريق عودتهم للقلعة عندما رأوا «مالفوى» أمامهم يسير مع «كراب» و«جويل» وهو ينظر خلفه بين حين وآخر ويضحك.

عاد «هاجريد» يقول: «لا يوجد أمل يا «رون»، إن اللجنة فى جيب«لوسيوس مالفوى» وكل ما أريده هو أن أجعله سعيدًا فى آخر أيامه..».

ثم استدار وأسرع نحو كوخه ووجهه مدفون فى منديله؛ ليخفى دموعه، وكان «كراب» و«مالفوى» و«جويل» يقفون عند باب البهو فقال «مالفوى»: «انظروا له.. هل رأيت شيئًا مثيرًا للشفقة مثل هذا؟ والمفروض أن يكون معلمنا».

وأسرع «هارى» و«رون» مع «كراب» و«جويل» أما «هيرميون» فصاحت: «حذار أن تدعو «هاجريد» بأنه مثير للشفقة أيها الشرير».

وحاول «رون» أن يبعدها، ولكنها قاومته وأخرجت عصاها السحرية، فتراجع «مالفوى» فى حين نظر له «كراب» و«جويل» فى انتظار تعليماته.. وبعد ثانية واحدة، انطلق الثلاثة إلى داخل القلعة؛ فقال «رون» فى دهشة وقلق: «هيرميون!».

فقالت «هيرميون» بصوت متحشرج: «هارى».. أرجو أن تهزمه فى نهائى «الكويدتش».. من الأفضل أن تفعل ذلك، فلن أحتمل أن يفوز «سليذرين» بالكأس.

وأسرع الثلاثة نحو فصل الأستاذ «فليتويك» الذى قال عندما فتح «هارى» الباب: «لقد تأخرتم، تعالوا بسرعة ومعكم عصيكم السحرية، فنحن نختبر تعويذة جديدة» واتجه «هارى» مع «رون» إلى منضدة فى نهاية الفصل وهموا بفتح حقائبهما قبل أن يتساءل «رون» وهو ينظر خلفه: «أين ذهبت «هيرميون»؟».

نظر «هارى» حوله وحدق فى «رون»: «ربما... ربما ذهبت إلى دورة المياه».

ولكن «هيرميون» لم تعد إلى الدرس مرة أخرى.

واتجه التلاميذ لتناول الغداء بعد الدرس وقد علا وجوههم السرور بسبب التعاويذ المبهجة التى كانوا يجربونها، فقال «رون»: «ربما نقابلها على الغداء».

ولكن «هيرميون» لم تحضر الغداء، وعندما بدأا فى تناول فطيرة التفاح كانت آثار ما بعد التعويذة المبهجة قد بدأت فى التلاشى، وبدأ القلق يتزايد داخل كل من «رون» و«هارى»، فقال «رون» وهو يسرع نحو برج «جريفندور»: «هل تظن أن «مالفوى» قد سبب لها مكروهًا؟»، ووصلا إلى لوحة السيدة البدينة وعبراها بعد أن نطقا بكلمة السر إلى الحجرة العامة ليجدا «هيرميون» نائمة فوق منضدة، ورأسها مستند إلى كتاب مفتوح، وذهبا ليجلسا إلى جوارها وربت «هارى» على كتفها برفق ليوقظها فنهضت سريعًا: «و.. ماذا؟ هل حان الوقت؟ أى درس سنذهب إليه الآن؟».

أجاب «هارى» «تنبؤ.. ولكن ليس قبل عشرين دقيقة، لماذا لم تحضرى درس التعاويذ يا «هيرميون»؟».

أجابته سريعًا: «ماذا؟ آه .. لا.. لقد نسيت».

عاد «هارى» يقول: «ولكن كيف تنسين؟ لقد كنتِ معنا حتى باب الفصل!».

صاحت «هيرميون»: «لا.. لا أصدق.. هل كان الأستاذ «فليتويك» غاضبًا؟.. آه.. لقد.... «مالفوى».. كنت أفكر به ونسيت أشياء كثيرة».

قال «رون» وهو ينظر إلى الكتاب الضخم الذى كانت تستخدمه كوسادة لتوها: «أتعلمين يا «هيرميون»؟ أظن أنك تجهدين نفسك وتبذلين جهدًا كبيرًا».

قالت وهى تبحث عن حقيبتها: «لا.. كان خطأ منى، وهذا كل شىء.. من الأفضل أن أذهب لمقابلة الأستاذ «فليتويك» وأعتذر له.. أراكما فى الدرس القادم».

ولحقت بهما «هيرميون» بالفعل وهما يصعدان إلى فصل الأستاذة «تريلاونى» وقد بدا عليها الإرهاق الشديد وهى تقول: «أنا لا أصدق أننى تركت درس التعاويذ المبهجة، وأراهن أنه سيكون ضمن الامتحان».

وصعدوا السلم معًا حتى وصلوا إلى حجرة البرج ليجدوا كرة زجاجية على كل منضدة يملؤها ضباب أبيض، فجلس ثلاثتهم على نفس المنضدة، وقال «رون» وهو يراقب الأستاذة «تريلاونى»: «أظن أن الكرات البللورية ضمن منهج الفصل الدراسى القادم»، تمتم «هارى»: «لا تشكُ فهذا يعنى أننا أنهينا دراسة الكف، لقد كنت أرتجف فى كل مرة تمسك بيدى».

وظهر صوت الأستاذة «تريلاونى» وهى تخرج بهذا الشكل الدرامى من وسط الضباب: «يومًا طيبًا يا صغارى»، وبدا الانبهار على وجه كل من «بارفاتى» و«لافندر» وهما يشاهدانها وهى تتابع: «لقد قررت أن أقدم الكرات البللورية مبكرًا قليلاً عما كنت أخطط له»، واتجهت إلى مقعدها المواجه لنار المدفأة؛

لتقول: «لقد علمت أن الكرات ستكون ضمن امتحانكم فى شهر يونيو، وأنا شغوف بتقديم تدريب كافٍ».

قالت «هيرميون» دون أن تهتم بخفض صوتها: «حسنًا.. لقد علمت.. من الذى يضع الامتحان إذن.. يا له من تنبؤ مدهش!».

ومن الصعب أن تعرف إذا كانت الأستاذة «تريلاونى» قد سمعتها أم لا، فقد كان وجهها مختفيًا، ولكنها تابعت كما لو أنها لم تسمع شيئًا: «إن النظر فى الكرات البللورية فن رفيع ولا أتوقع نجاح أحدكم فى رؤية شىء من البداية؛ ولذلك فسنبدأ بالتدريب على الاسترخاء وإراحة العين الخارجية؛ حتى تتمكن العين الداخلية من الرؤية وإذا كنا محظوظين؛ فسيرى البعض قبل نهاية الدرس».

كان «هارى» يشعر بالحماقة وهو ينظر نحو الكرة البللورية الخالية؛ محاولاً إبعاد أى أفكار عن رأسه ولكن هذا لم يفلح؛ بسبب أصوات «رون» و«هيرميون»؛ فتساءل: «هل رأيتما أى شىء؟» كان قد مر نحو ربع ساعة من الحملقة فى هذه الكرة، فقال «رون» ساخرًا: «نعم.. هذه المنضدة تحترق».

ثم همست «هيرميون»: «هذه مضيعة للوقت، لقد كان من الممكن أن أتدرب على شىء مفيد أكثر من ذلك».

وصدر صوت الأستاذة «تريلاونى»: «هل هناك من يريد مساعدتى فى تفسير هذه الظلال التى تظهر فى الكرة؟».

رد «رون» : «أنا لا أريد مساعدة، فالأمر واضح.. سيكون هناك الكثير من الضباب الليلة».

وانـفـجـر الـثـلاثـة ضـاحـكين، فـاتجـهت أنـظـار الجمـيـع نـحـوهـم وقـالـت الأسـتــاذة «تـريـلاونـى»: «إنـكـم تـفـسـدون اهـتـزازات الاستبصار هكذا»، ثم اقتربت من منضدتهم ومالت نحو كرتهم، فشعر «هارى» بخفق قلبه؛ فقد كان يعلم ما سيحدث.

وبالفعل همست الأستاذة «تريلاونى»: «هناك شىء.. ما هذا؟ شىء يتحرك.. ولكن ما هو؟».

وكان «هارى» على استعداد أن يراهن بكل شىء لديه حتى عصا مكنسته الجديدة أنها لن تكون أخبارًا طيبة.

وتمعنت الأستـاذة بـعـمـق، ثـم نـظـرت نـحـو «هـارى» قـائـلـة: «عزيزى.. إنه هنا وأوضح من ذى قبل. إنه يتقدم نحوك ويقترب.. إنه الآ...».

وهنا صاحت «هيرميون»: «آه.. أرجوك ليس هذا الكلب الأسود السخيف مرة أخرى!».

ورفعت الأستاذة «تريلاونى» عينيها نحو «هيرميون» فى حين همس «بارفاتى» بشىء ما إلى «لافندر» قبل أن يحملقا بدورهما فـى «هيرمـيـون» ونـهـضت الأسـتـاذة «تـريـلاونـى» تـتـفـحص «هيرميون» بغضب واضح، ثم قالت: «أنا آسفة أن أقول إنه عند وصولك إلى هذا الفصل يا عزيزتى كان واضحًا أنك لا تملكين ملكة فن التنبؤ الرفيع، فى الحقيقة أنا لا أذكر تلميذًا عقله بهذه السطحية».

وفاتت دقيقة من الصمت ثم...

نهضت «هيرميون» ودست كتاب «توضيح المستقبل» في حقيبتها قائلة: «حسنًا.. حسنًا»، ثم دفعت «رون» حتى كاد أن يسقط من فوق مقعده متابعة: «أنا أستسلم.. سأغادر المكان». ولدهشة الجميع، فقد توجهت «هيرميون» إلى الباب وركلته بقدمها وهبطت السلم مبتعدة عن المكان.

واستغرق الأمر بضع دقائق حتى يعود التلاميذ إلى سابق هدوئهم، وبدا أن الأستاذة «تريلاوني» قد نسيت كل شيء عن ذلك الكلب، فابتعدت عن مائدة «رون» و«هاري» وهي تتنفس بقوة، وفجأة، صاح «لافندر»: «أوه.. أستاذة «تريلاوني».. لقد تذكرت لتوي، لقد رأيتها تغادر المكان.. أليس كذلك؟ عند عيد الفصح سيغادر أحدنا المكان للأبد! لقد قلت ذلك منذ وقت طويل».

ابتسمت الأستاذة، ثم قالت: «نعم يا عزيزي، لقد كنت أعرف أن الآنسة «جرانجر» ستتركنا..».

بدا الانبهار الشديد على كل من «بارفاتي» و«لافندر» وغادرا مكانيهما حتى يقتربا منها، وعاد «هاري» ينظر إلى الكرة البللورية ولا يرى سوى ذلك الضباب الأبيض فتساءل في نفسه: هل حقًا رأته؟ هل سيتعرض لذلك المصير؟ إن آخر شيء كان يحتاجه هو حادث جديد مع اقتراب المباراة النهائية.

لم تكن إجازات عيد الفصح مريحة بالمرة، فلقد كان لدى تلاميذ الصف الثالث الكثير من الواجبات للقيام بها وبدا الجميع في غاية الضجر.. وصاح «سيموس فينيجان» في وسط الحجرة

العامة: «أتطلقون على هذا اسم إجازة؟ إن الامتحانات مازالت بعيدة، فلماذا كل ذلك؟»».

ولكن لم يكن أحد لديه كمٌّ من العمل مثل «هيرميون» حتى بدون مادة التنبؤ، فلقد كانت موادها الدراسية أكثر من أى أحد، فكانت دومًا آخر من يغادر الحجرة العامة فى المساء وأول من يصل للمكتبة فى الصباح التالى وأصبح لها ظلال أسفل عينيها مثل «لوبين»، وكل من يراها يظن أنها كانت على وشك البكاء.

أما «رون»، فقد أبدى اهتمامًا غير عادى بقضية «باك بيك» فعندما لا يكون لديه ما يعمله يتجه إلى كتب مثل «علم نفس الهيبوجريف» و«دراسة فى وحشية الهيبوجريف» ويقرؤها باهتمام شديد حتى أنه نسى أمر «كروكشانكس» وما فعله.

أما «هارى»، فكان عليه الانتهاء من واجباته مع المواظبة على تدريبات الكويدتش يوميًّا هذا بخلاف النقاش اليومى حول التخطيط مع «وود».. كانت المباراة قد تحدد لها يوم السبت التالى لإجازات عيد الفصح، وكان فريق «سليذرين» يتصدر المسابقة بفارق مائتى نقطة، وهو ما يعنى - كما كان «وود» يذكر لاعبى فريقه باستمرار - أن فريق «جريفندور» يجب أن يفوز بالمباراة بفارق أكبر من ذلك: حتى يفوز بالكأس.

وهو ما يعنى أيضًا أن عبء الفوز يقع على عاتق «هارى»؛ لأن إمساكه بالكرة يعنى الفوز بمائة وخمسين نقطة، وهو ما جعل «وود» يقول له باستمرار: «لذلك، فكل ما عليك هو الإمساك بها

إذا كان فريقنا متقدمًا بأكثر من خمسين نقطة، فقط لو كنا أكثر من خمسين نقطة يا «هارى» وإلا فزنا بالمباراة وخسرنا الكأس.. كل ما عليك هو الإمساك بالكرة إذا كنا...».

فيصيح «هارى»: «أعرف يا «أوليفر»».

وكان جميع تلاميذ «جريفندور» فى غاية الاهتمام بالمباراة فهم لم يفوزوا بالكأس منذ عهد اللاعب الأسطورى «شارلى ويزلى» الذى كان يلعب فى مركز الباحث، ولكن «هارى» كان يشك فى أن يكون هناك من لديه رغبة قوية فى الفوز مثله، وقد كانت العلاقة بينه وبين «مالفوى» تمر بأحرج أوقاتها، فمن ناحية كان «مالفوى» يذكر حادث قذف الطين على رأسه فى «هوجسميد» أما «هارى» فلم ينس ما حاول «مالفوى» عمله فى المباراة الأخيرة ضد فريق «رافنكلو» ولكن حادث «باك بيك» كان أكثر ما يحفز رغبة «هارى» فى الفوز عليه أمام كل المدرسة.

ولا يذكر أحد اقتراب مباراة نهائية فى مثل هذا الجو المشحون، فمع انتهاء الإجازة وصلت حدة التوتر بين الفريقين إلى ذروتها وكان «هارى» أكثر من يعانى فى هذا الجو المشحون، فلم يكن ينتقل فى أحد الممرات إلا ويتحرش به تلاميذ «سليذرين» ويحاولون عرقلته، هذا بخلاف «كراب» و«جويل» اللذين كانا يتبعانه بمضايقاتهما أينما ذهب؛ مما جعل «وود» يصدر تعليماته بأن يصطحب أحدهم «هارى» أينما ذهب حتى لا يحاول تلاميذ «سليذرين» التحرش به وإيذاءه، ونالت الحماسة

من جميع التلاميذ؛ مما أدى إلى تأخر «هارى» على جميع دروسه بسبب أنه كان دومًا يسير وسط زحام من زملائه، ومن جانبه فقد كان «هارى» مهتمًا بسلامة عصاه الجديدة أكثر من سلامته هو شخصيًا؛ فحين لا يستخدمها يضعها بحرص فى صندوقه وكان يعود للبرج بين الحين والآخر؛ ليتأكد من وجودها.

وفى ليلة المباراة، لم يهتم أحد بأى عمل عادى حتى «هيرميون» تركت كتبها قائلة: «لا أستطيع أن أركز».

فقد كانت هناك جلبة كبيرة بذل معها الصبية المثاليون جهدًا مضاعفًا للسيطرة عليها.. أما «أوليفر وود»، فقد انزوى فى أحد الأركان ممسكًا بنموذج مرسوم لملعب «الكويدتش» وهو يتمتم لنفسه.. أما «هارى»، فقد كان يجلس مع «رون» و«هيرميون» يفكرون فى الغد ويتناقشون فى خوف «هارى» من المباراة، فقالت «هيرميون»: «سيكون كل شىء على ما يرام».

وقال «رون»: «إنك تملك السهم النارى!»، فأجاب «هارى» وهو يشعر بتقلص معدته: «نعم»، وجاء الأمر كالنجدة له عندما صاح «وود» من مكانه: «أعضاء الفريق يجب أن يناموا الآن» ولم ينم «هارى» جيدًا فى هذه الليلة، لقد حلم أنه تأخر فى نومه، وأن «وود» كان يصيح: «أين كنت؟ لقد اضطررنا للاستعانة بـ «نيفيل» بدلاً منك، ثم حلم أن «مالفوى» وباقى أعضاء «سليذرين» وصلوا إلى المباراة، وكل منهم يركب تنينًا، أما هو فقد كان يحاول الفرار من لهب التنين الذى يركبه «مالفوى»

عندما اكتشف أنه نسى أن يحضر السهم النارى معه، وسقط من أعلى ليستيقظ فزعًا.

ومضت بضع ثوانٍ قبل أن يدرك «هارى» أن المباراة لم تبدأ بعد، وأنه آمن بفراشه، وأن فريق «سليذرين» لن يصرح لهم باستخدام التنين فى الملعب، وكان يشعر بالعطش الشديد.. وبمنتهى الهدوء، خرج من مكانه وذهب ليصب لنفسه بعض الماء من جانب النافذة، فوجد الهدوء مخيمًا على المكان حتى الرياح كانت ساكنة كما لو أن كل شىء يوحى بأن ظروف المباراة مواتية تمامًا ومثالية، وأعاد الكوب الفضى إلى مكانه. وكان على وشك أن يستدير ويعود إلى فراشه عندما رأى ظل حيوان على جانب الكوب، فأسرع نحو النافذة وهو يخشى أن يكون ذلك هو الكلب الأسود الذى أخبرته به «تريلاونى».. فليس الآن.. ليس قبل المباراة.

راح يدور بعينيه فى المكان، حتى رآه عند حافة الغابة، وبالطبع لم يكن الكلب، وتنهد «هارى» فى راحة عندما رأى ذلك الذيل المميز.. لقد كان «كروكشانكس» ولكن.. هل كان «كروكشانكس» فقط؟ واقترب من زجاج النافذة مرة أخرى.

كان واثقًا أنه رأى شيئًا آخر يتحرك وسط ظلال الأشجار، كلبًا أسودَ عملاقًا يسير بين الأشجار وبجواره «كروكشانكس»، ماذا يعنى ذلك؟ فإذا كان «كروكشانكس» يستطيع رؤيته، فكيف يكون نذيرًا بموت «هارى»؟

وهمس «هارى»: ««رون».. «رون».. استيقظ».

- «هـارى؟».

- أريد أن تخبرنى إن كنت ترى شيئًا».

غـمـغـم «رون» بصـوت نـاعس: «إن المكـان مـظـلـم تمامًـا يـا «هـارى».. مـاذا تريد؟».

أجاب «هـارى»: «هنـا..».

وعـاد ينظر من النـافذة ليجد أن «كروكشانكس» وذلك الكلب قد اختفيا، فراح يبحث عنهما وسط ظلال الأشجار.. أين ذهبا؟

ووسط تساؤلاته أخبره صوت تنفس «رون» المرتفع أنه عاود النوم مرة أخرى.

وفـى الـيـوم الـتـالى، دخـل «هـارى» مـع بـاقـى أعضـاء فـريـق «جريفندور» إلى البهو العظيم ليقابَلوا بتصفيق كبير، ولم يصدق «هـارى» نـفسـه عـنـدمـا رأى تـلاميـذ «هـافلبـاف» و«رافنكلو» يصفقون معهم، أمَّا تلاميذ «سليذرين» فقد راحوا يتهامسون عندما مروا بجوار منضدتهم، ولاحظ «هـارى» أن «مالفوى» كان أكثر شحوبًا من ذى قبل.

وقضـى «وود» طـوال وقت الإفـطـار يـدعـو أعضـاء فـريقـه إلى تناول الطعام دون أن يمس هو أى شيء، وبعد انتهاء الإفطار أسرع إلى الملعب، فكان أول من وصل إليه حتى يتصور ظروف المباراة، وعند مغادرتهم البهو العظيم راح الجميع يصفقون من جديد، وقـابـل «هـارى» «تشو تشانج» التـى حيتـه قـائـلـة: «حظ سعيد.. لا توجد رياح اليوم والشمس مشرقة وهذا قد يعوق رؤيتك

فاحترس.. إن الأرض جفت وهذا سيعطيك قوة الانطلاق».. وشعر «هاری» بالدماء تتصاعد إلى وجنتيه، وكان «وود» فى الملعب، ومن خلفه باقى الفريق حتى رأوا الأبواب الأمامية للقلعة تفتح، ويخرج منها باقى التلاميذ فصاح: «إلى غرف تبديل الملابس».

ولم يتكلم أحد أثناء ارتداء ملابس اللعب، وبعد قليل قال «وود»: «حسنًا.. لقد حان الوقت.. هيا بنا».

ووصلوا إلى الملعب وسط موجة من الضجيج، وكان ثلاثة أرباع المتفرجين يحملون أعلام «جريفندور» مع ذلك الأسد وسطها، ويحملون اللافتات التى كتب فوقها عبارات التشجيع للفريق. وخلف مرمى فريق «سليذرين» كان هناك مائتا شخص يرتدون سترات خضراء ويحملون أعلام فريقهم، وفى الصف الأمامى جلس الأستاذ «سناب» مرتديًا زيًّا أخضر مثل الجميع، وعلى وجهه ابتسامة رزينة.

وصاح «لى جوردان» الذى يقوم بدور المعلق كالمعتاد: «وها هو فريق «جريفندور»: «بوتر» .. «بيل».. «جونسون».. «سبينيت».. «ويزلى».. «ويزلى».. و«وود».. أفضل مجموعة شهدتها «هوجوورتس» فى السنوات القليلة الماضية».

وبالطبع، فقد قوبل هذا المديح باعتراض مشجعى «سليذرين» حتى قال «جوردان»: «وها هو فريق «سليذرين» بقيادة كابتن «فلينت» الذى أجرى بعض التعديلات بالتشكيل توحى باهتمامه بالحجم أكثر من المهارة..».

وعادت أصوات مشجعى «سليذرين» تعترض على ما يقوله بصيحاتها، وكان «مالفوى» هو أصغر أعضاء الفريق حجمًا».

وصاحت مدام «هوتش»: «قائدا الفريقين تصافحا».

واقترب «فلينت» و«وود» من بعضهما وتصافحا بقوة كما لو كان كل منهما يحاول تحطيم أصابع الآخر.

وعادت مدام «هوتش» تصيح: «استعدوا مع عصيكم.. ثلاثة.. اثنان.. واحد..».

وارتفع صوت الصافرة وسط صيحات الجمهور، عندما ارتفعت عصى اللاعبين عن الأرض، وشعر «هارى» بالهواء يلفح وجهه فنظر حوله ليرى «مالفوى» خلفه باحثًا عن الكرة، وارتفع صوت «جوردان»: «فريق «جريفندور» مستحوذ على الكرة و«الكوافل» مع «إليسيا» «سبينيت» فى اتجاه مرمى فريق «سليذرين» و.. آه.. لقد قطعها «وارينجتون» من فريق «سليذرين» وها هو «چورچ ويزلى» يقطعها مرة أخرى وتعود إلى «جريفندور» هيا يا «إنجيلينا».. وها هى .. عشر نقاط.. لا شىء لـ «جريفندور»!».

وبعد دقيقة أخرى، كادت «إنجيلينا» تسقط من فوق عصاها عندما اصطدم بها «ماركوس فلينت» الذى اعتذر قائلاً: «آسف».. وصاح الجمهور بسبب ذلك، فعاد يقول: «آسف.. أنا لم أرها».

فصاحت مدام «هوتش»: «ضربة جزاء لصالح «جريفندور».. وضربة أخرى لصالح «سليذرين»، وبالطبع اعترض لاعبو «سليذرين» على الحكم حتى توجهت «إليسيا»؛ لتنفيذ ضربة

الجزاء وبالفعل سجلتها، فصاح «جوردان»: «نعم.. لقد سجلتها.. عشرون مقابل لا شيء»، واستدار «هارى» بعصاه بحدة ليرى «فلينت» الذى كان لا يزال ينزف بعدما اصطدمت برأسه عصا «فريد ويزلى» ثم انطلق إلى المرمى ليرى.. «حارسًا متميزًا.. وها هى ضربة قوية وصعبة.. صعبة للغاية.. نعم.. أنا لا أصدق.. لقد أنقذها!».

وعاد «هارى» إلى مكانه شاعرًا بالارتياح وهو يبحث عن الكرة حوله محاولاً تجنب محاولات «مالفوى» للاستيلاء عليها حتى يحصل فريق «جريفندور» على خمسين نقطة أو أكثر، عاد «جوردان» يقول: ««جريفندور» مستحوذ على الكرة.. لا.. أصبح فريق «سليذرين» هو المستحوذ.. لا.. عاد «جريفندور» يستحوذ وها هى الكوافل مع «كاتى بيل».. ولكن «الكوافل» صدم رأس «كاتى» التى فقدت توازنها فى الهواء وحاولت البقاء فوق عصاها، ولكنها فقدت الكوافل لترتفع صافرة مدام «هوتش» التى راحت تصرخ فيها، وبعد دقيقة أخرى، سجلت «كاتى» ضربة جديدة، كان «هارى» يشعر بإثارة شديدة، كان يرى الكرة الذهبية بجوار المرمى، ولكنه لا يجب أن يتقدم نحوها حتى الآن ولو رآها «مالفوى».

وبحركة خداع ذكية، أسرع «هارى» نحو مرمى فريق «سليذرين» وبالفعل نجحت خطته، فقد أسرع «مالفوى» خلفه وهو يفكر أن «هارى» قد رأى الكرة الذهبية.. وفجأة، شعر

«هـاری» أن «بلادجر» يمر بجانبه موجهًا من «تيريك» ضارب فريق «سليذرين» العملاق، فأفلت منها «هاری» فی آخر لحظة.. وبعدها شعر بواحدة أخرى موجهة من «بول» ضارب «سليذرين» الآخر فارتفع «هاری» لأعلى مغيرًا اتجاهه، فارتبك كل من «ديريك» و«بول» وكادا أن يصطدما ببعضهما البعض.

صاح «جوردان»: ها.. ها!!! صبيان سيئان.. ستحتاجان إلى الاستيقاظ مبكرًا حتى تستطيعا هزيمة سهم نارى! وها هو «جريفندور» يستحوذ مرة أخرى عندما حصل «جونسون» على «الكوافل».. ولكن .. ها هو «فلينت»، لقد استحوذ عليها واتجه نحو مرمى «جريفندور».. هيا.. «وود».. تصدى لـ...».

ولكن «فلينت» سجل؛ فخمدت صيحات مشجعى «جريفندور» وثارت صيحات مشجعى «سليذرين»، ولم يتمالك «جوردان» نفسه مما أدى إلى إبعاد الأستاذة «ماكجونجال» لمكبر الصوت السحرى عنه، فاعتذر قائلاً: «آسف يا أستاذة.. لن يحدث ذلك مرة أخرى.. حسنًا.. لقد أصبحت النتيجة تقدم «جريفندور» بثلاثين نقطة مقابل عشر نقاط لفريق «سليذرين».

بدأت المباراة تتحول إلى مباراة خشنة، فلاعبو «سليذرين» لجأوا إلى أساليب غير شريفة فى اللعب، وبالطبع فقد اضطر لاعبو «جريفندور» الرد عليهم، واختفت الكرة الذهبية مرة أخرى وظل «هاری» مترقبًا لها، حتى سجلت «كاتى» عشر نقاط؛ لتصبح النتيجة خمسين نقطة مقابل عشر نقاط لصالح

«سـلـيـذريـن»، وزادت صـيـحـات الجمـاهير حـتـى استـطـاعت «إنجيلينا» تسجيل عشر نقاط أخرى لتصبح النتيجة ستين مقابل عشر، ولـكـن بـعـد دقـائق، استطـاعت «إلـيسيـا» الاستيـلاء عـلـى «الكوافل» بعد ارتدادها من «فريد ويزلى» وسجلت عشر نقاط أخرى؛ لتصبح النتيجة سبعين مقابل عشر.

وارتفع صوت صيحات مشجعى «جريفندور» أكثر، لقد أصبح «جريفندور» متقدمًا بفارق ستين نقطة، ولو استطاع «هـارى» الإمسـاك بـالـكـرة الآن فستصبـح الـكأس من نصيبهم، وكـان «هـارى» يشعر بمئات العيون التى تتبعه وهو يدور فى الملعب، ومن خلفه «مـالـفوى» حتى رآهـا.. لقد كـانت تلمـع فوق رأسه بـعشريـن قدمًـا، فـانـطلـق «هـارى» وهـو يسمـع صـوت الـهـواء فى أذنيه من فرط سرعته، ومد يده، ولكن فجأة شعر أن عصا السهم النارى بدأت تبطئ، فنظر حوله فى فزع ليجد «مالفوى» ممسكًا بذيل عصاه ويجذبها للخلف.

وكـان «هـارى» فـى شدة الـغضب لـدرجـة أنـه حـاول ضـرب «مـالفوى»، ولكنه لم يستطع أن يصل إليه، ورغم الإجهاد الذى نال من «مالفوى» فإن عينيه كانتا لا تزالان تلمعان فى شراسة، فقد استطاع أن يفعل ما يريده.. لقد اختفت الكرة مرة أخرى..

وصاحت مدام «هوتش» فى غضب: «ضربة جزاء.. ضربة جزاء لصالح «جريفندور». أنا لم أرَ مثل هذه الأساليب من قبل».

وراح «جوردان» يصيح فى غضب: «أنت تغش أيها الوغد.. أيها الـ...».

ولم تهتم الأستاذة «ماكجونجال» بأن تشير له بأن يصمت، فقد كانت تلوح بقبضتها نحو «مالفوى» وقد سقطت قبعتها وهى تصيح بدورها بشراسة.

وتصدت «إليسيا» لضربة الجزاء ولكن شدة غضبها جعلتها تخطئ الهدف ببضع أقدام، لقد بدأ لاعبو «جريفندور» يفقدون تركيزهم أما لاعبو «سليذرين» فقد ارتفع أداؤهم بسبب الخطأ الذى ارتكبه «مالفوى»، فعاد «جوردان» يقول: «سليذرين» مستحوذ، ويتجه نحو المرمى، وها هو «مونتاج» يسجل النتيجة الآن سبعين مقابل عشرين.

الآن، أصبح «هارى» ملاحقًا لـ «مالفوى» فى كل مكان فصاح: «ابتعد ابتعد يا «بوتر»» ولكنه لم يستطع الإفلات منه.

عاد صوت «جوردان» يرتفع: «لقد حصلت «إنجيلينا جونسون» على «الكوافل» وها هى تتقدم هيا يا «إنجيلينا».. هيا.

وعندما نظر «هارى» حوله وجد كل لاعبى «سليذرين» ما عدا «مالفوى» يسرعون فى اتجاه «إنجيلينا» ليسدوا أمامها الطريق، وفكر «هارى» سريعًا، فانطلق بأقصى سرعة فى اتجاههم، وكان أزيز سرعة عصاه سببًا فى تفوقهم وإبعادهم عن طريق «إنجيلينا» فعاد «جوردان» يصيح: «ها هى تسجل.. ها هو «جريفندور» يتقدم بثمانين نقطة مقابل عشرين نقطة لصالح «سليذرين».

وعاد «هارى» لمنتصف الملعب وهو يشعر بالسعادة ولكنه لم

يلبث أن رأى ما جعل قلبه يخفق بشدة.. لقد رأى «مالفوى» يهبط لأسفل وعلى وجهه نظرة انتصار، وعلى بعد خطوات كان هناك ذلك البريق الذهبى، وبالفعل انخفض «هارى» بعصاه متجهًا نحوه، ولكنه كان بعيدًا، فراح يحفز نفسه صائحًا: «هيا.. هيا.. هيا»، ثم مال بعصاه ليهرب من «بلادجر» كاد أن يصدمه وقد اقترب من «مالفوى» ودفع نفسه؛ للأمام ليزيح ذراع «مالفوى» و...

«نعم!».

ونهض ليرى الملعب يكاد ينفجر، والكرة الذهبية بين يديه وهى تخفق بجناحيها الصغيرين.

ورأى «وود» يسرع نحوه، والدموع تغرق عينيه، وما إن وصل إليه حتى عانقه بقوة وشعر «هارى» بكل من «فريد» و«چورچ» خلفه، ومن حوله أصوات كل من «إنجيلينا» و«كاتى» و«إليسيا»: «لقد فزنا بالكأس.. فزنا بالكأس.. فزنا بالكأس!».

ثم راح الجميع يصيحون فى فرح شديد، ومن حولهم بدأت موجات المتجهين تندفع نحوهم وأيديهم على ظهورهم. وشعر «هارى» بالارتباك وسط كل هذه الصيحات حتى حملهم المشجعون على أكتافهم، ونحو اليمين رأى «هاجريد» يصيح: «نعم.. نعم يا «هارى».. اهزمهم.. انتظر حتى أخبر «باك بيك»..».

وفى الجانب الآخر، وجد «بيرسى» يقفز فى فرح حقيقى وقد نسى كل شىء عن مظهره ووقاره، أما الأستاذة «ماكجونجال»

فكانت تبكى أكثر من «وود» وتمسح عينيها باستخدام أحد أعلام «جريفندور» العملاقة، وهناك كان «رون» و«هيرميون» يحاولان الوصول له وسط كل هذا الزحام، وقد خانتهما الكلمات وهما يشاهدان «هارى» يتجه نحو «دمبلدور» الذى وقف منتظرًا مع كأس كويدتش العملاقة، وما إن حملها «وود» حتى مررها إلى «هارى» الذى ما إن حملها حتى شعر أنه يستطيع أن يقدم للعالم أفضل تعويذة تقضى على أى حارس يظهر فى مواجهته.

* * *

١٦ نبوءة الأستاذة «تريلاونى»

استمر الاحتفال بـ«هارى» والفوز بالكأس أسبوعًا على الأقل، حتى بدا الطقس وكأنه يحتفل بالفوز، فمع اقتراب شهر يونيو أصبح الجو مشرقًا واختفت الغيوم وشعر الجميع برغبة فى اللعب خارج الفصول والاستمتاع بمشاهدة البحيرة، ولكنهم لم يستطيعوا ذلك؛ فقد اقتربت الامتحانات وبدلاً من التسكع فى الخارج كان عليهم البقاء داخل القلعة وإجبار عقولهم على التركيز فى المذاكرة رغم نسيم الصيف الذى يمر عبر النوافذ، حتى «چورچ» و«فريد» كانا يعملان، أما «بيرسى» فكان يستعد للاختبار المؤهل لأعلى شهادة دراسية تعتمدها «هوجوورتس»، فقد كان يحلم بالعمل فى وزارة السحر وهو ما يتطلب درجات مرتفعة للغاية؛ فأصبح جادًا ويعاقب كل من يُخرج الحجرة العامة عن هدوئها بعقوبات شديدة، ولكن الحقيقة أن الشخص الوحيد الذى يفوق «بيرسى» فى حرصه على التفوق هو «هيرميون».

وقد اقتنع «هارى» و«رون» بعدم جدوى سؤالها عن كيفية حضورها لأكثر من فصل فى وقت واحد، لكنهما لم يصدقا ذلك الجدول الذى صممته لنفسها فى الامتحانات، فقد كان العمود الأول يقول:

الأحد:

الساعة ٩ فلك

الساعة ٩ تحوّل

غداء

الساعة ١ تعاويذ

الساعة ١ رموز قديمة

فتساءل «رون» قائلاً: «هيرميون.. هل أنت واثقة من أن هذه المواعيد صحيحة؟».

صاحت فيه رغم أنه كان يتكلم بحذر؛ خشية إزعاجها: «ماذا؟ نعم.. بالتأكيد».

فقال «هارى»: «وكيف ستؤدين امتحانين فى وقت واحد؟».

أجابته: «هل قرأ أحد منكما كتاب دراسة معانى الأعداد السحرية؟».

أجابها: «رون»: نعم.. لقد استعرته من قبل».

وقاطعها وصول «هيدويج» وفى منقارها رسالة مطوية، تناولها «هارى» وفضها قائلاً: «إنها من «هاجريد».. لقد تحدد اليوم السادس لإعدام «باك بيك»».

فقالت «هيرميون» وهى تبحث عن أحد كتبها: «إنه اليوم الذى سننهى فيه امتحاناتنا»، وتابع «هارى» قراءة الخطاب: «سيحضرون للتنفيذ واحدًا من وزارة السحر ومنفذ الحكم»، ونظرت له «هيرميون» دون أن تنطق لوهلة، ثم قالت: «هل أحضروا منفذ الحكم، هذا يبدو كما لو كانوا قد قرروا التنفيذ».

أجاب «هـارى» بـهدوء: «نعم.. لقد قرروا».

صـاح «رون»: «لا يمكن.. لقد قضيت وقتًا طويلاً فى القراءة من أجله ولا يمكن أن يتجاهلوا كل ذلك!».

ولكن «هـارى» كان لديه شعور مرعب أن اللجنة قررت ذلك بـالفعل تحت تـأثير السيد «مـالفوى»، فقد لاحظ أن «دراكو» قد استعاد بعض نشاطه منذ صمته المستمر الذى أصابه بعد فوز «جريفندور»، فكانت تعليقاته التى يلقيها على مسامع «هـارى» تؤكد أنه عرف أن مسألة «باك بيك» قد انتهت وأنه سيُعدم، ولاشك أنه كان فخورًا بنفسه بعد ما فعله، وكل ما استطاع «هـارى» أن يفعله هو محاولة تجنب لكْم «مالفوى» فى وجهه، مثلما فعلت «هيرميون» من قبل، وكان أسوأ ما فى الأمر هو أنهم لم يملكوا الوقت الذى يستطيعون فيه الذهاب لزيارة «هاجريد» وذلك بسبب إجراءات الأمن الصارمة الجديدة، وبالطبع فإن «هـارى» لم يكن يجرؤ على الذهاب لإحضار عباءة الإخفاء من أسفل تمثال الساحرة ذات العين الواحدة.

بدأ أسبوع الامتحانات وعم صمت غير طبيعى القلعة وأنهى الصف الثالث امتحان التحول فى وقت الغداء وراحوا يناقشون النتائج وصعوبة الأسئلة التى تضمنت تحويل براد شاى إلى سلحفاة، وراحت «هيرميون» تحكى عن سلحفاتها وكيف كانت رائعة، وكان من أقوالهم: «هل تتنفس السلحفاة البخار؟».

لقد ظلت بغطاء البراد بدلاً من القشرة.. هل تظن أن درجاتى ستقل بسبب ذلك؟».

وبعد الغداء، عاد الجميع إلى أعلى من أجل امتحان التعاويذ، وكانت «هيرميون» على حق، فقد اختبرهم الأستاذ «فليتويك» فى التعاويذ المبهجة واستطاع «هارى» أن ينفذ تعويذته بالكاد. أما «رون» الذى كان يشاركه، فقد انتهى به الأمر إلى ضحك هيستيرى، واضطر إلى الدخول فى حجرة خالية لمدة ساعة قبل أن يعود لتنفيذ تعويذته.. وبعد العشاء، أسرع التلاميذ إلى الحجرات العامة ليس من أجل الراحة وإنما لمراجعة مادة العناية بالمخلوقات السحرية والوصفات والفلك.

وكان «هاجريد» فى حالة غير طبيعية أثناء الامتحان، وكل ما فعله هو تقديم مجموعة من كائنات «فلوبر وورم» وإخبار التلاميذ بأن كل ما عليهم هو الاحتفاظ بها على قيد الحياة لمدة ساعة، وبالطبع فقد كان أسهل امتحان مروا به كما أنه منح كلاً من «هارى» و«رون» و«هيرميون» فرصة الحديث مع «هاجريد» الذى قال لهم: إن «باك بيك» يشعر بالاكتئاب.. لقد تعاونّا معًا ولكن، سنرى بعد غد بطريقة أو بأخرى».

وكان هناك امتحان وصفات بعد الظهر الذى كان كارثة مقارنة بذلك الاختبار الذى قدمه لهم «هاجريد»، ولم يستطع «هارى» تنفيذ وصفته، فوقف «سناب» يشاهده بسعادة غامرة، ثم خطّ شيئًا يشبه الصفر على ورقته قبل أن يبتعد. أما اختبار الفلك،

فكان فى منتصف الليل وعلى قمة أبراج القلعة. أما يوم الأربعاء، فكان موعد تاريخ السحر واستطاع «هارى» أن يكتب كل شىء أخبره به «فلورين فورتيسيكو» عن ساحرات العصور الوسطى، وبعد ظهر نفس اليوم، عادوا إلى الحجرة العامة مرة أخرى. وفى صباح يوم الخميس، كان موعد اختبار الدفاع ضد فنون الظلام، وكان الأستاذ «لوبين» قد أعد اختبارًا غير عادى، فكان عليهم الخوض فى بركة مياه وسط عشرات من القبعات الحمراء وكائنات «هنكس بانكس» ويجب عليهم تجنب المسارات الخاطئة حتى يصلوا إلى نهاية مسارهم ويقاتلوا «بوجارت» جديدًا.

تمتم «لوبين»: رائع يا «هارى».. درجة نهائية.

واستدار «هارى» سعيدًا بأدائه حتى يتابع «رون» و«هيرميون»، أما «رون» فقد أدى أداءً جيدًا حتى ضلله أحد كائنات «هنكس بانكس» وأوصله إلى مكان عميق، أما «هيرميون» فقامت بكل شىء كما ينبغى حتى وصلت إلى مرحلة «بوجارت» فراحت تصرخ وهى تركض خارج الصندوق: بروفيسور «ماكجونجال!».

أجابت وهى تلهث: «لقد... لقد قالت إننى أخفقت فى كل شىء».

واستغرق الأمر بعض الوقت حتى هدأت «هيرميون» وعاد كل من «هارى» و«رون» إلى القلعة و«رون» لايزال يضحك على «هيرميون» والـ «بوجارت» الذى اتخذ شكل الأستاذة «ماكجونجال»، ولكنه توقف عندما رأى ذلك المشهد الذى كان

فـى مـواجـهـتـهـمـا، كـان «كـورنـلـيـوس فـودچ» مـرتـديًـا عـبـاءتـه المخطـطـة ويـحـدِّق فـى «هـارى» قـبـل أن يـتـسـاءل: مـرحـبًـا يـا «هـارى»، لقد انتهيت لتوك من أحد الامتحانات.. أليس كذلك؟ تُرَى، هل أوشكت على الانتهاء؟

أجاب «هارى»: نعم يا سيدى!

ولأن «رون» و«هيرميون» لا يستطيعان الحديث مع الوزير، فقد تراجعا إلى الخلف.

وقال «فودچ» وهو ينظر نحو البحيرة: يوم جميل، يا للأسف.. يا للأسف!

وتنهد بعمق وقال لـ«هارى»: إننى هنا فى مهمة كريهة، لقد طلبت اللجنة شاهدًا على إعدام «الهيبوجريف..».

ولأننى كنت أزور «هوجوورتس»؛ للتحقق من حادث «بلاك»، فقد كان من الضرورى أن أشترك فى الأمر.

قاطعهما «رون» متسائلاً: هل يعنى ذلك أن الأمر قد تم تنفيذه؟

أجـاب «فـودچ» وهـو يـنـظـر نـحـو «رون»: «لا.. لا.. إن الموعد المحدد هو بعد ظهر اليوم»، وقبل أن يعاود حديثه ظهر ساحران أمامهما، خمن «هارى» أنهما من أعضاء هذه اللجنة؛ لأنهما كانا يتجهان نحو كوخ «هاجريد» وأحدهما يقول: «يا إلهى لقد صرت كبيرًا جدًا على ذلك.. إنها الساعة الثانية، أليس كذلك يا «فودچ»؟». أما الساحر الآخر وكان ذا شارب أسود، فقد كان يعبث بشىء ما أسفل ملابسه، وعندما نظر «هارى» وجد إصبعه

يتحسس فأسًا لامعةً، وفتح «رون» فمه؛ ليقول شيئًا ما ولكن «هيرميون» لكزته بقوة وهى تشير برأسها نحو بهو الدخول، ثم قالت: ««رون».. إن والدك يعمل فى وزارة السحر، ولا يمكن أن تتكلم مع رئيسه بهذه الصورة».

ولكن «هيرميون» نفسها كانت فى غاية الضيق، ورغم ذلك تابعت قائلة: «مادام «هاجريد» يناقش الأمر بشكل لائق هذه المرة، فهم لا يستطيعون إعدام «باك بيك»».

ولكن «رون» كان يعرف أن «هيرميون» غير مقتنعة بما تقول، ومن حولهما كان الجميع يتحدثون أثناء تناول الغداء وينتظرون نهاية الامتحانات بعد ظهر اليوم، ولكن «هارى» و«رون» و«هيرميون» كانوا غارقين فى القلق بشأن «هاجريد» و«باك بيك» وكان آخر امتحانات «هارى» و«رون» هو امتحان التنبؤ، أما بالنسبة لـ«هيرميون» فكان امتحان الدراسات العامة، وصعدوا معًا حتى تركتهما «هيرميون» فى الطابق الأول، أما «هارى» و«رون» فتابعا صعودهما حتى الطابق السابع حيث كان العديد من زملائهما يجلسون على السلم المؤدى لفصل الأستاذة «تريلاونى» فى محاولة لمراجعة أخيرة، حتى قال «نيفيل»: «إنها ترى كلاً منا على حدة.. هل سبق لأحدكما رؤية أى شىء فى الكرة البللورية؟».

أجاب «رون» وهو ينظر فى ساعته: «لا».

كان «هارى» يعلم أنه يحسب الوقت المتبقى على بداية تنفيذ

حكم «باك بيك»، وكل حين كان يهبط أحد التلاميذ من الفصل ويسأله باقى التلاميذ عن السؤال الذى سألته له ولكنهم جميعًا رفضوا الإجابة وقال لهم «نيفيل»: «إنها تقول إن باستطاعتها رؤية أى شخص يخبركم وإذا أخبرتكم فسأتعرض لحادث مروع».

فقال «رون»: «يا له من أمر رائع.. هل تعرف، لقد بدأت أظن أن «هيرميون» كانت على حق؟».

قال «هارى» وهو ينظر لساعته التى تشير إلى الثانية بالفعل: «نعم».

وعادت «بارفاتى» وهى مزهوة بنفسها، قائلة لـ«هارى» و«رون»: «لقد أخبرتنى أن كل ما فعلته كان صحيحًا، لقد رأيت أشياء كثيرة و.. حسنًا.. حظ سعيد، ثم أسرعت نحو «لافندر» وتبعها صوت الأستاذة «تريلاونى»: «رونالد ويزلى»، نظر «رون» نحو «هارى» وصعد السلم الفضى ليبقى «هارى» هو التلميذ الوحيد المنتظر للاختبار، فجلس وهو مستند إلى الحائط وعقله مشغول بـ«هاجريد».

وأخيرًا وبعد حوالى عشرين دقيقة، ظهر «رون» من أعلى السلم وهو يقول: «هراء.. لم أر أى شىء؛ لذلك فقد اختلقت بعض الأشياء ولكننى لا أظن أنها اقتنعت رغم...».

قال «هارى» عندما سمع صوت الأستاذة «تريلاونى» تنادى باسمه: «سأراك فى الحجرة العامة».

كانت حجرة البرج أكثر حرارة من ذى قبل، الستائر مسدلة والنيران مشتعلة والرائحة نفسها تملأ المكان؛ مما جعل «هارى» يسعل وهو يمر بين صفوف المقاعد حتى وصل إلى المنضدة التى تجلس عليها الأستاذة «تريلاونى» وأمامها كرة بللورية.

انحنى «هارى» نحو الكرة وحدق بها بشدة قبل أن تقول الأستاذة: «أرجو أن تنظر للكرة وتخبرنى بما ترى داخلها.. خذ ما يكفيك من الوقت»، واستمر «هارى» فى النظر وهو يأمل أن يرى شيئًا غير هذا الضباب الأبيض لكنه لم ير شيئًا، حتى تساءلت الأستاذة «تريلاونى»: «حسنًا.. ماذا ترى؟».

وفكر «هارى» فى أن يفعل مثلما فعل «رون»، فقال: «إيه.. إيه.. ظِلٌ داكن و...».

همست الأستاذة: «ماذا يشبه؟ فكر الآن..».

وكان «هارى» مشغولاً بقضية «باك بيك» فقال: «هيبوجريف».

قالت الأستاذة «تريلاونى» وهى تطالع تلك الرقعة الجلدية المفروشة فوق ساقيها: «حقا.. يا صغيرى، ربما ترى ما سيحدث لـ«هاجريد» المسكين ومشكلته مع وزارة السحر.. انظر أكثر.. هل ترى «الهيبوجريف».. هل مازال رأسه موجودًا؟».

أجابها بحدة: «نعم».

تساءلت الأستاذة «تريلاونى»: «هل أنت واثق؟ هل أنت واثق يا عزيزى؟».

ألا تراه يتلوى فوق الأرض وبجواره شخص يحمل فأسًا؟

قال «هارى» وقد بدأ يشعر بالإعياء: «لا».

عادت تتساءل: «لا توجد دماء؟ ولا بكاء؟».

أجابها وهو يأمل أن ينتهى الاختبار سريعًا ويهرب من حرارة الغرفة: «لا.. إنه يبدو بخير.. ويطير بعيدًا».

فزفرت الأستاذة «تريلاونى» قائلة: «حسنًا.. يا عزيزى.. يكفى هذا.. إن الأمر مخيب للآمال ولكنك فعلت كل ما تستطيع».

وسمع صوتًا يتحدث خلفه: «سيحدث الأمر الليلة».

واستدار «هارى» ليرى الأستاذة «تريلاونى» وقد ارتبكت وفمها نصف مفتوح، فقال: «معذرة».

رأى الأستاذة «تريلاونى» لم يبدُ عليها أنها سمعته وبدأت عيناها تدوران، فشعر «هارى» بالفزع، وتردد قليلاً وهو يفكر فى الإسراع إلى المستشفى؛ حتى يخبرهم بما يحدث، ثم تحدثت الأستاذة بنفس صوتها المبحوح والمختلف قليلاً عن صوتها: «القائد يجلس وحيدًا وبلا أصدقاء، معزولاً، وكان خادمه مقيدًا طوال اثنى عشر عامًا، والليلة وقبل منتصف الليل سيتحرر ويلحق بسيده.. سينهض السيد مرة أخرى بمساعدة خادمه.. أعظم.. وأكثر شراسة من ذى قبل.. الليلة.. قبل منتصف الليل.. سينطلق الخادم؛ ليلحق بسيده».

ثم سقطت الأستاذة «تريلاونى» على المنضدة وصوتها يتحشرج بشدة، ثم فجأة رفعت رأسها بقوة مرة أخرى قائلة:

«آسفة للغاية يا صغيرى.. إن الجو حار اليوم كما تعلم.. لقد نمت لدقيقة..».

ونهض «هارى» وهو لايزال يحدق بها، فتساءلت: «هل هناك أى شىء يا صغيرى العزيز؟».

أجابها: «لقد... لقد أخبرتنى أن... أن القائد يجلس وحيدًا وأنه سينهض مرة أخرى.. وأن... أن خادمه سيعود إليه..».

نظرت له «تريلاونى» بدهشة، ثم تساءلت: «القائد؟! إنه الذى لا يحب أن نناديه باسمه! عزيزى الصغير، هذا شىء لا يقبل المزاح.. سينهض مرة أخرى!».

عاد «هارى» يقول: «ولكنك قلتِها لتوك.. لقد قلت لك..».

عادت تقول: «أظن أنك نمت أيضًا يا عزيزى.. فأنا لا أظن أن باستطاعتى التنبؤ بمثل هذا الشىء!».

هبط «هارى» من الحجرة وهو يتساءل: «هل سمع فعلاً الأستاذة «تريلاونى» تتلو هذه النبوءة؟ أم أنها مجرد فكرة منها؛ لإنهاء الدرس بطريقة مؤثرة؟» وبعد خمس دقائق، كان يعبر مدخل برج «جريفندور» وصدى كلمات الأستاذة «تريلاونى» لايزال يتردد فى أذنيه فى حين كان باقى التلاميذ يتجهون إلى الجانب المضاد سعداء بحريتهم، ومع الوقت وصل للحجرة العامة التى كانت شبه خالية إلا من «رون» و«هيرميون» الجالسين فى ركن الحجرة، فقال: «لقد... لقد أخبرتنى الأستاذة «تريلاونى» لتوها..».

ولكنه توقف عن كلامه لما رأى وجهيهما، ثم قال «رون»: لقد انتهى «باك بيك» وأرسل لنا «هاجريد» هذه.

وكانت الرسالة جافة هذه المرة، فلا توجد دموع تغرقها ولكن بدا أن يده كانت ترتعش وهو يكتبها:

ولقد خسرت القضية وسينفذ الإعدام عند غروب الشمس، لا شىء يمكنكم أن تفعلوه، لا تحاولوا الحضور، فلا أريد أن تشاهدوا هذا.

«هاجريد»

* * *

قال «هارى» على الفور: «يجب أن نذهب.. لا يمكن أن نتركه وحده فى انتظار تنفيذ الحكم».

قال «رون» وهو ينظر من النافذة: ولكن.. غروب الشمس!.. لن يسمح لنا.. وبالأخص أنت يا «هارى».

وغاص «هارى» برأسه بين كفيه مفكرًا: «لو أننى فقط أملك عباءة الإخفاء..».

تساءلت «هيرميون»: «وأين هى؟».

أخبرها «هارى» أنه تركها فى الممر السرى تحت تمثال الساحرة ذات العين الواحدة، ثم عاد يقول: «لو رآنى «سناب» بالقرب من هذا المكان مرة أخرى؛ فسأتعرض لمشكلة حقيقية».

قالت «هيرميون» وهى تنهض واقفة: «هذا صحيح.. لو رآك.. ولكن كيف تفتح ظهر التمثال مرة أخرى؟».

أجاب «هارى»: تلمسينه بعصاك وتقولين «ديسيديوم».. ولكن

«هيرميون» لم تنتظر لباقى جملته، فقطعت الحجرة ودفعت لوحة السيدة البدينة واختفت عن عيونهما.

قال «رون» وهو يحدق بها: «هل ذهبت لإحضارها؟».

وبالفعل عادت «هيرميون» بعد ربع ساعة وعباءة الإخفاء مخفاة بعناية أسفل ملابسها، فقال «رون»: «هيرميون»، أنا لا أعرف ما الذى أصابك، ثم نظر للعباءة وعاد يقول: «فى البداية قمت بضرب «مالفوى» ثم غادرت حجرة الأستاذة «تريلاونى» و...».

ولم تجب «هيرميون» وإنما بدا عليها الزهو.

هبط الثلاثة؛ لتناول العشاء مع الجميع، ولكنهم لم يعودوا إلى البرج بعد ذلك، لقد كانت العباءة مخبأة أسفل ملابس «هارى» واختفوا فى إحدى حجرات بهو الدخول حتى اطمأنوا إلى مغادرة الجميع للمكان، وخرجت «هيرميون» برأسها من خلف الباب ثم همست: «حسنًا.. لا أحد هناك».

وساروا معًا على أطراف أصابعهم أسفل عباءة الإخفاء، وعبروا البهو حتى وصلوا إلى السلم الحجرى المؤدى للفناء وكانت الشمس قد غابت بالفعل خلف الغابة المحرمة لتضىء أطراف فروع الأشجار.

ووصلوا إلى حجرة «هاجريد» وطرقوا الباب وفتحه لهم، كان وجهه شاحبًا وهو ينظر حوله باحثًا عمن يريده، فهمس «هارى»: «إنه نحن.. إننا نرتدى عباءة إخفاء، دعنا ندخل حتى نستطيع أن نخلعها».

همس «هاجريد» وهو يتراجع حتى يسمح لهم بالدخول: «ما كان عليكم الحضور»، ثم أغلق الباب سريعًا لينزع «هارى» العباءة ولم يكن «هاجريد» يبكى ولم يلق بنفسه وسطهم ليعانقهم وإنما كان كرجل لا يدرى أين هو أو ماذا يفعل، ولكنه مد يده إلى براد الشاى متسائلاً: «هل ترغبون فى بعض الشاى؟».

تساءلت «هيرميون» فى تردد: «أين «باك بيك» يا «هاجريد»؟».

أجابها وقد سقط الحليب من بين يديه: «لقد... لقد أخذته للخارج، فأظن أنه يحتاج لرؤية الأشجار و... و... استنشاق الهواء العليل قبل أن...».

ارتعشت يداه بشدة، فقالت «هيرميون»: «دعنى أقوم بهذا يا «هاجريد»»، فقال وهو يجلس ويمسح جبهته بكم قميصه: «هناك واحد آخر فى الخزانة»، تساءل «هارى»: «ألا يوجد أى شخص يمكنه أن يفعل شيئًا، ألا يستطيع «دمبلدور» أن...».

قاطعه «هاجريد»: «لقد حاول.. إنه لا يملك سلطة التأثير على اللجنة، لقد أخبرهم أن «باك بيك» بخير، ولكنهم خافوا أن... أنتم تعرفون ما الذى فعله «لوسيوس مالفوى» لقد هددهم..».

ازدرد لعابه وهو ينظر حوله.. كمن يبحث عن الأمل أو الراحة ثم عاد يقول: «سيحضر «دمبلدور».. سيأتى عندما... عندما يحدث الأمر، لقد كتب لى هذا الصباح، وهو يريد أن يكون معى.. يا له من إنسان عظيم!».

أما «هيرميون» فكانت لاتزال تبحث عن الحليب فى خزانة

«هـاجريد» حتى وجدته فى النهاية، فنهضت وهى تقاوم دموعها قـائلة: سنبقى معك يا «هـاجريد».

ولكن «هـاجريد» هز رأسه قـائلاً: «يجب أن تعودوا للقلعة، لقد أخبرتكم أننى لا أريد أن تشاهدوا هذا، ولم يكن عليكم الحضور إلى هـنـا بـأى حـال.. فـلـو أمسك بـكـم «فـودچ» أو «دمـبـلـدور» بـدون تصـريـح؛ فسيـتـعـرض «هـارى» لمشكلـة كبيرة»، بـدأت الدمـوع تتساقط على وجنتى «هيرميون» فى صمت.. ولكنها أخفتها عن «هـاجريد» واستدارت لعمل الشاى، حتى صاحت فجأة:

«رون.. أنـا... أنـا لا أصد... إنه «سكابرن»».

ونظر «رون» نـحـوهـا وفمه مفتوح: «مـاذا تقولين؟».

حملت أحد الأكواب وقلبته لينزلق منه «سكابرن» ويسقط على المنضدة، فأسرع «رون» نـحـوه: ««سكـابرن»، مـاذا تفعل هنـا؟».

وجذب الفـأر نحو الضوء؛ ليراه وقد ازداد نحافة ورأسه به موضعان نزع منهما الشعر، فقال: «حسنًا.. حسنًا يا «سكابرن».. لا توجد قطة ولا شيء يمكن أن يؤذيك».

وفجأة، نهض «هـاجريد» وعينـاه معلقتـان على النـافذة وقد شحب وجهه بشدة: «إنهم قـادمون..».

واسـتـدار «هــارى» و«رون» و«هيرمـيـون» ليروا مجمـوعـة من الأشخـاص يـهـبـطـون سلـم الـقـلـعـة وأمـامـهـم «إلـبـوس دمـبـلـدور» ولحيتـه الـفـضـيـة تـلـمـع تحت أشـعـة الشمس الخـافـتـة وبـجـواره «كورنليوس فودچ» وخلفهما عضو اللجنة ومنفذ الحكم.

فقال «هاجريد»: «يجب أن تذهبوا» وكانت كل بوصة من جسمه ترتعد وهو يتابع: «لا يجب أن يجدوكم هنا.. هيا.. اذهبوا الآن».

وضع «رون» «سكابرز» فى جيبه والتقطت «هيرميون» العباءة وتبعوا «هاجريد» إلى الباب حتى حديقته الخلفية، ورأى «هارى» «باك بيك» على بُعد بضع ياردات يهز رأسه من جانب لآخر وهو يضرب الأرض بعصبية.

فقال «هاجريد» بهدوء: «اهدأ يا «بيكى».. اهدأ»، ثم استدار نحو «رون» و«هيرميون» و«هارى» قائلاً: «هيا.. اذهبوا».

ولكنهم لم يتحركوا.

«هاجريد.. لا يمكن».

«سنخبرهم بما حدث».

«لا يمكن أن يقتلوه..».

قال «هاجريد» بقوة: اذهبوا.. إن الأمر لا يحتاج إلى تدخلكم..».

ولم يصبح أمامهم خيار، عندما ألقت «هيرميون» بالعباءة فوق «هارى» و«رون» وهم يسمعون أصواتًا أمام باب الحجرة، فنظر «هاجريد» إلى المكان الذى اختلفوا فيه لتوهم، ثم عاد للحجرة عندما كان أحدهم يطرق الباب.. وببطء دار «هارى» و«رون» و«هيرميون» حول منزل «هاجريد» وعندما وصلوا للجانب الآخر، كان الباب يغلق بعنف، فهمست «هيرميون»: «هيا فلنسرع.. أنا لا أحتمل ذلك..».

واتجهوا بسرعة نحو القلعة والشمس تواصل اختفاءها السريع والسماء تتحول إلى اللون القرمزى.

وفجأة، توقف «رون» وهو يحاول إعادة «سكابرن» إلى جيبه ولكن الأخير راح يصرخ ويعض أصبعه، فقال: «ماذا دهاك يا «سكابرن»؟».. إنه أنا.. «رون» وسمعوا صوت باب يفتح خلفهم وأصوات أشخاص، فقالت «هيرميون»: «رون».. أرجوك دعنا... دعنا نتحرك.. سينفذون الحكم الآن».

وعادوا يتقدمون مرة أخرى وكان «هارى» مثل «هيرميون» لا يريد أن يستمع للأصوات القادمة من خلفه.. ولكن «رون» توقف مرة أخرى.

وكان الفأر يصرخ بشراسة، ولكن ارتفاع صوت صراخه لم يستطع أن يغطى على صوت تلك الفأس وهى تقطع الهواء مرتفعة قبل أن تهوى ليصدر عنها صوت شىء يُقطع، فالتفتت «هيرميون» وهمست: «لقد فعلوها.. أنا لا أصدق.. لقد فعلوها!».

* * *

١٧ قط وفأر وكلب

ذهل «هارى» من الصدمة، فوقف الثلاثة بلا حراك أسفل عباءة الإخفاء، فى حين كانت أشعة الشمس تلقى بلون دموى على المكان الذى امتلأ بالظلال الطويلة ومن خلفهم سمعوا صوت صيحات مرتفعة، فتمتم «هارى»: «هاجريد».. وبلا تفكير استدار وبدأ فى التوجه إلى كوخه ولكن «رون» و«هيرميون» أمسكا به وقال «رون» وقد شحب وجهه بشدة: «لا يمكن.. سيسوء الأمر إذا عرفوا أننا نزوره..».

أما «هيرميون» فكانت تتنفس بصعوبة وهى تقول: «كيف... كيف يمكن... كيف يمكن أن يفعلوا هذا؟».

ثم قال «رون» وقد بدت أسنانه ترتعد: «هيا بنا».

واتجهوا مرة أخرى نحو القلعة وهم يسيرون ببطء؛ حتى يتأكدوا من اختفائهم أسفل العباءة، وكان الظلام يزحف بسرعة و«رون» لايزال يحاول إبقاء «سكابرز» فى جيبه، صائحًا: «ماذا دهاك أيها الفأر الأحمق؟ اهدأ.. آى.. لقد عضنى!».

همست «هيرميون»: «اخفض صوتك يا «رون»، سيصل «دمبلدور» إلى هنا خلال دقيقة.

كان من الواضح أن «سكابرز» خائف ويحاول بكل قوته أن يهرب من قبضة «رون» الذى عاد يتساءل: «ماذا دهاه؟».

ولكن «هارى» رأى لتوه عينين صفراوين تلمعان أسفل قدميه فى الظلام.. لقد كان «كروكشانكس».. تُرَى، هل يستطيع أن يراهم أم أنه يتبع صوت «سكابرز؟»، وقالت «هيرميون»: «لا «كروكشانكس».. لا.. ابتعد.. ابتعد».

ولكن القط استمر فى الاقتراب.

«لا يا «سكابرز».. لا».

ولكن الوقت فات.. لقد أفلت الفأر من بين أصابع «رون»، وقفز إلى الأرض ليركض بعيدًا.. وفى نفس اللحظة، أسرع «كروكشانكس» خلفه قبل أن يستطيع أى من «هارى» أو «هيرميون» إيقافه، أما «رون» فألقى العباءة من فوقه وانطلق خلفهما فى الظلام وصاحت «هيرميون»: «رون!».

ونظرت إلى «هارى» الذى نظر بدوره لها ثم ركضا خلفهم، كان من المستحيل أن يركضا بكامل سرعتهما أسفل العباءة فخلعاها وانطلقا وهى خلفهما كالراية، وأصوات أقدامهم تملأ المكان وصوت صيحات «رون»: «اهرب منه.. اهرب.. «سكابرز».. تعال هنا..».

وأخيرًا، استطاع «رون» أن يمسك به ويعيده إلى جيبه مرة أخرى، فعادت «هيرميون» تناديه: «هيا يا «رون».. تعال أسفل العباءة، سيحضرون فى أى لحظة»، ولكن قبل أن يستطيعوا تغطية أنفسهم مرة أخرى وقبل حتى أن يلتقطوا أنفاسهم سمعوا صوت قوائم تركض نحوهم.. كلب أسود كبير شاحب العينين.

ومد «هارى» يده بعصاه السحرية ولكن متأخرًا جدًّا.. لقد وصل الكلب إليه وأصاب صدره بمخالبه وأسقطه أرضًا ليشعر «هارى» بأنفاسه الحارة وأسنانه الحادة أمام عينيه، ولكن قوة الاصطدام جعلت «هارى» يتدحرج على الأرض ويشعر بأضلاعه تكاد تتحطم، وعندما حاول النهوض سمعه يزمجر ويحاول الاستعداد لهجمة أخرى، وعندما قفز نحوهم أبعد «رون» «هارى» فأصابته مخالب الكلب فى ذراعه، فى حين وقف «هارى» وبين أصابعه شعر هذا الحيوان الذى جذبه وهو يدفعه عن صدره ورآه وهو يشد «رون» على الأرض كمن يشد لعبة قديمة.

وفجأة ودون أن يدرى من أين، اصطدم شىء بوجه «هارى» واقتلعه من مكانه مرة أخرى، ثم سمع «هيرميون» تصيح ألمًا وتسقط أيضًا، فراح «هارى» يبحث عن عصاه وهو يهمس: «لاموس!».

وأضاءت العصا المكان ليرى جذع شجرة عملاقة وعندها ذلك الكلب يجذب «رون» نحو مكان منخفض عند جذع الشجرة وكان «رون» يقاوم بشراسة ولكن رغم ذلك بدأ رأسه يختفى أسفل الشجرة، فصاح «هارى»: «رون..!»، وحاول أن يتجه نحوه ولكن أحد فروع الشجرة المجاورة ضربه فأعاده للخلف مرة أخرى.

وهناك، أسفل الشجرة، كانت إحدى قدمى «رون» فقط هى الظاهرة والكلب لايزال يجذبه إلى تحت الأرض وفجأة ارتفع صوت تحطم مرعب فى الهواء، لقد كسرت ساق «رون».. وبعد

ثانية واحدة، اختفت قدمه من أمامه، فصرخت «هيرميون» التى كانت تنزف هى الأخرى: ««هارى».. يجب أن نساعده..».

«لا.. هذا الشىء شديد الضخامة وسيأكله.. ليس لدينا وقت..» «لن تستطيع الدخول بدون مساعدة..».

وحاول فرع آخر أن يصيبهما، لكنه أخفق هذه المرة.. فعاد «هارى» يقول: «إذا كان هذا الكلب يستطيع المرور، فكذلك نستطيع نحن أن نمر..».

وراح ينظر يمينًا ويسارًا؛ بحثًا عن طريق وسط كل هذه الفروع المتشابكة ولكنه لم يستطع الاقتراب من جذع الشجرة.. وفجأة، ظهر «كروكشانكس» وراح يمر وسط هذه الفروع كالثعبان حتى وصل إلى جذع الشجرة وما إن لمسه بقوائمه الأمامية حتى توقفت كل الفروع عن الحركة وكأنها تحولت إلى شجرة من الرخام، فلم يهتز أى فرع وهمست «هيرميون» غير مصدقة: ««كروكشانكس!!»، كيف.. ؟».

أجابها «هارى»: «إنه صديق لذلك الكلب، لقد رأيتهما معًا قبل ذلك.. هيا بنا واحتفظى بعصاك فى يدك..».

وأسرعا نحو جذع الشجرة ولكن قبل أن يصلا إلى تلك الفتحة، شاهدا القط وهو يدخلها وذيله الكبير يحتك بفتحتها وتبعه «هارى»، فدخل برأسه لينزلق حتى نفق منحدر عميق للغاية وأمامه «كروكشانكس» الذى تلمع عيناه فى ضوء عصا «هارى».. وبعد ثانية أخرى، وجد «هيرميون» إلى جواره تهمس فى صوت مذعور: «أين «رون»؟».

قال «هاري» وهو يسير محني الظهر خلف «كروكشانكس»: من هنا.

وتساءلت من خلفه: «من أين يبدأ هذا النفق؟».

أجابها: «لا أعرف.. إنه موجود على الخريطة ولكن «فريد» و«چورچ» أخبراني أن أحدًا لم يستخدمه من قبل.. ولكن يبدو أن طرفه الآخر في «هوجسميد»..».

كانا يسيران بأسرع ما يمكنهما وأمامهما ذيل «كروكشانكس».. كان النفق شبيهًا بذلك الذي ينتهي في محل «هاني ديوك» ولكن كل ما كان يشغل «هاري» هو «رون» وما يمكن أن يفعله به هذا الكلب العملاق.

وأخيرًا، بدأ النفق يرتفع حتى اختفى «كروكشانكس».. وبدلاً منه، رأى «هاري» فتحة ينفذ منها الضوء، فتوقف هو و«هيرميون» ليلتقطا أنفاسهما ثم عاودا تقدمهما وهما يدفعان عصويهما لرؤية ما وراء ذلك.. كانت غرفة غير مرتبة بالمرة ويعلوها الغبار والبقع تغطي الأرض، وكل أثاثها محطم تمامًا كما لو أن أحدهم حطمه، ونظر «هاري» إلى «هيرميون» فبدت في غاية الفزع، فجذب نفسه خارج الفتحة وراح ينظر حوله، كانت الحجرة خالية، لكنه رأى بابًا مفتوحًا على اليمين يؤدي إلى ممر مظلم، وفجأة جذبت «هاري» وعيناها المتسعتان تنظران نحو النوافذ قائلة: «هاري».. أظن أننا في ذلك المنزل المسكون.. إننا في شيريكنج شاك».

ونظر «هـارى» حوله ليجد مقعدًا خشبيًّا بالقرب منهما، وقد جذب أحدهم حشوه للخارج وإحدى أرجله قد تحطمت وانفصلت عن المقعد، فقال بهدوء: «إن الأشباح لا تفعل ذلك».

وفى هذا الوقت، سمع صوتًا فى السقف، هناك شىء يتحرك فى الدور العلوى، فزادت «هيرميون» فى قوة قبضتها الممسكة بذراع «هـارى»، وبأقصى هدوء صعدا معًا إلى أعلى باستخدام ذلك السلم المُتهالك، كان كل شىء مغطى بطبقة كثيفة من الغبار عدا الأرض، كان هناك شىء يمر فوق هذا المكان ليتركه لامعًا. وأخيرًا، وجدا بابًا واحدًا مفتوحًا ومن خلفه سمعا حركة وصوت أنين منخفضًا، وزمجرة مرتفعة فتبادلا آخر نظرة وآخر إيماءة قبل أن يتقدم «هـارى» ويدفع الباب بقدمه وما إن دخلا الغرفة حتى وجدا «كروكشانكس» فوق قماش قديم يعلوه الغبار مثل كل شىء فى المكان وعلى الأرض وجدا «رون» ممسكًا بساقه فأسرعا نحوه:

«رون، هل أنت بخير؟».

«أين ذلك الكلب؟».

أجاب وهو يضغط على أسنانه من فرط الألم: «ليس كلبًا، «هـارى» إنه فخ».

وكان «رون» ينظر إلى نقطة خلف «هـارى» الذى استدار سريعًا ليرى ذلك الرجل وهو يصفق الباب بقوة، كان أشعث الشعر وعيناه تخرجان من محجريهما وجلده الشديد الشحوب مشدود

على عظم وجهه ليبدو كالجمجمة، وابتسامته تكشف أسنانه الصفراء.. كان «سيريوس بلاك».

وأشار نحوهم بعصا «رون» قائلاً: «إكسبلارموس» وكانت النتيجة أن عصوى كل من «هارى» و«هيرميون» طارتا فى الهواء ليمسك بهما «بلاك» قبل أن يتقدم خطوة نحوهما وعيناه مركزتان على «هارى» قبل أن يقول: «لقد كنت أعرف أنك ستأتى لمساعدة صديقك».

كان صوته متحشرجًا كما لو أنه لم يتكلم منذ سنوات، وبدأ الحديث لتوه وهو يتابع: «لقد فعل أبوك نفس الشىء من أجلى.. لقد كانت شجاعة منك ألا تركض لتنادى على أحد المعلمين.. إننى مدين لك مرتين وسيكون كل شىء أكثر بساطة».

وظلت الكلمات التى ذكرها عن والده تتردد فى أذنى «هارى» والغضب يجتاحه دون أن يترك أى مكان للخوف، ولأول مرة فى حياته، يشعر برغبته فى استعادة عصاه ليس ليدافع بها عن نفسه بل ليهاجم ويقتل، ودون أن يدرى ما يفعل تقدم للأمام ولكن فجأة بدأت حركة من الجانب المقابل وامتدت يدا «هيرميون»؛ لتبقيه فى مكانه قائلة: «لا يا «هارى»».

ولكن «رون» قال: «إذا كنت تريد قتل «هارى» فيجب أن تقتلنا نحن أيضًا».. ورغم الإرهاق الشديد الذى كان يشعر به، فإن كلامه كان قويًا، ورأى «هارى» شيئًا يلمع فى عينى «بلاك» وهو يقول: «استلق كما كنت، ستضر هذه الساق أكثر».

فقال «رون» فى وهن: «هل سمعتنى؟ سيكون عليك أن تقتلنا نحن الثلاثة!».

أجابه «بلاك» وقد اتسعت ابتسامته: «سيكون هناك قتيل واحد اليوم!».

تساءل «هارى»: «ولماذا؟ إنك لم تكن حريصًا على ذلك فى المرة السابقة، أليس كذلك؟ إنك لم تهتم بقتل كل هؤلاء العامة حتى تصل لهدفك.. هل رق قلبك فى «أزكابان؟»».. همست له «هيرميون»: «هارى.. اهدأ».

ولكنه أجاب صارخًا: «لقد قتل أبى وأمى!».

كان قد نسى السحر.. لقد نسى أنه قصير ونحيف وفى الثالثة عشرة من عمره، فى حين أن «بلاك» طويل ومكتمل البنية ولكن كل ما عرفه هو أنه يريد أن يؤلمه بأقصى ما يستطيع، وفى المقابل لم يهتم بما قد يحدث له.

وربما أصابت الصدمة «بلاك» فلم ينتبه إلى ما فعله «هارى» ولم يرفع عصاه فى مواجهته، وتقدم «هارى»؛ ليدفع أطراف العصى الثلاثة بعيدًا ويدفع «بلاك» باليد الأخرى؛ ليتراجع مبتعدًا عنهم، فى حين راحت «هيرميون» تصرخ و«رون» يصيح عندما انبعث هذا الضوء المبهر من العصى وأخطأ وجه «هارى» بمسافة قصيرة للغاية، وشعر «هارى» بذراعى «هيرميون» تجذبانه، ولكن يده الأخرى راحت تضرب كل مكان تستطيع أن تصل إليه من جسد «بلاك» ولكن يد «بلاك» وجدت رقبة «هارى» وراحت تشتد عليها وهو يقول: «لقد انتظرت طويلاً...».

واندفعت «هيرميون»، وركلت «بلاك» بكل قوتها فترك «هارى» وهو يتأوه فى ألم، فاندفع «رون» بجسده نحوه وضرب يده ووسط كل هذه الأجساد، رأى عصاه ملقاة على الأرض فاندفع إلى الأمام ولكن...

«آه!».

لقد تدخل «كروكشانكس» فى الأمر وغاص بمخالبه الأمامية فى ذراع «هارى» فأبعده «هارى» ولكن «كروكشانكس» كان يتجه الآن إلى عصا «هارى» الذى زمجر بصوت مرتفع: «لا.. لن تفعل»، ثم وجه ركلة إلى «كروكشانكس» جعلته يبتعد، واستطاع «هارى» الإمساك بعصاه واستدار وهو يصيح فى «رون» و«هيرميون»: «ابتعدا».

ولم يحتج الأمر إلى تكرار، فقد تحركت «هيرميون» بالفعل وهى تلهث طلبًا للهواء بينما شفتها السفلى تنزف قبل أن تأخذ عصاها وعصا «رون»، أما «رون» فقد زحف حتى اختفى خلف الفراش وهو يمسك ساقه المكسورة بكلتا يديه.

وتركا «بلاك» ملقى بجوار الحائط وصدره يعلو ويهبط بعنف وهو يشاهد «هارى» يقترب ببطء وعصاه موجهة إلى قلب «بلاك» الذى تساءل: «هل ستقضى علىَّ يا «هارى؟»».

وتوقف «هارى» بجواره تمامًا وهو لايزال يشير إلى صدره بالعصا وينظر نحوه وأنفه ينزف قبل أن يجيب بصوت مرتعش رغم ثبات عصاه: «لقد قتلت والدىّ».

نظر «بلاك» نحوه بعينيه الغائرتين، ثم أجابه بهدوء: «أنا لا أنكر ذلك ولكن إذا عرفت القصة كلها..».

ردد «هارى»: القصة كلها؟ لقد بعته إلى «فولدمورت» وهذا كل ما أريد أن أعرفه!».

قال «بلاك» بصوت يدعو للاهتمام: «يجب أن تنصت إلىَّ.. ستندم إذا لم تفعل.. أنت لا تفهم».

قال «هارى» وصوته يرتعش أكثر من ذى قبل: «أنا أفهم أكثر مما تظن.. إنك لم تسمعها مطلقًا، أليس كذلك؟ أمى.. وهى تحاول منع «فولدمورت» من قتلى وأنت فعلتها.. فعلتها..».

وقبل أن يتمكن أى منهم من قول أى شىء آخر، قفز «كروكشانكس» على صدر «بلاك» واستقر فوق قلبه تمامًا وراح «بلاك» ينظر للقط، ثم قال وهو يدفعه بعيدًا عنه: «ابتعد!».

ولكن «كروكشانكس» غاص بمخالبه فى صدره، ولم يتحرك، وأدار وجهه القبيح نحو «هارى»، ونظر إليه بعينيه الصفراوين ولكن «هارى» استمر فى الإشارة إليهما بعصاه وهذا قد يقتل القط أيضًا، إن مشكلته مع «بلاك».. وإذا كان هذا القط على استعداد للموت حتى يحمى «بلاك» فإن هذا ليس من شأن «هارى».. وإذا كان «بلاك» يريد أن ينقذه، فإن ذلك يثبت أنه يهتم بـ«كروكشانكس» أكثر مما اهتم بوالديه.

ورفع «هارى» عصاه.. لقد حان الوقت.. حان وقت الثأر

لـوالـديـه، سـيـقـتـل «بـلاك» لـقـد كـان مضـطـرًا لـذلك، وهـذه هـى فرصته.

وطـالت الـثـوانـى، «هـارى» مـتـجـمـد فـى مكـانـه وعصـاه فـى مواجـهـتـهـمـا و«بـلاك» يـحـدق فـيـه و«كروكشـانكس» فوق صدره وأصوات أنفـاس «رون» المرتفعة تـأتـى منه خلف الفراش فى حين ظلت «هيرميون» صامتة.

ثم صدر صوت.. صوت أقدام تتردد فى المكـان.. لقد كان أحدهم يتحرك فى الطابق السفلى وفجأة صرخت «هيرميون»: «إننا هنا فى الطابق العلوى.. أسرعوا.. إنه «سيريوس بلاك»».

وتحرك «بلاك» فجأة بشكل انتزع «كروكشانكس» من مكانه، فجذب «هـارى» عصـاه بشدة وهـو يحمى نفسه.. مـا العمل الآن؟ ولـكـن أصـوات الأقـدام بـدأت تـقـتـرب مـنـهـم و«هـارى» لا يـفـعـل شيئًا.

وانفتح بـاب الحجرة فجأة ليندفع سيل من النجوم الحمراء، عندما استدار «هـارى» رأى الأستاذ «لوبين» يدخل إلى الغرفة شاحب الوجه، وعصاه مرفوعة جاهزة للعمل، وأدار عينيه بين «رون» الملقى على الأرض، و«هيرميون» القابعة بجوار الباب و«هـارى» واقـف، وقـد صـوب عصـاه إلى «بـلاك»، الـذى كـان مستلقيًا تنزف دماؤه تحت أقدام «هـارى».

وصـاح «لوبين»: «إكسبلارموس».

فـى الحال، طـارت الـعصـا مـن يـد «هـارى».. وكـذلك عصـا «هيرمـيـون» و«رون».. وأمسك بـهـا «لـوبين».. ثـم تـقـدم داخـل الحجـرة، وهـو يـنـظـر إلى بـلاك، الذى يجلس القـط فـوق صدره.. ووقف «هـارى» مكانه يشعر بـأنه لم يستطع عمل أى شىء.. لقد خـانـتـه أعصـابـه وسيعود «بـلاك» إلى الحراس مرة أخـرى.. إلى «أزكابـان».

وكـان وجـه «بـلاك» لا يـحـمـل أى تـعبير تـقريبًـا عنـدمـا تـكلـم «لوبين» بصوت خشن غريب: «أين هو يا «سيريوس»؟».

ولم يفهم «هـارى» من هذا الذى يتحدث عنه «لوبين».

لم يـتـحـرك «بـلاك» وإنمـا دفـع يـده بـبـطء شـديـد وأشـار إلى «رون» الذى بدا مرتبكًا، ثم نظر «لوبين» إلى «بلاك» كما لو كـان يحـاول قراءة أفكـاره.. لمـاذا لم يره قبل ذلك إلا إذا اتسعت عينـا «لوبين» كمـا لو كـان يرى شيئًا داخل «بلاك».. شيئًا لا يستطيع البـاقون أن يروه.. إلا إذا كـان... هل تحولت دون أن تخبرنى؟

وبـبـطء شـديـد أومـأ «بــلاك» دون أن تـفـارق عـيـنـاه عـيـنـى «لوبــين».

وتساءل «هـارى»: «أستـاذ «لوبين»، مـا الذى يجـ...؟».

ولكنه لم يتم سؤاله؛ لأن ما رآه جعل صوته يحتبس فى حلقه؛ لقد رأى «لوبين» يخفض عصاه، وفى الدقيقة التالية سار نحو

«بلاك» ومد يده ليجذبه نحوه ويسقط «كروكشانكس» قبل أن يعانقه كمن يعانق أخاه!

ولم يصدق «هارى» عينيه، فى حين صرخت «هيرميون»: «أنا لا أصدق!».

وترك «لوبين» «بلاك» واستدار نحوها، فنهضت واقفة وهى تشير إلى «لوبين» متمتمة: «أن... أنت».

«هيرميون».

«أنت وهو...».

««هيرميون».. اهدئى..».

عادت «هيرميون» تصيح: «أنا لم أخبر أحدًا، لقد كنت أغطى الأمر من أجلك..».

صاح «لوبين»: ««هيرميون».. اسمعينى.. لن يمكننى أن أفسر...».

وشعر «هارى» بنفسه يرتعش ليس خوفًا وإنما من شدة الغضب، فصاح فى وجه «لوبين»: «لقد وثقت بك.. وطوال الوقت وأنت صديقه!».

أجاب «لوبين»: «أنت مخطئ.. أنا لم أكن صديق «سيريوس» ولكننى أصبحت صديقه الآن.. دعنى أفسر لك الأمر..».

صرخت «هيرميون»: «لا.. «هارى» لا تثق به، لقد ساعد «بلاك» حتى يدخل القلعة.. إنه يريد موتك هو أيضًا.. إنه ذئب متحول!».

وخيم صمت مطبق على المكان وتركزت أعين الجميع على «لوبين» الذى ظل هادئًا رغم شحوبه الشديد، ثم قال: «ليس كل ما تقولينه صحيحًا يا «هيرميون».. فقط أمر واحد، فأنا لم أساعد «بلاك» فى دخول القلعة ولا أريد موت «هارى»، ولكننى لن أنكر أننى ذئب متحول».

وبذل «رون» جهدًا كبيرًا حتى ينهض، ولكنه سقط مرة أخرى فاندفع «لوبين» نحوه.. ولكن «رون» بذل جهدًا كبيرًا حتى ينهض مرة أخرى، فاندفع «لوبين» نحوه، ولكن «رون» صاح لاهثًا: ابتعد عنى أيها الذئب.

وتجمد «لوبين» فى مكانه، ثم بذل جهدًا كبيرًا قبل أن يستدير نحو «هيرميون» متسائلاً: «منذ متى وأنت تعرفين؟».

همست «هيرميون»: «منذ وقت طويل، منذ أن أنهيت مقال الأستاذ «سناب»».

قال «لوبين»: سيكون مسرورًا للغاية، فقد وضع هذا المقال وهو يأمل أن يلاحظ أحدكم الأمر، يلاحظ الأعراض التى تظهر علىَّ، هل قمت بمراجعة الخريطة الفلكية ولاحظت شحوبى عند اكتمال القمر؟ أم أنك لاحظت أن «البوجارت» تحول إلى قمر عندما رآنى؟

أجابت بهدوء: «لا.. بل راجعت الخريطة».

دفع «لوبين» ضحكة إلى وجهها، ثم قال: «إنك أمهر ساحرة فى

سنِّك يا «هيرميون».. همست «هيرميون»: «لا.. لو كنت ماهرة حقًا لأخبرت الجميع بحقيقتك».

عاد «لوبين» يقول: «ولكنهم يعرفون.. على الأقل.. المعلمون يعرفون».

لهث «رون» متسائلاً: هل قبل «دمبلدور» توظيفك رغم معرفته أنك ذئب؟! هل هُو مجنون؟».

أجاب «لوبين»: «بعض المعلمين يظنون ذلك وقد بذل «دمبلدور» جهدًا كبيرًا فى إقناع البعض بأننى أهل للثقة..».

صاح «هارى»: «وقد كان مخطئًا، لقد كنت تساعده طوال الوقت»، ثم أشار إلى «بلاك» الذى أخفى وجهه بين كفيه فى حين ظل «كروكشانكس» إلى جواره، فابتعد «رون» عنه وهو يجذب ساقه قبل أن يقول «لوبين»: «أنا لم أكن أساعد «سيريوس» إذا منحتنى فرصة؛ فسأفسر لك الأمر.. انظر..».

ثم أعاد كل عصا إلى صاحبها قبل أن يقول: «لقد أصبحتم الآن مسلحين ونحن غير مسلحين والآن، هل يمكن أن تسمعوا؟».

ولم يعرف «هارى» ما يقول.. تُرَى، هل هى خدعة جديدة؟

ولكنه تساءل: «إذا لم تكن تساعده، فكيف عرفت أنه هو؟».

أجاب «لوبين»: الخريطة.. الخريطة التى أخذتها منك، لقد كنت أفحصها فى مكتبى.

تساءل «هارى» فى شك: «هل تعرف كيف تجعلها تعمل؟».

أجاب وهو يلوح بيده فى نفاد صبر: «بالطبع.. لقد ساعدت فى كتابتها.. ولكن المهم أننى كنت أراقبها عن قرب هذا المساء؛ لأننى كنت أعرف أنكم ستحاولون التسلل إلى خارج القلعة لزيارة «هاجريد» قبل إعدام «باك بيك» وقد كنت على حق، أليس كذلك؟ وذلك رغم أنكم كنتم ترتدون عباءة والدك.. أليس كذلك؟».

«وكيف عرفت أمر هذه العباءة؟».

قال «لوبين» مرة أخرى فى ضيق: «من المرات التى رأيت «جيمس» يستخدمها، ولكن المهم أنكم ظهرتم على الخريطة وشاهدتكم وأنتم تدخلون إلى كوخ «هاجريد» ثم تركتموه بعد عشرين دقيقة وعدتم إلى القلعة، ولكن كان هناك آخر معكم».

قال «هارى»: «ماذا؟ لم يكن معنا أحد!».

قال «لوبين»: «لم أصدق عينى.. لقد ظننت أن الخريطة تخدعنى.. كيف يمكن أن يكون معكم؟».

عاد «هارى» يقول: «لم يكن هناك أحد معنا».

تابع «لوبين»: «ثم رأيت نقطة أخرى تتحرك نحوكم بسرعة وتحمل اسم «سيريوس بلاك» وقد رأيته يهاجمكم ويجذب اثنين منكم إلى تلك الحفرة أسفل جذع الشجرة العملاقة».

قال «رون» بغضب: «واحد فقط منا!».

قال «لوبين»: «لا يا «رون».. اثنان منكم».

ثم نظر له بحدة وقال: «هل يكون قد رأى الفأر؟».
أجاب «رون» متسائلاً: «ماذا؟ ما شأن «سكابرز» بالأمر؟».
كرر «لوبين»: «هل يمكن أن أراه من فضلك؟».
تردد «رون» قليلاً، ثم مد يده وأخرج «سكابرز»، وكان عليه أن يمسكه من ذيله؛ حتى يمنعه من الهرب، في حين نهض «كروكشانكس» وقد بدا عليه الترقب.. ثم اقترب «لوبين» من «رون» وبدا كما لو كان يحبس أنفاسه وهو ينظر نحو «سكابرز»، فعاد «رون» يتساءل من جديد: «ما شأن فأرى بهذا الأمر؟».
صاح «بلاك» فجأة: «هذا ليس فأرًا».
تساءل «رون» فى دهشة: «ماذا تعنى؟.. إنه فأر بالتأكيد..».
قال «لوبين» بهدوء: «لا.. ليس فأرًا.. إنه ساحر».
ثم قال «بلاك»: «نعم.. ساحر اسمه «بيتر بيتيجرو».

* * *

١٨

«مونى»، «وورمتيل»، «بادفوت» و«برونجز»

مضى بعض الوقت حتى انتهى أثر هذه العبارة ثم نطق «رون» بما كان يفكر به «هارى» فقال: «إنكما مختلان».

وقالت «هيرميون»: «هذه سخافة!».

ثم قال «هارى»: «بيتر بيتيجرو» مات، لقد قتله «بلاك» منذ اثنى عشر عامًا!».

أجاب «بلاك»: «لقد كنت أقصد ذلك ولكنه كان أفضل منى».

ثم ألقى «كروكشانكس» بعيدًا، فصرخ «رون» من الألم بسبب وزن القط الذى هبط على ساقه، ثم تقدم نحو «سكابرز» قائلاً: «ولكن، ليس هذه المرة».

صاح «لوبين»: «سيروس.. لا!»، ثم اندفع؛ ليبعده عن «رون» متابعًا: «انتظر.. لا يمكن أن تفعلها هكذا.. إنهم بحاجة لأن ينهوا الأمر.. يجب أن نشرح لهم.. صاح وهو لايزال يحاول الوصول إلى «سكابرز»: «سنشرح لهم فيما بعد!».

قال «لوبين» وهو يضغط كل كلمة فى محاولة لتهدئة «بلاك»: «إن... من... حقهم أن يعرفوا.. كل.. شىء.. لقد احتفظ به «رون» كحيوان أليف، وهناك أجزاء حتى أنا لا أفهمها و«هارى».. إنك مدين له بالحقيقة».

قال «بلاك» دون أن يبعد عينيه عن الفأر: «حسنًا.. أخبرهم بما تشاء، ولكن أسرع؛ فأنا أرغب فى ارتكاب الجريمة التى سجنت من أجلها..».

قال «رون»: «هناك شهود رأوا هذا الشخص وهو يقتل شارعًا بأكمله..».

قال «بلاك» وهو لايزال ينظر للفأر: «إنهم لم يروا ما يظنون أنهم رأوه!».

أومأ «لوبين» قائلاً: «إن الجميع يظنون أن «بلاك» قتل «بيتر» حتى أنا كنت أظن ذلك، حتى رأيت هذه الخريطة اليوم، فهذه الخريطة لا تكذب، إن «بيتر» لايزال حيًّا و«رون» يحمله بين يديه و«هارى»».

ونظر «هارى» نحو «رون»، وما إن تقابلت أعينهما حتى تفاهما دون أن ينطقا: «لقد فقد كل من «بلاك» و«لوبين» عقله، إن قصته غير مقنعة، فكيف يكون «سكابرز» هو «بيتر بيتيجرو!»».

لقد جعل «أزكابان» «بلاك» يفقد عقله، ولكن لماذا يسايره «لوبين»؟».

وأخيرًا، تكلمت «هيرميون» بصوت مرتعش: «ولكن يا أستاذ «لوبين».. لايمكن أن يكون «سكابرز» هو «بيتيجرو».. إن هذا غير ممكن وأنت تعرف..».

تساءل «لوبين» بهدوء كما لو كانوا داخل فصل: «ولماذا لا يكون هذا ممكنًا؟».

أجابته: «لأن كل ساحر أو ساحرة يستطيع التحول إلى حيوان يوضع اسمه فى سجل، ويوضع مع اسمه الصفات المميزة له، وقد رأيت بنفسى صورة الأستاذة «ماكجونجال» ضمن سبعة سحرة لهم قدرة التحول فى هذا القرن و«بيتيجرو» لم يكن ضمنهم».

وضحك «لوبين» بصوت مرتفع، ثم قال: «ما تقولينه صحيح مرة أخرى يا «هيرميون»، ولكن سجل وزارة السحر الذى تتحدثين عنه لا يعرف أن هناك ثلاثة سحرة متحولين يتجولون هنا داخل «هوجوورتس»..».

قال «بلاك» الذى لايزال يراقب «سكابرز»: «إذا كنت تريد أن تخبرهم بالقصة فابدأ يا «ريموس»، لقد انتظرت اثنى عشر عامًا ولن أنتظر أكثر من ذلك».

وفجأة، سمعوا صوتًا مرتفعًا وانفتح باب الغرفة، وخرج «لوبين»؛ ليرى ما الأمر، ثم عاد يقول: «لا أحد هناك».

فقال «رون»: «إن هذا المنزل مسكون!».

قال «لوبين»: «إن «شيريكنج شاك» لم يكن أبدًا مسكونًا، والصيحات والصرخات التى كان يسمعها أهل القرية كنت أنا الذى أقوم بها».

ودفع شعره الشائب للخلف؛ ليبعده عن عينيه، وفكر قليلاً، ثم قال: «لقد كان هذا بداية كل شىء، مع تحولى إلى ذئب، لم يكن أى شىء من هذا سيحدث لولا تلك العضة التى تعرضت لها..».

حاول «رون» أن يقاطعه، ولكن «هيرميون» أشارت له بأن يصمت، ثم عاد «لوبين» يتابع: «لقد كنت صغيرًا عندما أصبت بهذه العضة، وقد حاول والداى علاجى بكل طريقة، ولكن العلاج لم يكن متوافرًا فى تلك الأيام، والوصفة التى أعدها لى الأستاذ «سناب» كانت اكتشافًا حديثًا، ولكنها جعلتنى أعيش فى أمان كما ترون، مادمت أتناولها فى الأسبوع السابق لاكتمال القمر، فهى تجعلنى أحتفظ بعقلى عندما أتحول وأظل فى مكتبى انتظارًا لانتهاء اكتمال القمر».

«ولكن قبل اكتشاف هذه الوصفة، كنت أتحول إلى وحش فى كل شهر مرة، وبالتالى فقد كان من المستحيل أن أحضر إلى «هوجوورتس» فلن يرغب الآباء الآخرون فى تعرض أبنائهم لى».

ولكن «دمبلدور» أصبح مدير المدرسة، وقد كان عطوفًا وقال إنه مادامت المدرسة تتخذ احتياطات كافية فلا يوجد سبب يمنعنى من الالتحاق بالمدرسة، ثم نظر إلى «هارى» وعاد يتابع: «لقد أخبرتك منذ شهر أن هذه الشجرة العملاقة تمت زراعتها فى العام الذى حضرت فيه إلى «هوجوورتس»، والحقيقة أنها زرعت بسبب حضورى إلى هوجوورتس».

ثم نظر إلى الغرفة وقال: «إن هذا المنزل والنفق المؤدى له؛ تم إعدادهما من أجلى، ففى كل شهر أغادر القلعة إلى هذا المكان؛ حتى أتحول إلى ذئب، وقد تمت زراعة الشجرة عند مقدمة النفق؛

حتى تمنع أى أحد من الاقتراب منى أثناء الوقت الذى أكون فيه خطرًا على الآخرين!».

«لقد كان تحولى فى هذه الأيام مرعبًا، إنه أمر مؤلم للغاية أن تتحول إلى ذئب، كنت أسعى لعض الآدميين، ولأننى لا أجد أحدًا فإننى كنت أعض وأخمش نفسى، وكان أهل القرية يسمعون الضوضاء والصراخ وكأنهم يسمعون أرواحًا شريرة، وقد شجع «دمبلدور» على نشر هذه الشائعة، وحتى الآن ورغم أن المنزل خالٍ منذ سنوات لم يجرؤ أحد من أهل القرية على الاقتراب منه..».

«ولكن بعيدًا عن مسألة التحول، لقد كنت سعيدًا؛ لأننى ولأول مرة فى حياتى يصبح لى أصدقاء، ثلاثة أصدقاء، هم: «سيريوس بلاك».. «بيتر بيتيجرو» وبالطبع والدك يا «هارى»..«جيمس بوتر».

«وبالطبع، فقد استطاع أصدقائى الثلاثة ملاحظة غيابى كل شهر، وقد حاولت مرارًا أن أخترع أية قصة، لقد أخبرتهم أن أمى كانت مريضة، وأننى يجب أن أذهب للمنزل لزيارتها، لقد كنت أخشى أن يبتعدوا عنى إذا عرفوا حقيقتى، ولكن بالطبع، اكتشفوا الحقيقة مثلك يا «هيرميون»..».

«ولم يبتعدوا عنى مطلقًا، فبدلاً من ذلك ساعدونى وجعلوا من تحولى أفضل أوقات حياتى، لقد أصبحوا متحولين مثلى!

تساءل «هارى»: «وأبى أيضًا؟».

قال «لوبين»: «نعم.. فقد استغرق الأمر منهم ثلاث سنوات لينقذوه، وقد كان أبوك و«سيريوس» هما أمهر طلبة «هوجوورتس»، كان ذلك من حسن الحظ؛ لأن التحول قد يكون أمرًا مرعبًا إذا لم يحدث بدقة.. وأخيرًا، استطاع الثلاثة إتقان الأمر وأمكنهم أن يتحولوا إلى حيوانات وقتما شاءوا».

تساءلت «هيرميون» وقد بدا عليها الارتباك: «ولكن كيف ساعدك ذلك؟».

أجاب: «إنهم لم يستطيعوا مرافقتى كآدميين ولكنهم يرافقوننى كحيوانات، إن الذئب يشكل خطرًا على الآدميين فقط، ولذلك كانوا يتسللون من القلعة كل شهر أسفل عباءة إخفاء «جيمس» ويتحولون إلى حيوانات وبسبب تأثيرهم علىّ كنت أصبح أقل خطرًا، فقد كان جسدى جسد ذئب وعقلى منتبهًا بسببهم».

قاطعه «بلاك»: «أسرع يا ريموس».

«لوبين»: «حسنًا، لقد كان باستطاعة كل منا أن يتحول.. وبعد ذلك بقليل، أصبحنا نستطيع الخروج من المنزل والتجول ليلاً، وتحول «سيريوس» و«جيمس» إلى حيوانات كبيرة، حتى يستطيعا مراقبة الذئب وهو ما سمح لنا بمعرفة ما لم يستطع أى تلميذ فى «هوجوورتس» أن يعرفه، وبذلك استطعنا تنفيذ الخريطة ووقعناها بأسماء شهرتنا، فكان «سيريوس» هو «بادفوت»، وكان «بيتر» هو «وورمتيل»، أما «جيمس» فكان «برونجز».. وبالطبع كنت أنا «مونى»».

تساءل «هاري»: «أى نوع من الحيوانات...؟» ولكن «هيرميون» أسكتته، فعاد «لوبين» يتابع: «ولكن التجول فى الليل كان لايزال خطيرًا خاصة مع وجود ذئب، وبالطبع فقد كانت هناك أخطاء كنا نضحك منها بعد ذلك، فقد كنا صغارًا ومدفوعين بحماسنا ومهارتنا».

«كنت أحيانًا أشعر بالذنب بسبب خيانتى لثقة «دمبلدور»، فقد قبلنى ضمن صفوف «هوجوورتس» فى الوقت الذى لم يكن ليسمح فيه بذلك أى مدير آخر، ولكنه لم يعرف أن لى ثلاثة رفاق أمكنهم الحصول على قدرة التحول، ولكننى دائمًا كنت أنسى هذا الشعور بالذنب عندما كنا نجلس كل شهر؛ حتى نخطط للمغامرة».

«وطوال هذا العام وأنا أفكر هل أخبر «دمبلدور» بالحقيقة أم لا؟ ولكننى لم أفعل؛ لأننى كنت خائفًا، فهذا الاعتراف كان يعنى اعترافى بخيانة ثقته حينما كنت فى المدرسة والاعتراف بأننى قدت الآخرين للذهاب معى، وثقة «دمبلدور» تعنى كل شىء بالنسبة لى، لقد سمح لى بالالتحاق بـ«هوجوورتس» حين كنت صبيًا، وقدم لى وظيفة الآن فى الوقت الذى لم أكن أستطيع أن أجد من يقبل أن أعمل عنده؛ ولذلك أقنعت نفسى بأن «سيريوس» كان يدخل للمدرسة باستخدام فنون السحر الأسود التى تعلمها من «فولدمورت»؛ لهذا كان «سناب» على حق فى شأنى معظم الأوقات».

تساءل «بلاك» بحدة فى أول مرة يرفع فيها عينيه عن «سكابرز»: «««سناب؟».. وما شأن «سناب» بهذا الأمر؟».

قال «لوبين» بهدوء: «إنه هنا يا «سيريوس».. ويقوم بالتدريب هنا كذلك».

ثم نظر إلى «رون» و«هارى» و«هيرميون»، ثم تابع:

«لقد كان الأستاذ «سناب» فى المدرسة معنا، وحاول منع عملى بكل طريقة وظل يخبر «دمبلدور» طوال العام أننى غير أهل للثقة، وقد كانت لديه أسبابه.. فقد مارس «سيريوس» إحدى خدعه معه، وكادت أن تودى بحياته، وقد كان لى دور فيها..».

«لقد كان مهتمًا للغاية بمكان ذهابى واختفائى كل شهر، وكنا فى نفس الصف كما تعلمون و... لكن لم نكن نحب بعضنا، كما كان يكره «جيمس» على وجه الخصوص، ويغار منه، ومن موهبته فى ملعب الكويدتش.. عمومًا، لقد رآنى أسير وسط الفناء مع مدام «بومفرى» ذات مساء وهى تقودنى لتلك الشجرة، فقد كان موعد تحولى قد حان، وقد ظن «سيريوس» أنه سيكون أمرًا مثيرًا أن... أن يخبر «سناب» بما يستطيع أن يفعله حتى يتبعنى، وبالطبع، فقد حاول «سناب» أن يتبعنى، وما إن وصل إلى هذا المنزل حتى وجد نفسه فى مواجهة ذئب شرس، ولكن والدك الذى سمع بما فعله «سيريوس» تبع «سناب» وأعاده للقلعة فى مغامرة خطيرة، ولقد رآنى أثناء مغادرة النفق، إلا أن «دمبلدور» منعه من أن يخبر أحدًا، ولكنه منذ ذلك الوقت أصبح يعرف حقيقتى..».

تساءل «هارى» بهدوء: «وهذا هو السبب فى عدم حب «سناب» لك؟ إنه ظن أنك مشترك فى الدعابة».

أجاب صوت بارد من خلف «لوبين»: «هذا صحيح».

كان «سيفروس سناب» يجذب عباءة الإخفاء من فوقه، ويشير بعصاه السحرية نحو «لوبين».

* * *

١٩ خادم اللورد «فولدمورت»

صرخت «هيرميون»، وهب «بلاك» واقفًا، أما «هارى» فقفز كمن أصيب بصدمة كهربائية، ثم قال «سناب»: «لقد وجدت هذه عند قاعدة جذع الشجرة العملاقة الموجودة بفناء «هوجوورتس»، ثم ألقى بعباءة الإخفاء جانبًا وهو لايزال موجهًا عصاه مباشرة نحو صدر لوبين، ثم تابع: «لقد كانت مفيدة للغاية يا «بوتر».. «شكرًا لك»، وكان «سناب» يتنفس بصعوبة، ورغم ذلك فقد ظهر وجهه مملوءًا بفرحة الانتصار وهو يقول: «ربما تتساءلون كيف عرفت أنكم هنا؟ لقد كنت فى مكتبك لتوِّى يا «لوبين»، لقد نسيت تناول وصفتك الليلة؛ لذلك فقد أحضرتها لك، وقد كان ذلك من حسن حظى.. أعنى؛ لقد كانت تلك الخريطة على مكتبك، ونظرة واحدة أخبرتنى بكل ما أحتاج معرفته.. لقد رأيتكم تركضون عبر هذا النفق حتى هذا المنزل».

وحاول «لوبين» أن يقول شيئًا، ولكن «سناب» لم يمنحه أى فرصة وعاد يتابع: «لقد أخبرت المدير مرارًا أنك ساعدت صديقك القديم «بلاك» فى الدخول إلى القلعة يا «لوبين»، وهاهو الدليل، ولكنى لم أتصور أن تستخدم هذا المكان القديم مرة أخرى».

قال «لوبين»: «سيفروس».. إنك ترتكب خطأ كبيرًا.. أنت لا

تعرف شيئًا، يمكننى التفسير.. إن «سيريوس» ليس هنا من أجل قتل «هارى».. قال «سناب» وعيناه تلمعان فى جنون: «اثنان يذهبان إلى «أزكابان» الليلة، سأرى «دمبلدور» لهذا الأمر.. لقد كان مقتنعًا تمامًا أنك غير مؤذٍ، أنت يا «لوبين» أيها الذئب المتحول..».

قال «لوبين» بهدوء: «لا تكن أحمق.. ولا تجعل كراهيتك لأحد تلاميذ المدرسة سببًا فى إرسال شخص برىء إلى «أزكابان»».

وفجأة انطلق شىء يشبه الأسلاك من عصا «سناب» السحرية، وأحاطت بقدم ويد وفم «لوبين» الذى فقد توازنه، وسقط على الأرض غير قادر على الحركة، فاندفع «بلاك» نحو «سناب» الذى أشار سريعًا بالعصا إلى ما بين عينى «بلاك» قائلاً:

«أعطنى سببًا واحدًا.. سببًا واحدًا وأنا أقسم أن أفعلها».

وتوقف «بلاك» تمامًا وقد بدت الكراهية الشديدة على وجه كليهما، فى حين وقف «هارى» فى مكانه لا يدرى ماذا يفعل، ومن يصدق، وإنما نظر نحو «رون» و«هيرميون»؛ فبدا «رون» مرتبكًا وهو لا يزال يحاول السيطرة على «سكابرز»، أما «هيرميون» فتقدمت خطوة نحو «سناب» قائلة بصوت ضعيف: أستاذ «سناب».. لن يضرك شىء إذا سمعت ما يريد قوله.. أليس كذلك؟».

قال «سناب»: «آنسة «جرانجر».. إنك عرضة للفصل من المدرسة؛ فأنت و«بوتر» و«يزلى» حطمتم القواعد وها أنتم فى صحبة قاتل وذئب متحول، وأرجو أن تطبقى فمك لمرة واحدة فى حياتك».

«ولكن إذا كان هناك خطأ..».

صاح الأستاذ «سناب» فجأة: «اصمتى أيتها الفتاة الحمقاء ولا تتحدثى عما لا تفهمين».. ومع بعض الشرر المتطاير من طرف عصاه لم تجد «هيرميون» شيئًا تفعله سوى أن تبقى صامتة.

قال «سناب»: «كم كنت أتمنى أن أكون الشخص الذى يمسك بك. أجاب «بلاك»: «إن الدعابة تنقلب عليك مرة أخرى يا «سيفروس»، ومادام هذا الصبى سيحضر ذلك الفأر معه للقلعة فسأ...».

قال «سناب» ساخرًا: «إلى القلعة؟ لا أظن أن الأمر يحتاج إلى أن نذهب بعيدًا إلى هذا الحد، فكل ما علىّ عمله هو استدعاء الحراس حالما نخرج إلى طرف النفق، وسيسعدون لرؤيتك يا «بلاك».. سيسعدون بمنحك قبلة صغيرة..».

وما أن سمع «بلاك» ما قال حتى بهت وجهه، ثم قال بصوت متحشرج: «يجب أن تسمعنى.. الفأر.. انظر للفأر..».

ولكنه لم يهتم، ورأى «هارى» فى عينيه نظرة لم يسبق له أن رآها، ثم قال: «هيا جميعًا.. سأصحب هذا الذئب ربما يمنحه الحراس قبلة هو أيضًا..».

وقبل أن يعرف ما يفعل انطلق «هارى» ليسد الطريق أمامهم فصاح «سناب»:

«ابتعد عن الطريق يا «بوتر».. إن لديك ما يكفيك من المشاكل».

قال «هارى»: «لقد كان باستطاعة الأستاذ «لوبين» أن يقتلنى مئات المرات هذا العام، لقد كنت أجلس معه بمفردى كثيرًا أثناء دروس الدفاع ضد الحراس، وإذا كان يساعد «بلاك»، فلماذا لم يقتلنى وقتها؟».

همس «سناب»: «لا تسألنى عن الطريقة التى يفكر بها ذئب متحول.. ابتعد عن طريقى».

صاح «هارى»: «إنك إنسان مثير للشفقة، لمجرد أنهم مارسوا دعابة ضدك فى المدرسة فأنت لا تحاول أن تسمع..».

قاطعه «سناب» وقد بدا أكثر جنونًا من ذى قبل: «اصمت.. لن أسمح لأحد أن يتحدث معى بهذه الطريقة.. الأب مثل الابن يا «بوتر» لقد أنقذت حياتك لتوِّى، ومن المفروض أن تشكرنى، فلولاى لكان مصيرك الموت مثل أبيك.. ولكن عجرفتك تمنعك من تصديق أن «بلاك» يشكل خطرًا عليك، والآن ابتعد عن الطريق وإلا فسوف أبعدك أنا عن طريقى».

وفى جزء من الثانية اتخذ «هارى» قراره، وقبل أن يستطيع «سناب» أن يتقدم خطوة واحدة رفع عصاه ثم صاح: «إكسبلارموس».

وفجأة انتزع شىء من على الأرض «سناب» ليصدمه

بالحائط قبل أن يسقط على الأرض والدماء تنزف من رأسه وقد فقد وعيه.

ونظر «هارى» حوله فوجد «هيرميون» تسرع بنزع عصا «سناب» وتلقى بها على الفراش بجوار «كروكشانكس» فى حين قال «بلاك»: «لم يكن واجبًا أن تفعل هذا.. كان يجب أن تدعه لى..».

وتجنب «هارى» النظر إلى عينى «بلاك» فهو لم يكن واثقًا بعد إذا كان يفعل الشىء الصحيح، أما «هيرميون» فراحت تنظر إلى «سناب» فى فزع قائلة: «لقد قمنا بمهاجمة معلم.. قمنا بمهاجمة معلم.. يا لها من مشكلة..».

وكان «لوبين» يحاول التخلص من قيوده فانحنى «بلاك» ليساعده حتى نهض وهو يحك مكان القيود، ثم قال: «شكرًا لك يا «هارى»».

ولكن «هارى» قال: «أنا لم أقل بعد إننى أصدقك».

فقال «بلاك»: «إذًا فقد حان الوقت لنقدم لك الدليل.. أعطنى «بيتر» أيها الصبى، ولكن «رون» قرب الفأر من صدره قائلاً: «هل تريد أن تقول إنك هربت من «أزكابان» حتى تضع يديك على «سكابرز»؟ أعنى....» ثم نظر نحو «هيرميون» و«هارى» قائلاً: «حسنًا.. إنك تقول إن «بيتيجرو» تحول إلى فأر.. هناك ملايين الفئران.. كيف تعرفه بعد كل هذه السنوات التى قضيتها فى «أزكابان»؟».

قال «لوبين» وهو يستدير نحو «بلاك»: «إنه سؤال وجيه يا «سيريوس» كيف استطعت معرفته ومعرفة مكانه؟».

دس «بلاك» يده داخل ملابسه، ثم أخرج ورقة مطوية فضها أمامهم؛ فتساءل «لوبين» فجأة: «كيف حصلت على هذه؟».

أجاب «بلاك»: «من «فودج».. عندما حضر للتفتيش على «أزكابان» فى العام الماضى، أعطانى هذه الجريدة، ورأيت «بيتر» فوق كتف هذا الصبى.. لقد عرفته على الفور، وقد قال الخبر إن الصبى سيعود إلى «هوجوورتس».. إلى حيث كان هارى».

قال «لوبين» وهو ينقل عينيه بين صورة «سكابرز» فى الجريدة، وبين «سكابرز» نفسه:

«يا إلهى.. إصبعه..».

تساءل «رون»: «ماذا عنه؟».

أجاب «بلاك»: «إن إصبعه مقطوع».

زفر «لوبين»: قائلاً: «بالتأكيد.. منتهى البساطة والذكاء.. هل قطعه بنفسه؟».

أجاب «بلاك»: «قبل أن يتحول.. عندما أمسكت به، صرخ حتى يسمع الجميع أننى وشيت بصديقى «جيمس» و«ليلى». وقبل أن ألقى بتعويذتى عليه، سبقنى باستخدام عصاه المخفاة خلف ظهره، وقتل كل شخص على بعد عشرين قدمًا منه، ثم أسرع هاربًا مع باقى الفئران..».

عاد «لوبين» يقول: «ألم تسمع بهذا مطلقًا يا «رون»؟ إن أكبر جزء تبقى من «بيتر» بعد الحادث هو إصبعه».

عاد «رون» يجادل: «انظر.. ربما تعارك «سكابرز» مع فأر آخر أو أى شىء، لقد كان مع عائلتى منذ سنوات و....».

قال «لوبين»: «اثنا عشر عامًا فى الحقيقة.. ألم تتعجب أبدًا من طول عمره؟».

أجاب «رون»: «لقد.. لقد كنا نعتنى به جيدًا!».

عاد «لوبين» يقول: «إنه لا يبدو بخير الآن.. أليس كذلك؟ أظن أنه ظل يفقد وزنه منذ أن سمع عن هرب «سيريوس..».

قال «رون» مشيرًا إلى «كروكشانكس»: «لقد كان خائفًا من هذا القط المجنون!».

وهنا بدأ «هارى» يفكر: إن هذا غير صحيح.. لقد بدأ المرض يبدو على «سكابرز» قبل مقابلة «كروكشانكس».. لقد بدأ ذلك منذ عودة «رون» من مصر.. منذ الوقت الذى هرب فيه «بلاك».

قال «بلاك» وهو يضع يده فوق رأس «كروكشانكس»: «إن هذا القط لا يمكن أن يكون مجنونًا.. إنه أكثر ذكاءً.. لقد تعرف على «بيتر» بمجرد أن رآه.. وعندما قابلنى أدرك أننى لست كلبًا، واستغرق الأمر وقتًا حتى يثق بى، وأخيرًا عرف ما أهدف إليه وظل يساعدنى..».

تساءلت «هيرميون»: «ماذا تعنى؟».

أجابها: «لقد حاول أن يحضر لى «بيتر» ولكنه لم يستطع.. لذلك

فقد سرق كلمة السر الخاصة بدخول برج «جريفندور».. وكما فهمت فقد أخذها من على منضدة أحد الصبية..».

وشعر «هارى» أن عقله لا يحتمل كل ما يسمع قبل أن يتابع «لوبين»:

«ولكن «بيتر» عرف ما يجرى حوله.. وقد أخبرنى هذا القط.. أنه عض نفسه، وترك بعض نقاط من الدم على الأغطية؛ حتى يخدع الجميع ويوهمهم بأنه مات».

عاد «هارى» يتساءل: «ولماذا يخدع الجميع بموته؟ هل لأنه عرف أنك على وشك أن تقتله مثلما قتلت والدى؟!».

حاول «لوبين» التدخل: «لا.. هارى..».

ولكن «هارى» تابع: «والآن جئت لتقضى عليه».

قال «بلاك» وهو ينظر نظرة شريرة نحو «سكابرز»: «نعم».

صرخ «هارى»: كان يجب أن أترك «سناب» يأخذك.

قال «لوبين» سريعًا: «هارى».. ألا تفهم؟ لقد كنا نظن أن «سيريوس» خان والديك طوال الوقت، وأن «بيتر» هو الذى أوقع به، ولكن الأمر عكس ذلك ألا تفهم؟ إن «بيتر» هو الذى وشى بوالديك، و«سيريوس» هو الذى أمسك به...» صرخ «هارى»: «هذا ليس صحيحًا.. لقد كان كاتم أسرارهما، لقد قال ذلك.. قال إنه قتلهما!».

كان يشير نحو «بلاك» الذى هز رأسه ببطء، ثم لمعت عيناه قبل أن يقول: ««هارى» إننى أعتبر نفسى قد قتلتهما.. لقد أقنعت

«ليلى» و«جيمس» حتى يخبرانى ويعتبرا «بيتر» هو كاتم أسرارهما بدلاً منى.. وفى الليلة التى توفيا فيها كنت أرتب للذهاب إلى «بيتر»؛ حتى أتأكد من سلامته، وعندما وصلت إلى مكان اختفائه وجدته غير موجود، ولكن لم يكن هناك أى أثر للعنف فى المكان، فشعرت بالقلق.. وأسرعت إلى والديك على الفور، وعندما رأيت منزلهما وجدته محطمًا.. ووجدت جثتيهما.. وأدركت ما فعله «بيتر» وما فعلته «أنا»، ثم تحشرج صوته واستدار، فقال «لوبين» بصوت يملؤه الحزن بشكل لم يعهده «هارى»: «كفى.. لا يوجد سوى وسيلة واحدة لإثبات ذلك.. «رون».. أعطنى هذا الفأر».

تساءل «رون»: «وماذا ستفعل به إذا أعطيته لك؟».

قال «لوبين»: سأرغمه على أن يظهر نفسه، فإذا كان فأرًا حقيقيًا.. فلن يؤذيه شيء!

تردد «رون» قليلاً ثم قدم «سكابرز» إلى «لوبين».. وبدأ الفأر يتلوى ويصرخ، وعيناه تتحركان فى جنون! حتى أمسكه «لوبين»..

وتساءل: «هل أنت مستعد يا «سيريوس»؟».

كان «بلاك» قد تناول عصا «سناب» من فوق الفراش، واقترب وأمسك «سكابرز» باليد الأخرى.

وقال: «عند العد إلى ثلاثة..».

أجاب «لوبين»: «حسنًا.. مع رقم ثلاثة.. هيا.. واحد.. اثنان.. ثلاثة..».

وفجأة انبعث ضوء أزرق وأبيض من عصا «لوبين» و«بلاك» لدقيقة، و«سكابرز» معلق فى الهواء يتلوى فى جنون قبل أن يسقط على الأرض وينطلق ضوء مبهر جديد لوهلة..

كان الأمر كرؤية شجرة تنمو سريعًا، ظهر الرأس والأطراف، وفجأة ظهر رجل واقفًا فى نفس المكان الذى كان يحتله «سكابرز».

كان رجلاً قصيرًا للغاية أطول من «هارى» قليلاً، وكان شعره القصير بلا لون، وبرأسه موضعان نزع منهما الشعر، وكان مظهره المنكمش يوحى بأنه فقد الكثير من وزنه خلال وقت قصير، راح ينظر نحوهم وهو يتنفس بسرعة، ورآه «هارى» ينظر نحو الباب بين حين وآخر.

وقال «لوبين» ببرود: «حسنًا.. مرحبًا يا «بيتر».. لم أرك منذ وقت طويل».

كان صوت «بيتر» لايزال حادًا وهو يجيب: «سـ... سيريوس.. ريموس.. أصدقائى» كان «بلاك» لايزال شاهرًا عصاه فى حين أخفى «لوبين» عصاه، ونظر نحوه نظرة تحذير.. ثم عاد ينظر نحو «بيتيجرو» قائلاً بصوته المعتاد: «لقد تحدثنا عما جرى فى ليلة مصرع «جيمس» و«ليلى»، أظن أن أهم الأجزاء فاتتك وأنت تصرخ على هذا الفراش».

قال الرجل وقد بدأ العرق يظهر على وجهه: «ريموس.. لا يمكن أن تصدقه.. لقد حاول أن يقتلنى يا ريموس..».

أجاب «لوبين» ببرود أكثر: «لقد سمعنا ذلك.. ولكننى أريد أن أستوضح أمرًا أو اثنين معك.. إذا كنت....».

قاطعه «بيتيجرو» وهو يشير نحو «بلاك»: «لقد حضر وحاول قتلى مرة أخرى.. لقد قتل «ليلى» و«جيمس» والآن يحاول قتلى أنا أيضًا.. يجب أن تساعدنى يا ريموس..». ازداد شحوب وجه «بلاك» وهو يحدق فى «بيترو».. ثم قال «لوبين»:

«لن يحاول أحد أن يقتلك حتى نعرف بعض الأشياء.».

قال «بيتيجرو» وهو ينظر نحو النوافذ والباب الوحيد فى الغرفة: «بعض الأشياء؟!».

لقد كنت أعرف أنه سيأتى خلفى.. لقد كنت أعرف أنه سيعود من أجلى، وكنت أنتظر ذلك منذ اثنى عشر عامًا».

قال «لوبين» وقد رفع حاجبيه: «هل كنت تعرف أن «سيريوس» سيهرب من «أزكابان» على الرغم من أن أحدًا لم يفعل ذلك مطلقًا؟».

صاح «بيتيجرو»: «لقد كان يملك مهارات سحر أسود، وإلا فكيف كان سيهرب من هناك؟ وأظن أن «مَنْ لا يجب ذكر اسمه» علمه بعض الخداع!».

وضحك «بلاك» ضحكة مرعبة ملأت كل الحجرة ثم تساءل ساخرًا:

«علمنى «فولدمورت» بعض الخدع».

وارتعد «بيتيجرو» كما لو كان «بلاك» قد ضربه فجأة، ثم عاد

يتساءل: «ماذا.. هل أنت خائف لسماع اسمه؟ أنا لا ألومك يا «بيتر»؛ فذكرياتك معه غير سعيدة.. أليس كذلك؟».

تمتم «بيتيجرو» وأنفاسه تتسارع، ووجهه يغرقه العرق: «لا أعرف ماذا تعنى يا «سيريوس..»».

قال «بلاك»: «إنك لم تكن مختبئًا منى طوال الاثنى عشر عامًا، لقد كنت تختبئ من مساعدى «فولدمورت». لقد سمعت الكثير فى «أزكابان» يا «بيتر».. لقد ظن الجميع أنك قد لقيت مصرعك.. لقد أخبرته بكل شىء وذهب «فولدمورت» إلى آل «بوتر» تبعًا للمعلومات التى قدمتها له.. وبالطبع فليس كل مساعدى «فولدمورت» ذهبوا إلى «أزكابان».. أليس كذلك؟.. هناك الكثير منهم يتظاهرون أنهم لا يعرفون ما حدث لك، وأنك مازالت على قيد الحياة..».

قال «بيتيجرو» وقد ازدادت كثافة العرق المتصبب على وجهه:

«أنا لا أعرف ما الذى تتحدث عنه....» ثم نظر نحو «لوبين» متابعًا: «.... إنك لا تصدق هذا الهراء يا «ريموس».. أليس كذلك؟».

قال «لوبين»: «يجب أن أعترف يا «بيتر» أننى وجدت صعوبة فى فهم السبب الذى يجعل إنسانًا بريئًا يختفى فى صورة فأر لمدة اثنى عشر عامًا».

قال «بيتيجرو»: «برىء.. ولكن مذعور.. فإذا كان مساعدو

«فولدمورت» يسعون خلفى؛ فإن ذلك لأننى وضعت أحد أفضل رجالهم فى «أزكابان».. ذلك الجاسوس «سيريوس بلاك!»..».

زمجر «بلاك» وصاح فى غضب: «كيف تجرؤ؟ أنا جاسوس «فولدمورت»؟ منذ متى وأنا أتطفل على من هم أقوى منى؟ أنت كذلك يا «بيتر».. أنا لن أفهم مطلقًا لماذا لم أكتشف خيانتك منذ البداية، كنت دومًا ترغب فى وجود أصدقاء أقوى منك إلى جوارك حتى يعتنوا بك.. أليس كذلك؟ وقد كنا نقوم بهذا الدور.. أنا وريموس.. وجيمس».

مسح «بيتيجرو» وجهه مرة أخرى قبل أن يقول بأنفاس لاهثة: «أنا.. جاسوس؟! لا يمكن.. أنا لا أعرف... لا أعرف كيف تقول ذلك..».

همس «بلاك» بشراسة جعلت «بيتيجرو» يتراجع للخلف: «لقد جعل «ليلى» و«جيمس» منك كاتم أسرارهما بناء على اقتراحى.. لقد كنت أظن أنها خطة مثالية.. خطة خداع.. لقد كان «فولدمورت» سيسعى خلفى، ولن يخطر بباله مطلقًا أنهما يستخدمان شخصًا ضعيفًا وعديم المهارة مثلك.. ولابد أنها كانت أعظم لحظة فى حياتك البائسة حينما أخبرت «فولدمورت» أنك ستسلمه «آل بوتر»..».

وهنا تساءلت «هيرميون»: «أستاذ «لوبين»؟ هل.. هل يمكن أن أقول شيئًا؟».

أجابها «لوبين»: «بالتأكيد يا «هيرميون»..».

قالت: «حسنا.. إن «سكابرز».. أعنى: هذا الرجل.. كان ينام مع «رون» فى نفس الحجرة التى ينام بها «هارى» لمدة ثلاث سنوات، ولو كان يعمل لحساب.. «أنت تعرف من»، فكيف لم يحاول إيذاء «هارى» طوال هذا الوقت؟».

صاح «بيتيجرو» وهو يشير نحو «هيرميون»: «نعم.. شكرًا لك.. أرأيت يا «ريموس»؟ إننى لم أمس شعرة من «هارى».. ولماذا أفعل ذلك؟».

قال «بلاك»: «أنا أخبرك لماذا.. لأنك لم تفعل أى شىء لأى أحد إلا إذا عرفت أنه سيفيدك، ولقد اختفى «فولدمورت» لمدة اثنى عشر عامًا، وقد قالوا إنه نصف ميت، وأنت لن تخاطر بارتكاب جريمة فى وجود «ألبوس دمبلدور» تحت حماية ساحر فقد كل قوته.. أليس كذلك؟ لقد أردت أن تتأكد من أنه سيكون الأقوى قبل أن تذهب إليه، وإلا فلماذا اخترت منزلاً لأسرة كاملة من السحرة حتى تعيش معهم؟ حتى تسمع أخبار سيدك.. أليس كذلك؟ حتى إذا استعاد قوته، وأصبحت فى أمان ولحقت به فـ...».

كان «بيتيجرو» يفتح فمه ويغلقه بين حين وآخر كما لو كان قد فقد قدرته على الكلام.

بدأت «هيرميون» تتحدث قائلة: «إيه.. سيد «بلاك»..؟».

قفز «بلاك» عندما سمع من يناديه بهذا الاسم، ونظر نحو «هيرميون» بامتنان كما لو أن محادثته بهذا الأسلوب المهذب لم تحدث منذ وقت طويل. ثم تابعت «هيرميون»: «إذا لم تكن تمانع

فأنا أريد أن أعرف كيف هربت من أزكابان إذا لم تكن قد استخدمت السحر الأسود؟».

لهث «بيتيجرو» وهو يومئ نحوها: «بالضبط.. شكرًا لك.. هذا هو السؤال..» أسكته «لوبين» بنظرة حادة قبل أن يجيب «بلاك»: «لا أعرف كيف فعلت ذلك، أظن أن السبب الوحيد هو أننى لم أفقد عقلى وإيمانى بأننى برىء، ولم تكن هذه ذكرى سعيدة، لذلك لم يقتنصها الحراس منى.. ولكن ذلك جعلنى مدركًا لهويتى.. وساعدنى على أن أحتفظ بقوتى.. وعندما ازداد الأمر سوءًا.. تمكنت من التحول إلى كلب، وكما تعلمون فإن الحراس لا يرون، إنهم يتحسسون طريقهم نحو الناس عن طريق مشاعرهم.. وقد أدركوا أن مشاعرى كانت... كانت أقل آدمية عندما تحولت إلى كلب، ولكنهم اعتقدوا أننى فقدت عقلى مثل كل السجناء هناك، ولذلك لم ينزعجوا، ولكننى كنت ضعيفًا جدًّا.. ولم يكن باستطاعتى أن أبعدهم عنى بدون عصا سحرية.. حتى رأيت «بيتر» فى تلك الصورة.. وعرفت أنه فى «هوجوورتس» مع «هارى» فى مكان مثالى؛ حتى يعرف متى يستعيد السيد قوته، ويكون هو على استعداد لبدء هجومه لعمل شىء ما.. لقد كنت الوحيد الذى يعرف أن «بيتر» مازال على قيد الحياة..».

وهنا تذكر «هارى» ما قاله السيد «ويزلى» إلى زوجته: «لقد قال الحراس إنه كان يتحدث أثناء نومه ويقول دومًا نفس الكلمات.. لقد كان يقول: إنه فى «هوجوورتس»».

«.. كان الأمر كما لو أن أحدهم قد أشعل حريقًا فى رأسى.. وبالطبع لم يستطع الحراس تدميره فهذا لم يكن شعورًا سعيدًا.. لقد كان أمرًا مثيرًا للغضب ولكنه منحنى القوة.. لقد جعل عقلى صافيًا.. ولذلك.. وفى ذات ليلة.. تسللت من أمامهم كأننى كلب؛ فقد كان من الصعب عليهم إدراك مشاعر الحيوانات، لقد كانت تربكهم.. ولقد كنت نحيفًا.. نحيفًا للغاية، لدرجة جعلتنى أستطيع المرور من بين القضبان، وسبحت حتى وصلت للأرض، ثم إلى أرض «هوجوورتس» بنفس صورتى: الكلب.. وطوال هذا الوقت وأنا أعيش فى الغابة إلا عندما حضرت لمباراة «الكويدتش».. لقد كنت تطير تمامًا مثلما كان يفعل والدك يا هارى..».

ونظر إلى «هارى» الذى لم ينظر بعيدًا هذه المرة، ثم تابع:

«... صدقنى.. صدقنى أنا لم أخن والديك.. لقد كان الموت أفضل عندى من خيانتهما».

وأخيرًا صدقه «هارى»، وبدون أن ينطق أومأ نحوه، وكأنما كانت هذه الإيماءة بمثابة حكم بالإعدام، فقد صرخ «بيتر» وجثا على ركبتيه، ورفع يديه متوسلاً: «سيريوس».. أنا.. أنا.. «بيتر» صديقك.. وأنت لن..».

ثم استدار نحو «لوبين»: «ريموس.. أنت لا تصدق هذا.. لو كان كذلك لما أخبرك بتغير الخطة».

قال «لوبين»: «ليس إلا إذا ظن أننى جاسوس يا «بيتر» وأظن

أن هـذا هـو السبب الـذى جـعـلك لا تـخبرنـى، ألـيس كـذلك يـا «سيريوس»؟».

أجابه «بلاك»: «سامحنى يا ريموس».

قال «لوبين»: «تمامًا يا صديقى.. وهل ستسامحنى أنت أيضًا لأننى ظننت أنك كنت جاسوسًا؟».

أجاب «بلاك» وقد بدأ شبح ابتسامة فى الظهور على وجهه: «بالطبع.. هل سنقتله معًا؟».

أجابه «لوبين»: «نعم.. أظن ذلك».

صاح «بيتيجرو» فجأة: «لا.. لا.. لن تفعلا ذلك» ثم أسرع نحو «رون» متابعًا: «رون».. ألم أكن صديقًا طيبًا وحيوانًا مسالمًا؟! هل ستتركهما يقتلاننى؟ أنت فى صفى، أليس كذلك؟».

حدق به «رون» ثم قال: «لقد تركتك تنام فى فراشك!».

عاد «بيتر» يقول: «فتى عطوف.. بل سيد عطوف.. أنت لن تدعهما يفعلان ذلك.. لقد كنت فأرك.. وكنت حيوانًا طيبًا، أليس كذلك؟».

ولكن «رون» لم يجبه، وإنما أبعد ساقه المكسورة عن متناوله، وقد شحب وجهه بشدة من فرط الألم، فاتجه الآخر إلى «هيرميون» قائلاً: «أيتها الفتاة الجميلة.. الفتاة الماهرة.. أنت.. أنت.. ساعدينى..».

أبعدت نفسها عنه، وتراجعت نحو الحائط فى فزع؛ فارتعش

الرجل بشدة واتجه نحو «هاري» ببطء: «هاري.. هاري.. إنك تشبه والدك تمامًا.. تمامًا مثله..».

وصرخ «بلاك»: «كيف تجرؤ على أن تتحدث إلى «هاري»؟ كيف تجرؤ على مواجهته؟ وكيف تتحدث عن «جيمس» أمامه؟».

ولكنه استمر في اقترابه من «هاري» متابعًا: ««جيمس» لم يكن ليريد قتلي، كان سيتفهم الأمر.. «هاري».. لقد كان سيرحمني..».

وتقدم كل من «بلاك» و«لوبين» نحوه، وجذباه بعيدًا نحو الأرض، فجلس يتلوى من الرعب وهو يحدق فيهما.

قال «بلاك»: «لقد بعت «ليلي» و«جيمس» إلى «فولدمورت».. هل تنكر ذلك؟».

انفجرت دموع «بيتيجرو»، فبدا كطفل صغير يصرخ على الأرض، ثم قال:

««سيريوس».. ماذا كان بوسعي أن أفعل؟.. إنه شرير.. ليس لديك أي فكرة.. إنه يملك أسلحة لا يمكنك تصورها.. لقد كنت خائفًا.. أنا لم أكن مطلقًا شجاعًا مثلك أو مثل «ريموس» أو «جيمس»، أنا لم أقصد أن يحدث ذلك مطلقًا، لقد أجبرني على ذلك».

واستمر «بيتيجرو» يصرخ: «لقد كان مسيطرًا على الجميع، فما الفائدة من رفض أوامره؟» ما الفائدة من محاربة أكثر السحرة شرًّا في العالم؟ لقد كان سيقتلني!».

صرخ فيه «بلاك» مرة أخرى: «إذن، فقد كان يجب أن تموت بدلاً من أن تخون صديقك تمامًا كما فعلنا من أجلك!».

ووقف هو و«لوبين» جنبًا إلى جنب وهما يرفعان عصيهما فى مواجهته قبل أن يقول «لوبين» بهدوء: «لابد أنك عرفت الآن.. فلو لم يكن «فولدمورت» قتلك، فسنقتلك نحن الآن.. إلى اللقاء يا «بيتر».

وغطت «هيرميون» وجهها فى خوف، ثم استدارت نحو الحائط فى حين أسرع «هارى» ليقف بينهما وبينه صائحًا: «لا.. لا يمكن أن تقتلاه».

ونظر كل من «بلاك» و«لوبين» إلى بعضهما البعض فى دهشة قبل أن يقول «بلاك»: ««هارى».. إن هذا الشىء هو السبب فى موت والديك.. وكان يمكن أن يتسبب فى موتك أنت أيضًا.. لقد سمعته.. إن حياته تهمه أكثر من حياة كل عائلتك». قال «هارى»: «أعرف.. سنأخذه معنا إلى القلعة ونسلمه للحراس حتى يذهبوا به إلى «أزكابان».. ولكن لا تقتلاه».

صاح «بيتيجرو» وهو يحيط ساقىْ «هارى» بذراعيه: ««هارى».. أنت.. شكرًا لك.. هذا أكثر مما أستحق.. شكرًا لك».

دفعه «هارى» بعيدًا فى تقزز: «ابتعد عنى.. أنا لا أفعل هذا من أجلك، أنا أفعل ذلك لأن والدى لم يكن ليرغب فى أن يصبح أفضل أصدقائه قاتلين، لقد فعلت ذلك من أجله فقط!».

ولم يتحرك أحد، وصمت المكان إلا من صوت انتحاب

«بيتيجرو» ،وراح كل من «بلاك» و«لوبين» ينظران لبعضهما البعض قبل أن يخفض كل منهما عصاه ويقول «بلاك»: «أنت الشخص الوحيد الذى يملك هذا القرار، ولكن.. فكر.. فكر فيما فعله..». كرر «هارى»: «سيذهب إلى «أزكابان»، فلو أن هناك من يستحق الذهاب إلى هذا المكان فسيكون هو..».

كان «بيتيجرو» لايزال ينتحب خلفه حتى قال «لوبين»: «حسنًا.. ابتعد قليلاً يا «هارى». وتردد «هارى» قليلا فعاد «لوبين» يقول: «سأقيده فقط.. أقسم لك».

وابتعد «هارى» قليلاً لتخرج بعض الحبال من عصا «لوبين» وتلتف حول «بيتيجرو»، وهنا قال «بلاك»: «ولكن إذا تحولت يا «بيتر».. فسوف نقتلك.. أنت موافق على ذلك يا «هارى»؟».

نظر نحوه حتى يراه ثم أومأ إلى «بلاك» موافقًا؛ فقال «لوبين»: «حسنًا.. رون.. أنا لا أستطيع أن أعالج عظامك مثل مدام «بومفرى».. لذلك فمن الأفضل أن نذهب بك إلى المستشفى».

ثم أسرع نحو «رون»، وانحنى على ساقه ولمسها بعصاه وهو يتمتم: «فيترولا». فالتفت حولها الأربطة البيضاء سريعًا، ثم ساعده على الوقوف؛ فنهض «رون» قائلاً: «هذا أفضل.. شكرًا لك».

ثم تساءلت «هيرميون»: «وماذا عن الأستاذ «سناب»؟».

قال «لوبين» وهو ينحنى نحوه ليجس نبضه: «الإصابة ليست خطيرة.. ولكن من الأفضل أن نقيده حتى نصل إلى القلعة».

وبالفعل مسه بعصاه فالتفت قيود على يديه وساقيه وارتفع عن الأرض قليلاً، ورأسه لاتزال مدلاة كإحدى العرائس، ثم عاد «لوبين» يقول: «ويجب أن يقيد أحدنا مع هذا، ثم أشار نحو «بيتيجرو». فقال «بلاك»: «أنا سأقيد نفسى معه. ثم قال «رون»: «وأنا أيضًا».

كان ينظر للأمر وكأن اكتشاف شخصية «سكابرز» الحقيقية إهانة له، وخلال ثوانٍ كانت يد «بيتر» اليمنى مقيدة فى يد «بلاك» اليسرى، ويده اليسرى مقيدة فى يد «رون» اليمنى.

بعدها طوى «لوبين» عباءة الإخفاء، ووضعها فى جيبه، ثم أشار للجميع بالتحرك.. فقفز «كروكشانكس» من فوق الفراش، وتقدمهم وهو يرفع ذيله الكبير لأعلى فى خيلاء.

* * *

٢٠ قُبلة الحرس

لم ينضم «هارى» إلى مجموعة أغرب من هذه.. كان «كروكشانكس» فى المقدمة، وخلفه «لوبين» و«بيتيجرو» و«رون»، ثم الأستاذ «سناب» مرفوعًا عن الأرض، وأطراف أصابعه تصطدم بالأرض، ومن خلف الجميع كان «سيريوس» و«هارى» و«هيرميون».

ولم تكن العودة للنفق سهلة، فقد كان على «لوبين» و«بيتيجرو» و«رون» أن يدخلوه بالعكس، ودخل «هارى» بعد «سيريوس» الذى لايزال يوجه عصاه نحو «سناب»، والذى ظل مرتفعًا فى الهواء وهو فاقد الوعى، ورأسه تصطدم بالسقف المنخفض. وشعر «هارى» أن «سيريوس» لا يبذل جهدًا فى منع ذلك، حتى قال: «هل تعرف ماذا يعنى ذلك يا «هارى»؛ أعنى إعادة «بيتيجرو» إلى «أزكابان»؟».

أجاب «هارى»: «يعنى أنك أصبحت حرًا».

قال «سيريوس»: «نعم.. ولكن.. أنا لا أعرف إذا كان هناك من أخبرك أم لا.. إننى أبوك الروحى».

أجاب «هارى»: «نعم.. لقد عرفت ذلك..».

عاد «سيريوس» يقول: «حسنًا.. لقد عيننى والداك حارسًا لك.. إذا حدث أى شىء لهما و....».

وانتظر «هارى» متسائلاً: «هل يعنى «سيريوس» ما كان يفكر به؟».

«بالطبع أنا سأتفهم الأمر إذا رغبت فى البقاء مع خالتك وزوجها، ولكن.. حسنًا.. فكر «هارى» سريعًا: «ماذا.. أعيش معك؟ وأترك منزل «درسلى»؟» أجاب «سيريوس»: «بالطبع.. لقد ظننت أنك لا ترغب فى ذلك.. أنا فقط ظننت أنك بيـ...»، قاطعه «هارى»: «هل أنت مجنون؟ بالطبع أنا أريد أن أهجر منزل آل «درسلى».. هل لديك منزل؟ متى يمكننا الذهاب إليه؟».

واستدار «سيريوس» لينظر له، وكانت رأس «سناب» تحتك بالسقف، إلا أنه لم يهتم وإنما تساءل: «هل ترغب فى ذلك؟ هل أنت واثق؟».

أجاب «هارى»: «نعم.. أنا واثق».

ولأول مرة يرى «هارى» ابتسامة حقيقية على وجه «سيريوس»، شعر أنه ينظر إلى شخص أصغر بعشر سنوات، وللحظات رأى «هارى» ذلك الشخص الذى كان يضحك فى صورة زفاف والديه.

ولم يتكلما مرة أخرى حتى وصلا إلى نهاية النفق، وصعد «كروكشانكس» أولاً ثم تبعه الآخرون، وكان الفناء مظلمًا تمامًا إلا من بعض الأضواء القادمة من النوافذ البعيدة فى القلعة، كان «بيتيجرو» لايزال ينتحب، أما «هارى» فقد كان عقله يدور.. سيترك منزل آل «درسلى» وسيعيش مع «بلاك»؛ أفضل صديق

لوالديه.. كان يشعر بالدوار من كل هذه المفاجآت.. ترى كيف سيكون الأمر عندما يخبر خالته وزوجها أنه سيعيش مع ذلك القاتل الذى ظهر أمامهم فى التلفاز؟!

وتابعوا سيرهم جميعًا، وضوء القمر يلقى بظلالهم أمامهم حتى توقف «لوبين» فجأة، فأشار «سيريوس» إلى كل من «هارى» و«هيرِميون» بالتوقف، ولهثت «هيرميون» قائلة: «يا إلهى.. إنه لم يتناول الوصفة اليوم.. إنه ليس فى مأمن!».

همس «سيريوس»: «اركضوا».

وبالطبع لم يستطع أحد التحرك، لقد وقف «هارى» غير قادر على الحركة، أما «رون» فكان مقيدًا مع «لوبين» و«بيتر» كما أن ساقه كانت مكسورة، وبدأ صوت «لوبين» يرتفع، فأمسك به «سيريوس» قائلاً: «دعه لى».

بدأ رأس «لوبين» يطول، وانحنى ظهره، وانكمش كتفاه، وبدأ الشعر ينتشر على وجهه ويديه اللتين تحولتا إلى قوائم ذات مخالب حادة، فتراجع «كروكشانكس» للخلف فى فزع.

وفجأة اختفى «سيريوس» من جانب «هارى».. لقد تحول وظهر مكانه ذلك الكلب الأسود العملاق مرة أخرى.. وانطلق الكلب نحو الذئب وسحبه بعيدًا من رقبته، ووقف «هارى» يشاهد ما يحدث، ولم ينبهه سوى صرخة «هيرميون».

كان «بيتيجرو» قد انحنى ليتناول عصا «لوبين» التى سقطت منه ونتيجة لحركة «بيتر» المفاجئة سقط «رون» دون حركة على

الأرض، فصاح «هارى» وهو يوجه عصاه نحو «بيتيجرو»: «اكسلارموس»، فطارت عصا لوبين من يد «بيتيجرو»، فاندفع «هارى» نحوه متابعًا: «ابقَ مكانك».

ولكن فات الوقت، لقد تحول «بيتيجرو»، ورأى «هارى» ذلك الفأر يندفع فوق ذراع «رون» الممدودة على الحشائش.

وفى الجانب الآخر كانت زمجرة الكلب والذئب ترتفع، وعندما استدار «هارى» وجد الذئب يركض نحو الغابة؛ فصاح: «سيريوس».. لقد ذهب.. لقد تحول «بيتيجرو».

كان «سيريوس» ينزف من رأسه وظهره، ولكنه نهض مرة أخرى مع صوت «هارى»، وانطلق مبتعدًا؛ فاتجه كل من «هارى» و«هيرميون» نحو «رون»، وهمست «هيرميون» متسائلة: «ماذا فعل له؟».

كانت عيناه مفتوحتين، وكذلك فمه، ولكنه كان على قيد الحياة، فقد استطاعا سماع صوت أنفاسه، ولكنه لم يستطع أن يتعرف عليهما؛ فأجاب «هارى»: «لا أعرف» ثم نظر حوله فلم يجد أى أثر لـ «بلاك» أو «لوبين»، ولم يبقَ معهم سوى «سناب» الذى ظل معلقًا فى الهواء وهو فاقد الوعى، فقال «هارى»: «ربما يجب أن نأخذهم للقلعة، ونخبر أحدًا بما حدث».

ودفع «هارى» شعره بعيدًا عن عينيه، وهمّ بالتحرك لولا أنه سمع صوتًا يأتى من جانب الغابة فقال: «سيريوس؟!».

واتخذ قراره سريعًا.. لم يكن لديه ما يفعله من أجل «رون» وقد

كان الصوت يوحى بأن «بلاك» فى مأزق؛ فانطلق «هارى» نحو الصوت ومن خلفه «هيرميون». كان الصوت يبدو قادمًا من جانب البحيرة، وفجأة بدأ «هارى» يشعر ببرودة دون أن يدرك ما تعنيه هذه البرودة.

وفجأة توقف الصوت، وما إن وصلا إلى شاطئ البحيرة؛ حتى وجدا «سيريوس» وقد عاد رجلاً مرة أخرى، ووقف هناك ويداه فوق رأسه وهو يقول: «لاااا.. لاا.. أرجوكم».

وهنا رآهم «هارى».. الحراس.. على الأقل مائة حارس يحيطون بالبحيرة، وبدأت البرودة تجتاحه، وذلك الضباب يكثف عقله؛ فصاح سريعًا: ««هيرميون».. فكرى فى أى شىء سعيد».

ثم رفع عصاه وراح يهز رأسه حتى يتخلص من ذلك الصوت الذى بدأ يتردد بداخلها.. ثم راح يردد فى داخله:

«سأعيش مع أبى الروحى.. وسأترك منزل آل «درسلى»».

كان يدفع نفسه للتفكير فى «سيريوس» فقط ثم راح يردد:

«اكسبكتو باترونام.. اكسبكتو باترونام».

وارتعش «بلاك» فجأة، ثم تمشى على الأرض دون حركة وقد شحب وجهه كالموتى.

«سيكون على ما يرام.. سأذهب وأعيش معه».

«هيرميون» ساعدينى.. إكسبكتو باترونام.. إكسبكتو باترونام..».

وبدأت «هيرميون» تهمس: «إكسبكتو باترونام.. إكسبكتو....».

ولكنها لم تستطع.. لقد بدأ الحراس يقتربون على بعد عشر أقدام منهما، وقد كونوا حلقة حولهما، واستمروا فى الاقتراب. فى حين استمر «هارى» فى الصياح: «إكسبكتو باترونام.. إكسبكتو باترونام».

كان «هارى» يشعر بأن الحراس يراقبونه، وكان يسمع صوت خشخشة أنفاسهم وكأنها ريح شريرة تهب حوله، ورأى أقرب حارس منه يقصده.. ورفع يديه وأحنى رأسه.

حيث يجب أن تكون العينان.. كان هناك شق رمادى رفيع فى الجلد المجعد.. ترتكزان على مقلتين فارغتين.. لكن كان لديه فم؛ فتحة تشبه الثقب الذى لاشكل له.. ينفث الهواء بصوت مثل خشخشة الموت.

ولم يستطيع «هارى» أن يتحرك.. كمن أصابه شلل.. لم يستطع أن يتكلم.. وكان الضباب يمنعه من الرؤية، ومن القتال.. وسمع صوت صرخات مألوفة: «إكسبكتو باترونام».

ثم.. امتدت يدان قويتان رطبتان وأحاطتا برقبته.. كانا يرغمانه على أن يرفع وجهه.. كان يشعر بأنفاسه.. لقد قرروا الخلاص منه أولاً.. أحس بأنفاسه الكريهة.. وكانت والدته تصرخ فى أذنيه.. إنها آخر صوت سوف يسمعه.

وفجأة اندفع خيط رفيع من الضباب الفضى من طرف عصاه، وفى نفس الوقت لاحظ أن «هيرميون» قد فقدت وعيها.. لقد أصبح بمفرده الآن، وشعر «هارى» بركبتيه ترتطمان بالحشائش

الباردة والضباب يحيط به ويغطى عينيه، وبكل ما يملك من جهد حاول أن يتذكر: «سيريوس» كان بريئًا.. بريئًا.. سنكون على ما يرام.. وسأعيش معه، ولهث: «إكسبكتو باترونام».

ووسط كل ذلك.. ووسط همهمات الحراس المميتة؛ رأى «هارى» وسط كل ذلك الضباب ضوءًا فضيًّا ازداد بريقًا، ثم شعر بنفسه يسقط فوق ذلك الضوء وقد اختفى ورأى الحشائش.. وتوقفت صرخات أمه التى كانت تتردد فى أذنيه، وكانت هذه البرودة قد ابتعدت تمامًا.. لقد أبعد شىء ما الحراس عن المكان.. وبدأت أصواتهم تخفت شيئًا فشيئًا، لقد ذهبوا، وعاد الهواء دافئًا كما كان.

وبما تبقى له من قوة رفع «هارى» رأسه قليلاً؛ ليرى حيوانًا يجرى بجوار البحيرة، حاول «هارى» أن يتبين حقيقته، ولكنه لم يستطع، وإن رأى من يرحب به عند الطرف الآخر من البحيرة.. ويرفع يده ليربت عليه.. شخصًا بدا له مألوفا.. ولكن، كيف؟

ولم يفهم «هارى».. لم يعد لديه أى قدرة أخرى على التفكير.. لقد شعر أن قوته نضبت، فاصطدمت رأسه بالأرض، وغاب عن الوعى!

* * *

٢١ سـر «هيرميون»

«عمل غير معقول.. غير معقول.. إنها معجزة أن أحداً منهم لم ينله سوء أو يمت.. إننى لم أسمع بشىء كهذا مطلقاً.. لقد كان وجودك هناك من حسن الحظ يا «سناب».

«شكراً لك أيها الوزير».

«لقد نالك جرح كبير هنا.. هل هو من عمل «بلاك»؟».

«فى الحقيقة.. إنه عمل «بوتر» و«ويزلى» و«جرانجر» أيها الوزير».

«لا!».

«لقد خدعهم «بلاك».. فقد مارس عليهم سحره حتى يقنعهم بأنه برىء، وبدأوا بالفعل يظنون ذلك، وبالطبع فإنهم لم يكونوا مسئولين عن أعمالهم، وعلى الجانب الآخر فربما يكون تدخلهم هو الذى منح «بلاك» فرصة الهرب.. لقد كانوا يظنون أنهم يستطيعون القبض على «بلاك» وحدهم، ولأنهم متفوقون، وأظن أن هذا هو ما جعلهم يعتقدون أن لهم الحق فى عمل أشياء كثيرة، وبالذات «بوتر» الذى كان دوماً يصرح له بأشياء إضافية من مدير المدرسة».

«آه.. «سناب».. إنه «هارى بوتر» كما تعلم.. إننا جميعاً نعرف مدى تورطه فى تلك الأمور».

«والآن يا سيدى.. هل هو أمر طيب أن يمنح هذه الامتيازات؟! أنا شخصياً أعامله كأى تلميذ آخر. وأى تلميذ غيره كان على الأقل سيعاقب بسبب تسببه فى إلحاق مثل هذا الضرر بزملائه، وتعريضهم لهذا الخطر، لقد تحدى قوانين المدرسة رغم كل التحذيرات التى وضعت من أجل حمايته، وتخطى حدود الالتزام بها فى الليل، وتسبب فى مواجهة زملائه لذئب متحول وقاتل، ولدى أسباب تجعلنى أظن أنه كان يذهب إلى «هوجسميد» بطريقة غير شرعية أيضاً».

«حسناً.. حسناً.. سنرى.. لقد تصرف الصبى بحماقة بلا شك».

استمع «هارى» لهذا الحديث الدائر حوله، وكأنه من بعيد وعيناه مغلقتان، وكان يعانى من صعوبة فى إدراك ما يجرى حوله، ولا يشعر بأطرافه، ويشعر بثقل جفنيه حتى أنه لا يقوى على رفعهما.. وكان يشعر أنه يريد أن يبقى فى فراشه هكذا للأبد..

وعاد الوزير يقول: «إن أكثر ما يثير تعجبى هو تصرف الحراس.. أليس لديك أى فكرة عن سبب تراجعهم يا سناب؟».

أجاب «سناب»: «لا يا سيدى، فعندما وصلت إلى هناك كانوا يعودون إلى أماكنهم عند المداخل..».

«أمر مثير، وفى النهاية كان «بلاك» و«هارى» والفتاة.. كانوا جميعاً فاقدى الوعى عندما وصلت إليهم، فقمت بتقييد «بلاك» وأعدت الجميع إلى القلعة.

وشعر «هارى» بعقله يستعيد جزءاً من نشاطه، ففتح عينيه

ليجد كل شيء أمامه غائمًا.. لقد نزع أحدهم نظارته وهو الآن يرقد فى المستشفى، واستطاع أن يميز مدام «بومفرى» تقف وظهرها له وهى تنحنى على أحد الأسرَّة، وعندما نظر «هارى» رأى شعر «رون» الأحمر أسفل ذراعها.

وعلى اليمين كانت ترقد «هيرميون» ويغمر فراشها ضوء القمر، كانت عيناها مفتوحتين، وعندما لاحظت أن «هارى» استيقظ أشارت له بالصمت وهى تومئ نحو الباب، كانت أصوات «كورنليوس فودج» و«سناب» تأتى من الممر المواجه للغرفة، وتقدمت مدام «بومفرى» نحو فراش «هارى» واستدار لينظر نحوها فوجدها تحمل أكبر قطعة شيكولاته رآها فى حياته. كانت تبدو مثل كتلة صغيرة من الحجر وضعتها على المنضدة المجاورة لفراش «هارى» قائلة: «آه.. لقد استيقظت!».

تساءل «هارى»: «كيف حال «رون»؟».

أجابته مبتسمة: «سيعيش.. أما بالنسبة لكما فستظلان هنا.. «بوتر».. ماذا تظن أنك تفعل؟».

جلس «هارى» فى فراشه، وارتدى نظارته ثم أمسك بعصاه السحرية وقال: «أريد مقابلة المدير».

قالت مدام «بومفرى»: ««بوتر».. إن كل شيء على ما يرام.. لقد أمسكوا بـ «بلاك» وهو سجين الدور العلوى وسيقوم الحراس بالقبلة فى أى وقت..».

«ماذا؟».

وقفز «هارى» من فراشه، وكذلك فعلت «هيرميون»، ولكن صيحته كانت مسموعة فى الخارج، وبعد ثانية واحدة كان «سناب» و«فودچ» داخل الحجرة وقال الأخير:

««هارى».. «هارى» ما هذا؟ يجب أن تبقى فى الفراش.. هل تناولت شيكولاته؟».

قال «هارى»: «اسمعنى يا سيدى الوزير.. إن «سيريوس بلاك» برىء، لقد خدع «بيتر بيتيجرو» الجميع وأوهمهم أنه قُتِل، لقد رأيناه الليلة، لا يمكن أن تسمح أن يقوم الحراس بهذا الشىء مع «سيريوس».. إنه..».

ولكن «فودچ» كان يهز رأسه مبتسمًا ثم قال: ««هارى»، «هارى»، إنك مرتبك بشدة، لقد مررت بتجربة مميتة، عد إلى فراشك، إننا نسيطر على كل شىء و...».

قاطعه «هارى» صارخًا: «لا.. لقد أمسكتم بالرجل الخطأ».

ثم تدخلت «هيرميون» قائلة: «سيدى الوزير.. اسمعنى من فضلك، لقد رأيته أنا أيضًا، كان متخفيًا فى صورة فأر «رون»، إن «بيتيجرو» له القدرة على التحول، أعنى.. و..».

قال «سناب»: «أترى يا سيدى الوزير؟ لقد خدعهما.. لقد قام «بلاك» بعمل بارع». صاح «هارى»: «إنه لم يخدعنا!».

قالت مدام «بومفرى» بغضب: «سيدى الوزير!.. أستاذ «سناب».. لابد أن أصر على مغادرتكما المكان.. إن «بوتر» مريض ويجب ألا يتعرض للإجهاد».

عاد «هارى» يقول فى إصرار: «أنا لست مريضًا.. أنا أحاول أن أخبرهما بما حدث، ولكن لو يستمعان لى فقط..».

وفجأة دفعت مدام «بومفرى» قطعة شيكولاته فى فم «هارى» فصمت لتنتهز الفرصة حتى تعيده للفراش.

فقال «سناب»: «والآن يا سيدى الوزير إن هؤلاء الأطفال بحاجة للرعاية و...» انفتح الباب، كان «دمبلدور» فابتلع «هارى» قطعة الشيكولاته بصعوبة، ثم نهض مرة أخرى وقال: «أستاذ «دمبلدور».. إن «سيريوس بلاك»...».

صاحت مدام «بومفرى»: «هل هذا مستشفى أم ماذا؟ سيدى المدير من فضلك...».

قاطعها «دمبلدور» بهدوء: «عفوًا يا سيدتى، ولكننى أريد أن أتحدث مع السيد «بوتر» والآنسة «جرانجر»، فقد كنت أتحدث لتوى مع «سيريوس بلاك»..».

قاطعه «سناب»: «أظن أنه أخبرك بنفس القصة التى زرعها فى ذهن «بوتر»؛ شىء ما عن ذلك الفأر، وأن «بيتيجرو» مازال على قيد الحياة..».

أجاب «دمبلدور» وهو يتفحص «سناب» من أسفل منظاره: «هذا فى الواقع هو ما أخبرنى به بلاك».

عاد «سناب» يقول: «ودليلى...».. هل لا يمثل أى شىء؟ إن «بيتر بيتيجرو» لم يكن فى «شريكنج شاك» وأنا لم أرَ أى أثر له فى الفناء».

قاطعته «هيرميون»: «لأنك فقدت وعيك يا أستاذ، إنك لم تصل في الوقت المناسب لسماع....» صاح فيها «سناب»: «آنسة «جرانجر».. احترسى لما تقولين!».

وهنا قال «فودج»: «والآن يا سناب، إن الآنسة غير مدركة لما تقول، والمفروض أن..» وتدخل «دمبلدور» قائلاً: «أنا أريد التحدث مع «هارى» و«هيرميون» بمفردنا، «كورنليوس»، «سيفروس»، «بومفرى».. أرجو أن تتركونا!».

قالت مدام «بومفرى»: «سيدى المدير.. إنهم بحاجة للعلاج والراحة و....».

قال «دمبلدور»: «هذا لا يمكن تأجيله.. إننى أصر على ذلك».

وخرجت مدام «بومفرى» من المكان، وصفقت الباب خلفها، فى حين أخرج «فودج» ساعته الذهبية ونظر فيها، ثم قال: «لابد أن الحراس قد وصلوا الآن.. سأذهب لمقابلتهم، وسأراك فى الدور العلوى يا «دمبلدور».

وغادر المكان تاركًا الباب مفتوحًا من أجل «سناب»، ولكن «سناب» لم يتحرك، وإنما همس وعيناه مركزتان على «دمبلدور»: «أنت بالتأكيد لا تصدق كلمة واحدة من قصة «بلاك»، كرر «دمبلدور»: «إننى أريد أن أتكلم مع «هارى» و«هيرميون» وحدهما».

وتقدم «سناب» خطوة نحو «دمبلدور» قائلاً: «لقد أرانا «بلاك»

أنه قادر على القتل فى العام السادس عشر من عمره، وأنت لم تنس هذا يا سيدى المدير.. أليس كذلك؟

أنت لم تنسَ أنه حاول قتلى قبل ذلك.. أليس كذلك؟».

أجاب «دمبلدور» بهدوء: «إن ذاكرتى بخير كما كانت دائمًا يا «سيفروس»..».

استدار «سناب» وخرج من الباب، ثم استدار «دمبلدور» نحو «هارى» و«هيرميون» اللذين انطلقا فى الحديث فى نفس الوقت:

«سيدى.. لقد أخبرك «بلاك» بالحقيقة، لقد رأينا «بيتيجرو»..».

«لقد هرب عندما تحول الأستاذ «لوبين» إلى ذئب..».

«إنه فأر..».

«لقد قطع إصبعه».

«ولقد هاجم «بيتيجرو» «رون» وليس «سيريوس»..».

ورفع «دمبلدور» يده ليوقف هذا السيل من التفسيرات، ثم قال بهدوء:

«هذا دوركما لتسمعا، وأرجو ألا تقاطعانى لأن الوقت ضيق، لا يوجد أى دليل يثبت صحة كلام «بلاك» إلا شهادتكما.. والكلام الذى يقوله طفلان فى مثل سِنّكما لن يقنع أحدًا، لقد شهدت مجموعة كبيرة من الناس فى الشارع أن «سيريوس» قتل «بيتيجرو»، وأنا نفسى قدمت دليلاً لوزارة السحر على أنه كان كاتم أسرار والديك يا «بوتر»». قال «هارى» وهو لا يستطيع أن يمنع نفسه: «أنا أستطيع أن أخبرك يا سيدى وكذلك يستطيع الأستاذ «لوبين» أن يخبرك..».

قال «دمبلدور»: «إن الأستاذ «لوبين» فى الغابة، ولن يستطيع أن يخبر أحداً بأى شىء، وعندما يعود إلى صورته الآدمية، وبالطبع سيكون قد فات الوقت ويكون «سيريوس» فى حالة أكثر سوءاً من الموت، إن الذئاب المتحولة تكون غير مفيدة فى كثير من الأوقات، كما أن الحقيقة القائلة بأنه و«سيريوس» كانا صديقين....

ولكن..

«اسمعنى يا «هارى».. الوقت ضيق.. وأنت كما ترى.. إن قصة الأستاذ «سناب» أكثر إقناعاً من قصتكما».

قالت «هيرميون»: «إنه يكره «سيريوس».. وكل هذا بسبب دعابة سمجة مارسها معه «سيريوس».. و....».

قاطعها «دمبلدور» قائلاً: «إن تصرفات «سيريوس» لم تقل إنه رجل برىء، هجومه على السيدة البدينة.. واقتحامه لبرج «جريفندور».. وبدون وجود «بيتيجرو» سواءً حياً أو ميتاً، لا توجد فرصة لتغيير موقف «سيريوس».

ولكنك تصدقنا..

«نعم.. ولكننى لا أملك القوة التى تجعلنى أقنع الآخرين بالحقيقة، أو....».

وحدق «هارى» فى وجه «دمبلدور» غير مصدق، وشعر بالحجرة تدور من حوله، لقد كان دوماً يؤمن بأن «دمبلدور» يقدر على حل أى شىء، وتوقع أن يقدم حلاً مدهشاً للموقف، ولكن.. لا.. لقد ذهب أمله الأخير».

ولكن «دمبلدور» عاد يقول بهدوء: «كل ما نحتاجه هو المزيد من الوقت.. والآن انتبها..». ثم تابع بصوت خفيض: «إن بلاك سجين في مكتب الأستاذ «فليتويك» بالدور السابع، وتوجد ثلاث عشرة نافذة في الجانب الغربي للبرج، وإذا سار كل شيء كما يجب، فسيكون في إمكانكما إنقاذ أكثر من بريء.. لكن يجب ألا يراكما أحد.. آنسة «جرانجر» أنت تعرفين القانون.. يجب.. ألا.. يراكما أحد.. ولم يفهم «هاري» ما يحدث، ثم استدار «دمبلدور» واتجه نحو الباب، ثم قال:

«سأغلق الباب من الخارج، باقي خمس دقائق على منتصف الليل يا آنسة «جرانجر» حظًا سعيدًا ولا تنسى ثلاث دورات.. ثلاث دورات..».

كرر «هاري»: «حظًا سعيدًا.. ما الذي يتحدث عنه؟ ماذا سنفعل؟ وما هذه الدورات الثلاث؟».

ولكن «هيرميون» لم تجب، وإنما أخرجت سلسلة ذهبية طويلة من تحت ملابسها ثم قالت: «تعال يا «هاري».. أسرع».

وتحرك «هاري» نحوها ليجد ساعة رملية معلقة في طرفها، قبل أن تضع «هيرميون» السلسلة حول عنقه وتقول: «مستعد؟».

تساءل «هاري» في ارتباك شديد: «ماذا تفعلين؟».

أدارت الساعة الرملية ثلاث مرات، وفجأة شعر «هاري» كما لو كان يطير بسرعة للخلف، ومن حوله تمر مجموعة من الأشكال

والألوان وأذناه تسمعان صوت ضربات متتالية، فحاول أن يصرخ، ولكنه حتى لم يسمع صوته.

وأخيرًا.. شعر بالأرض أسفل قدميه، كان يقف إلى جوار «هيرميون» في بهو الدخول الخالي، وأشعة الشمس تغمر الأرض المواجهة للأبواب الأمامية، فنظر حوله وتلك السلسلة لاتزال حول عنقه قبل أن يحاول أن يتكلم: ««هيرميون».. ماذا.....؟».

جذبت ذراعه خلال البهو حتى خزانة المكانس، ثم فتحتها ودفعته للداخل، ثم تبعته وأغلقت الباب خلفهما، فعاد «هاري» يتساءل:

«ماذا..؟ كيف..؟ «هيرميون».. ماذا حدث؟».

همست «هيرميون»: «لقد رجعنا بالزمن ثلاث ساعات».

ومد «هاري» يده لساقه، وقرص نفسه حتى يتأكد أنه لا يحلم، ثم قالت «هيرميون»:

«هشش.. اسمع.. هناك شخص قادم.. أظن.. أظن أنهم نحن»

ثم لصقت أذنها بباب الخزانة وعادت تتابع: «هناك خطوات أقدام تعبر البهو.. نعم.. إنهم نحن.. عندما كنا نتجه إلى منزل «هاجريد!»

همس «هاري»: «هل تريدين أن تخبريني أننا هنا في هذه الخزانة وهناك بالخارج أيضًا؟».

أجابته وأذنها لا تزال ملتصقة بالباب: «نعم.. أنا واثقة أنه نحن.. إن الصوت لا يبدو لأكثر من ثلاثة أشخاص، ونحن نسير ببطء لأننا أسفل عباءة الإخفاء».

ظلت تنصت ثم قالت: «لقد هبطنا السلم الأمامى».

وكان لدى «هارى» بعض الأسئلة، ولكن القلق البادى على «هيرميون» منعه قليلاً حتى قال: «من أين حصلت على هذه الساعة؟».

همست «هيرميون»: «إنها تسمى المحول الزمنى وقد حصلت عليها من الأستاذة «ماكجونجال» فى أول يوم لعودتنا، وقد كنت أستخدمها حتى أتمكن من حضور جميع دروسى، لقد كتبت خطابات لجميع مسئولى الوزارة حتى سمحوا لى باقتناء واحدة. لقد أخبرتهم أننى تلميذة مثالية، وأننى لن أستخدمها مطلقًا فى أى شىء سوى دراستى، وقد كنت أعود بالزمن حتى أستطيع حضور ما يفوتنى من دروس.. هل فهمت؟ ولكنى.. أنا لا أفهم.. ما الذى يريد منا الأستاذ «دمبلدور» أن نفعله؟ ولماذا أخبرنا أن نعود ثلاث ساعات؟ وكيف سيساعد ذلك «سيريوس؟»».

حدق فى وجهها قبل أن يجيب ببطء: «لابد أن هناك شيئًا حدث يريدنا أن نغيره.. ولكن ماذا حدث؟ لقد كنا فى طريقنا إلى منزل «هاجريد» منذ ثلاث ساعات و....».

قالت «هيرميون»: «ها نحن منذ ثلاث ساعات، وها نحن نسير إلى منزل «هاجريد»، لقد سمعنا صوت أنفسنا ونحن نغادر المكان».

حملق فيها «هارى» وهو يشعر أنه يستخدم كل تركيزه حتى يستطيع أن يفهمها، ثم قال: «لقد قال «دمبلدور» إننا نستطيع

إنقاذ أكثر من برىء» ثم واتته الفكرة فجأة، فقال: «نعم.. «هيرميون».. سننقذ باك بيك!».

عادت تتساءل: «ولكن كيف سيساعد هذا الأمر «سيريوس»؟».

«لقد أخبرنا «دمبلدور» لتوه عن مكان نوافذ مكتب «فليتويك»؛ حيث يحتفظون بـ «بلاك»! سنستخدم «باك بيك» ونطير به من النافذة حتى نِنقذ «سيريوس»، إنه يستطيع الهرب باستخدام «باك بيك».. سيهربان معًا!».

واستطاع «هارى» أن يرى ذلك الخوف الذى ارتسم على وجه «هيرميون» وهى تقول: «لو استطعنا أن نفعل ذلك دون أن يرانا أحد فستكون معجزة!».

قال «هارى» وهو يلصق أذنه بالباب: «حسنًا.. يجب أن نحاول.. أليس كذلك؟».

ثم استدار نحوها قائلاً: «لا يبدو أن هناك أحداً بالخارج.. هيا.. فلنذهب..».

وفتح باب الخزانة ليجد البهو خاليًا تمامًا، وبمنتهى السرعة والهدوء غادرا المكان عندما بدأت الشمس التى كانت على وشك الغروب تلقى بضوئها الذهبى على قمم الأشجار، فقالت «هيرميون» وهى تنظر خلفها: «لو أن أى أحد ينظر من أى نافذة فـ..».

قال «هارى»: «سنركض نحو الغابة.. ونختفى خلف إحدى الأشجار حتى نراقب ما يحدث..».

قالت «هيرميون» وأنفاسها تتلاحق: «حسنًا.. ولكن سندور من خلف المنازل الخضراء حتى نهرب من مدخل كوخ «هاجريد» وإلا سيرانا.. هيا لقد اقتربنا من كوخه الآن!».

كان لايزال يحاول فهم ما تقول وهو يركض وهى من خلفه. وقطعا معًا حديقة الخضراوات حتى المنازل الخضراء بأقصى ظلال الأشجار، واستدار «هارى»، وبعد ثوانٍ لحقت به «هيرميون» لاهثة ثم قالت: «حسنًا.. سنحتاج إلى التسلل حتى كوخ «هاجريد».. هيا..».

سارا فى صمت وسط الأشجار حتى سمعا مَن يطرق الباب، فاختفيا سريعًا خلف شجرة كبيرة، ونظرا من خلفها، ورأيا «هاجريد» عندما فتح الباب وراح ينظر حوله؛ ليرى من يطرق الباب، ثم سمع «هارى» صوته وهو يقول:

«إنه نحن.. إننا نرتدى عباءة الإخفاء، دعنا ندخل حتى نخلعها!».

وهمس «هاجريد» وهو يفسح لهم الطريق: «لم يكن يجب عليكم المجىء!».

واستدار «هارى» نحو «هيرميون» قائلاً: «هذا أغرب شىء رأيته فى حياتى».

قالت «هيرميون»: «دعنا نتقدم قليلاً.. نريد أن نقترب من «باك بيك».

وتسللا وسط الأشجار حتى شاهدا «الهيبوجريف» خلف سور حديقة منزل «هاجريد»، فهمس «هارى» متسائلاً: «الآن؟».

قالت «هيرمين»: «لا.. لو أخذناه الآن فهذه اللجنة ستظن أن «هاجريد» هو الذى ساعده على الهرب. يجب أن ننتظر حتى يتأكدوا من وجوده بالخارج!.

وهنا سمعا صوت شيء يسقط فى منزل «هاجريد»، فهمست «هيرميون»: «لقد كان إناء اللبن الذى سكبه «هاجريد»، وسأجد «سكابرز» الآن..».

وبالفعل بعد ثوانٍ سمعا صيحة «هيرميون» من داخل المنزل، فتساءل «هارى» فجأة: «هيرميون».. ماذا لو.. لو أننا دخلنا للمنزل وأخذنا «بيتيجرو» و..».

همست «هيرميون» فى فزع: «لا أحد يستطيع التدخل فى سير الزمن.. لقد سمعت ما قاله «دمبلدور» لو رآنا...».

عاد يقول: «لن يرانا أحد سوى أنفسنا و«هاجريد!».

تساءلت «هيرميون»: «هارى.. ماذا ستفعل إذا رأيت نفسك تقتحم منزل «هاجريد» وأنت موجود بالفعل داخل المنزل؟».

قال «هارى»: «أظن.. أظن أننى سأفقد عقلى.. وسأظن أن هناك من يمارس السحر الأسود بالمكان...».

عادت تقول: «تمامًا.. إنك لا تفهم.. إنك قد تهاجم نفسك! لقد أخبرتنى الأستاذة «ماكجونجال» أن أشياء مخيفة حدثت عندما حاول بعض السحرة التدخل فى سير الزمن، وانتهى الأمر إلى أن معظمهم قضى على ماضيه أو مستقبله!».

قال «هارى»: «حسنًا.. لقد كانت مجرد فكرة.. لقد فكرت فقط أن....».

وأشارت «هيرميون» إلى القلعة فاستدار «هارى»؛ ليرى كلاً من «دمبلدور» و«فودچ» وأعضاء اللجنة ومنفذ الحكم يهبطون سلم القلعة، قالت: «لقد اقترب وقت تحركنا!».

وبالطبع بعد بضع دقائق انفتح باب «هاجريد» ورأى «هارى» نفسه مع «رون» و«هيرميون» يسيران مع «هاجريد»، لقد كان يشعر بأغرب شعور فى حياته، وهو يقف خلف تلك الشجرة ويشاهد نفسه يسير هناك خلف منزل «هاجريد»، ثم سمعا ذلك الحوار الذى دار بينهم وبين «هاجريد»، ثم شاهد «هيرميون» وهى تضع العباءة فوقهم قبل أن يسمع طرقات جديدة على الباب، لقد كانوا أعضاء اللجنة، ثم رأى نفسه مع «رون» و«هيرميون» يبتعدون عن المنزل، ولكن الجديد فى الأمر أنه استطاع أن يسمع ما حدث فى منزل «هاجريد» بعد أن غادروه، لقد سمع صوت «ماكنير» يتساءل بصوته البارد: «أين هو ذلك الحيوان؟».

وأجاب «هاجريد» بصوت متحشرج: «إنه.. إنه بالخارج».

ونظر «هارى» إلى وجه الرجل من خلال نافذة المنزل وهو ينظر نحو «باك بيك»، ثم سمعا صوت «فودچ» يقول: «إنه.. يجب أن تقرأ مذكرة الإعدام يا هاجريد» سأقرؤها سريعًا قبل أن توقعها أنت و«ماكنير».

واختفى وجه «ماكنير» من أمام النافذة.. لقد حان الوقت؛ فقال «هارى»:

«انتظرينى هنا.. سأقوم أنا بهذا».

وعندما بدأ «فودچ» حديثه كان «هارى» قد غادر مكانه واقترب من «باك بيك» وهو حريص على ألا يرمش، راح يحدق فى عين «باك بيك» البرتقالية ثم انحنى، فبادله «باك بيك» الانحناء فاتجه «هارى» نحو الحبل الذى يقيده بالسور متمتماً:

«هيا.. سنساعدك يا «باك بيك».. هيا.. بهدوء.. بهدوء..».

وسمع «هارى» صوت «فودچ» يقول: ««هاجريد».. أظن أنه من الأفضل أن تظل هنا!».

ولكن «هاجريد» قال: «لا.. لا.. أريد أن أبقى معه.. لا أريد أن يكون بمفرده..».

وبدأت أصوات الأقدام تتوجه نحو الباب؛ فهمس «هارى»: «باك بيك.. هيا تحرك».

وبدأ «الهيبوجريف» يسير وهو يضرب الهواء بجناحيه وقد بقى عشر أقدام فقط على الغابة وهنا اندفع صوت «دمبلدور»: «دقيقة واحدة يا «ماكنير».. يجب أن توقع أنت أيضاً».

وحاول «هارى» أن يسرع قدر الإمكان، وكان لايزال يسمع صوت «دمبلدور» وهو يتحدث حتى وصل للأشجار وسمع «هيرميون»: «هيا.. أسرع».

وما أن اقترب «هارى» حتى همس: «توقفى، فمن الممكن أن يسمعونا».

وانفتح الباب الخلفى لمنزل «هاجريد» فتوقف الثلاثة؛

«هـارى» و«هيرميون» و«باك بيك» لينصتوا حتى سمعوا صوت أحد أعضاء اللجنة يقول: «أين هو؟ أين هو؟».

قال منفذ الحكم: «لقد كان هنا.. لقد رأيته مربوطًا هنا تمامًا!».

وهنا سمع «هارى» صوت الفأس وهو يقطع شيئًا ما، لقد بدا أن منفذ الحكم ضرب السور بالفأس من شدة غضبه، ثم سمع صوت «هاجريد» واستطاع تمييز ما كان يقول: «لقد هرب.. هرب.. لابد أنه حرر نفسه.. يالك من ماهر يا «بيكى» وحاول «باك بيك» العودة إلى «هاجريد» ولكن «هارى» و«هيرميون» أمسكا به بقوة حتى سمعا صوت منفذ الحكم يقول: «لقد قام أحدهم بذلك.. يجب أن نفتش المكان.. الفناء والغابة و....».

تساءل «دمبلدور»: «ماكنير».. هل تظن أن من سرق «باك بيك» سيسير به؟».

ابحث فى السماء إذا كنت تنوى البحث.. «هاجريد».. أنا أرغب فى بعض الشاى. قال «هاجريد» الذى كاد أن يطير من السعادة: «بالطبع يا سيدى.. تفضل».

واستمع «هارى» و«هيرميون» إلى صوت الجميع وهم يعودون للمنزل مرة أخرى، ويعود الصمت أيضًا للمكان؛ فتساءل «هارى»: «وماذا بعد؟».

قالت «هيرميون»: «يجب أن تختبئ هنا.. يجب أن ننتظر حتى يعودوا للقلعة ويكون الجو آمنًا حتى يذهب «باك بيك» إلى

«سيريوس» من النافذة، ولن تكون هناك قبل مضى ساعتين.. و.. ولكن هذا سيكون صعباً..».

قال «هارى» يجب أن نذهب إلى الشجرة العملاقة، وإلا فلن نرى أى شيء.

قالت «هيرميون» وهى تشدد من قوة القبضة الممسكة «بالهيبوجريف»: «حسناً.. ولكن تذكر.. يجب أن نبتعد عن الأنظار».

وتحركا وقد بدأ الظلام يخيم على المكان عندما وصلا إلى مجموعة من الأشجار بالقرب من هذه الشجرة العملاقة؛ حتى قال «هارى» فجأة: «ها هو «رون»!».

وسمعا صوته وهو يصيح: «اهرب منه يا «سكابرز».. اهرب.. وتعال هنا».. ثم شاهدا «رون» وهو يمسك بالفأر مرة أخرى قبل أن يظهر ذلك الكلب العملاق، والذى من المفروض أن يكون «سيريوس»، وشاهدا أنفسهم مع «رون» وهما يصارعان فروع الشجرة التى راحت تضربهما وهما يحاولان الوصول لجذع الشجرة؛ حتى تجمدت تماماً وتوقفت عن الحركة عندما ضغط «كروكشانكس» على أسفل جذعها. وبعد ذلك دخلا إلى النفق ثم سمعا أصوات أقدام تقترب، كان «دمبلدور» و«فودچ» مع الباقين فى طريق عودتهم إلى القلعة؛ فقالت «هيرميون»: «لو أن «دمبلدور» كان معنا ونحن نعبر الممر وحضر معنا كل ما حدث..».

قال «هاري»: «كان سيحضر معه «فودج» و«ماكنير».. وكل ما كان سيحدث هو أن «فودج» كان سيأمر «ماكنير» بقتل «بلاك» على الفور».

وشاهدا الأربعة وهم يصعدون إلى القلعة حتى غابوا عن نظريهما قبل أن يشاهدا «لوبين» وهو يدخل فتحة النفق بدوره، فقال «هاري»: «ماذا لو ذهبت الآن وأحضرت عباءة الإخفاء؟ إنها ملقاة هناك، وهكذا لن يقدر «سناب» على....».

قاطعته «هيرميون»: ««هاري» يجب ألا يرانا أحد!».

قال «هاري»: «كيف تحتملين أن تبقى هنا وتشاهدى ما يحدث دون أن نفعل أى شيء.. سأذهب لأحضر العباءة».

صاحت به: ««هاري».. لا».

وأمسكت بملابسه قبل أن يسمعا صوت شخص يغنى، لقد كان «هاجريد» فى طريقه للقلعة، فهمست «هيرميون»: «هل ترى؟ هل فهمت ما يمكن أن يحدث؟ يجب أن نبقى بعيداً عن الأنظار».

كانت رؤية «هاجريد» عاملاً مثيراً «للهيبوجريف» الذى حاول أن يذهب إليه، ولكنهما أمسكا به بقوة حتى اختفى «هاجريد» داخل القلعة، وبعد دقيقتين فتحت أبواب القلعة مرة أخرى ليخرج منها «سناب»، ويركض نحو الشجرة. فقبض «هاري» يده وهو يرى «سناب» يلتقط العباءة ثم يرتديها ليختفى عن الأنظار. وهنا قالت «هيرميون»: «حسنًا.. أنتم جميعًا بالداخل الآن.. وكل

ما علينا هو الانتظار حتى نخرج مرة أخرى.. وأمسكت جيداً بالحبل المربوط به «باك بيك» ثم تساءلت:

«««هاري».. هناك شيء لا أستطيع أن أفهمه.. لماذا لم يقبض الحراس على «سيريوس»؟ لقد رأيتهم قادمين.. وكانوا كثيرين..».

جلس «هاري» وقص عليها ما حدث، وهذا الشيء الفضي الذى ظهر عند البحيرة، وبعدها ابتعد الحراس عن المكان، ففتحت فمها فى دهشة ثم تساءلت: «ولكن ماذا كان ذلك الشيء الفضى؟».

أجاب «هاري»: «لا يوجد سوى شيء واحد يمكن أن يبعد الحراس عن أى مكان.. تعويذة.. تعويذة قوية».

عادت تتساءل: «ولكن من ألقاها!».

ولم يقل «هاري» أى شيء، لقد كان يفكر فى الشخص الذى رآه عند البحيرة، كان يعرف من هو.. ولكن كيف؟

عادت «هيرميون» تتساءل بشغف: «هل رأيت شكله؟ ترى هل كان أحد المعلمين؟».

قال «هاري»: «لا.. لم يكن معلماً».

قالت: «ولكنه يجب أن يكون ساحراً قوياً حتى يستطيع أن يبعد كل هؤلاء الحراس!».

«ألم تستطع أن ترى وجهه فى ضوء ذلك الشيء اللامع؟».

أجاب «هاري» ببطء: «نعم.. لقد رأيته.. ولكن.. ربما كنت أتخيل.. فلم يكن ذهنى صافياً. وقد فقدت وعيى بعدها مباشرة..».

تساءلت مرة أخرى: «من تظن أن يكون؟».

ازدرد «هارى» لعابه قبل أن يجيب: «أظن.. أظن أنه كان أبى».

ثم نظر إلى «هيرميون»؛ ليرى وجهها وقد بدت عليه دهشة كبيرة، وخليط من الخوف والشفقة فى نفس الوقت قبل أن تقول:

«هارى».. إن أباك.. قد... قد مات».

قال «هارى» سريعًا: «أنا أعرف».

فعادت تتساءل: «هل تظن أنك رأيت شبحه؟».

أجاب فى حيرة: «لا أدرى.. ولكن.. ربما كنت أتخيل.. ولكننى رأيته فأنا أعرفه من صوره..».

ظلت «هيرميون» تحدق به، ولكن دون أن تنطق هذه المرة فعاد يقول:

«أنا أعرف أن ذلك يبدو جنونًا».

ثم التفت نحو «باك بيك» الذى كان يضرب الأرض بقوائمه فى رفق، ولكنه كان يفكر فى أبيه وأصدقائه الثلاثة، وظل غارقًا فى أفكاره حتى مرت أكثر من ساعة، وهمست «هيرميون»: «هيا».

ونهضت هى و«هارى»، ورفع «باك بيك» رأسه وهما يشاهدان «لوبين» و«رون» مع «بيتيجرو»، وبعدهم «هيرميون» ثم «سناب» الفاقد الوعى، ثم «هارى» و«بلاك»، وبدأوا يتوجهون نحو القلعة.

وهنا بدأ قلب «هارى» يخفق بقوة وهو يرى تلك السحابة التى بدأت تتحرك لتكشف ضوء القمر؛ فقالت «هيرميون» كما لو كانت

تعلم ما يفكر به: «««هارى»».. يجب أن تظل هنا.. فلا يوجد ما يمكن أن تفعله..»».

قال «هارى»: «إذن فهل سنترك «بيتيجرو» يهرب مرة أخرى!».

قالت «هيرميون»: «وكيف ستجد فأرًا فى وسط هذا الظلام؟ لقد عدنا لمساعدة «سيريوس»، وليس لعمل أى شىء آخر!».

ثم عادا ليشاهدا ما يحدث، كان «لوبين» قد بدأ يتحول، فقال «هارى»: «««هيرميون»».. يجب أن نتحرك..»».

فقالت: «لا.. هل يجب أن أخبرك مرة أخرى؟».

قاطعها مجيباً: «ليس لنتدخل.. ولكن «لوبين» سيتوجه للغابة وسيأتى نحونا مباشرة».

لهثت «هيرميون» ثم جذبت «باك بيك» قائلة: «هيا.. ولكن أين سنذهب؟ وأين يمكننا أن نختبئ؟ سيحضر الحراس فى أى لحظة..»».

قال «هارى»: «نعود إلى منزل «هاجريد»، فلا يوجد أحد هناك الآن..»».

وركضا بأسرع ما يمكنهما، ومن خلفهما «باك بيك»؛ حتى وصلا لمنزل «هاجريد»، ففتح «هارى» الباب ودخل مع «هيرميون»، وراح ينظر من النافذة. وبالطبع كان من الصعب رؤية ما يحدث من هناك، وإن كان «باك بيك» سعيداً بعودته لمنزل «هاجريد» فاستلقى أمام المدفأة، وفرد جناحيه فى راحة حتى قال «هارى»: «أظن أنه من الأفضل أن أعود للخارج فأنا لا

أستطيع رؤية أى شىء من هنا.. ولن نعرف هكذا متى يحين الوقت..».

نظرت «هيرميون» نحوه فى شك فقال: «أنا لن أحاول التدخل ولكن إذا لم نرَ ما يحدث، فكيف سنعرف الوقت المناسب لإنقاذ «سيريوس»؟».

قالت «هيرميون»: «حسنًا.. سأنتظر هنا مع «باك بيك»، ولكن احترس يا «هارى»، فهناك ذئب متحول فى المكان، وكذلك الحراس».

خرج «هارى» مرة أخرى وهو يسمع تلك الأصوات التى تدل على اقتراب الحراس من «سيريوس»، فتوجه نحو البحيرة وقلبه يخفق فى عنف شديد؛ فقد يرى فى أى لحظة ذلك الذى ألقى بالتعويذة التى قهرت الحراس وجعلتهم يتراجعون، وبالفعل بدأ الحراس فى الظهور من كل جانب؛ ليحيطوا بالبحيرة، وكان عليه ألا يقترب منهم، فبدأ يركض وهو يفكر فى أبيه: لو كان هو.. لو كان هو حقًا، كان يجب أن يعرف..

وراحت البحيرة تقترب وتقترب، ولكن لا أثر لأى أحد، ورأى بعض الومضات الصغيرة، فعرف أنها كانت محاولاته لإبعاد الحراس حتى بدأ الضوء الفضى يزداد سطوعًا، فاختفى خلف إحدى الأشجار وانتظر أن يرى والده..

«أين أنت يا أبى؟ هيا.. تعال».

ولكن لم يأتِ أحد، وهنا أدرك الأمر.. إنه لم يكن يرى والده..

لقد كان يرى نفسه فخرج من خلف الأشجار، وجذب عصاه ثم صاح:

«إكسبكتو باترونام».

ومد طرف عصاه، انطلق ضوء فضى مبهر تحول إلى شكل حيوان، فحاول أن يرفع عينيه؛ ليرى ما هو.. لقد كان يشبه الحصان، وراح يركض فى صمت نحو الحراس الذين بدأوا يتراجعون عندما اقترب منهم حتى اختفوا تماماً.

واستدار الحصان وعاد إلى «هارى» عبر البحيرة.. ولكنه لم يكن حصاناً، لقد كان أشبه بوحيد القرن واقترب من «هارى» فربت على رأسه، وما إن فعل حتى اختفى، وهنا سمع صوت «هيرميون» تأتى خلفه وهى تسحب «باك بيك» خلفها ثم قالت: «ماذا فعلت؟ لقد قلت إنك ستراقب ما يحدث فقط؟».

أجابها: «لقد أنقذت حياتنا جميعاً.. اختبئى خلف هذه الشجرة وسأشرح لكِ»، وقص عليها ما حدث وهى مفتوحة الفم من فرط دهشتها ثم تساءلت: «وهل رآك أحد؟».

أجاب: «نعم.. لقد رأيت نفسى ولكننى كنت أظن أنه أبى».

قالت فى انبهار: «هارى»، أنا لا أصدق.. هل قمت بعمل هذه التعويذة التى أبعدت كل هؤلاء الحراس عن المكان.. إنه سحر فائق.

قال «هارى»: «لقد كنت أعرف أننى سأنجح هذه المرة؛ لأننى قد نجحت بالفعل.. هل تفهمين أى شىء؟».

أجابت: «لا أعرف.. «هارى».. انظر.. إن «سناب»...».

واستدارا معًا لينظرا عند الجانب الآخر من البحيرة ليشاهدا «سناب» وقد استعاد وعيه، ووجه عصاه نحو الأشخاص الموجودين.. «هيرميون» و«رون» و«بلاك» و«هارى» ورفعهم فى الهواء، ثم سار بهم فى اتجاه القلعة، فقالت «هيرميون»: «حسنًا، لقد حان الوقت تقريبًا.. لدينا نحو خمس وأربعين دقيقة حتى يغلق «دمبلدور» أبواب المستشفى، يجب أن ننقذ «بلاك» ونعود قبل أن يشعر أحد بغيابنا».

وانتظرا قليلاً حتى تساءل «هارى»: «هل تظنين أنه هناك الآن؟ ثم نظر نحو القلعة وبدأ يعد النوافذ فى البرج الغربى، ثم همست «هيرميون»: «انظر.. من هذا؟ هناك شخص يخرج من القلعة».

ونظر «هارى» ليجد أحدهم يركض نحو أحد المداخل وفى حزامه شىء يلمع، فقال «هارى»: «إنه «ماكنير».. منفذ الأحكام.. لقد خرج ليستدعى الحراس، لقد حان الوقت يا «هيرميون»..».

وساعد «هيرميون» حتى تصعد فوق ظهر «باك بيك»، ثم استند هو إلى إحدى الأشجار حتى يصعد بدوره قبل أن يهمس: «مستعدة؟ أمسكى بى جيدًا..».

وضرب جانبى «باك بيك»؛ فارتفع فى الهواء باستخدام أجنحته العملاقة وبدأا يتوجهان به نحو القلعة فى هدوء، و«هارى» يعد النوافذ، ثم قال:

«إنه هناك..».

واقترب «هارى» من النافذة ونظر منها بهدوء، فنظر «بلاك» نحوه غير مصدق، ثم غادر مقعده واتجه نحوه وحاول فتح النافذة ولكنها كانت مغلقة، فأشارت «هيرميون» له أن يبتعد، ثم أخرجت عصاها وقالت: «ألو هومورا».

وانفتحت النافذة، فقال «بلاك»: «كيف.. كيف..؟».

قال «هارى»: هيا اصعد.. فليس لدينا وقت.. يجب أن تخرج من هنا؛ فسيحضر الحراس فى أى وقت.. لقد ذهب «ماكنير»؛ لإحضارهم.

وبسرعة صعد «بلاك» على حافة النافذة وتشبث بجناح «باك بيك» حتى صعد على ظهره خلف «هيرميون»، فقال «هارى»: «حسنًا يا «باك بيك».. هيا إلى البرج، وبدأ «الهيبوجريف» الصعود من جديد حتى وصلوا إلى قمة البرج الغربى، واستقر على أحد حوافه ليهبط كل من «هارى» و«هيرميون» قبل أن يقول «هارى»:

«سيكتشفون هروبك».. فتساءل «بلاك»: وماذا عن الصبى الآخر.. «رون؟».

أجابه: «سيكون بخير تحت رعاية مدام «بومفرى».. هيا اذهب..».

ولكن «بلاك» ظل واقفًا يحدق فى «هارى»، ثم قال: «كيف يمكن أن أشكر...».

صاح فيه «هارى» و«هيرميون» معًا: «هيا!».

ودار «بلاك»، وقبل أن ينطلق قال: «سنتقابل مرة أخرى.. إنك ابن «جيمس» حقًا يا «هارى»..».

ثم لكز «باك بيك» بكاحليه وقفز «هارى» و«هيرميون» للخلف مع ارتفاع الجناحين العملاقين مرة أخرى، وانطلق «الهيبوجريف» فى الهواء وظل يصغر ويصغر هو وراكبه كلما ابتعد، وظل «هارِى» يحدق بهما حتى ظهرت سحابة وغطت وجه القمر.. لقد ذهبا.

* * *

٢٢ بريد البوم ثانيةً

نظرت «هيرميون» إلى ساعتها ثم قالت: «هارى»، إن كل ما لدينا عشر دقائق حتى نعود إلى المستشفى دون أن يرانا أحد وقبل أن يغلق «دمبلدور» الباب.

قال «هارى» وهو يلتفت نحوها: حسنًا، هيا بنا.

وتسللا من الباب وهبطا السلم حتى وصلا إلى مكان بدأا يسمعان فيه صوتيهما وصوت كل من «فودچ» و«دمبلدور»، وكان «فودچ» يقول: بمجرد أن يعود «ماكنير» مع الحراس سينتهى الأمر، لا أستطيع أن أخبرك كم أتوق إلى إرسال هذا الخبر إلى جريدة «المتنبئ اليومى»؛ ليعرفوا أننا أوقعنا به أخيرًا، ويمكننى أن أقول إنهم سيطلبون عمل لقاء مع «سناب» وبمجرد أن يفيق الصبى الصغير سيمكنه أن يخبر الجريدة كيف أنقذه هذا المعلم».

ضغط «هارى» على أسنانه فى غيظ وهو يراهما يبتعدان، وانتظر مع «هيرميون» بضع دقائق حتى تأكدا من عدم وجود أحد بالمكان، فهبطا معًا وسارا عبر ممر جديد حتى سمعا صوتًا خافتًا، فقال «هارى» وهو يجذب يد «هيرميون»: «بيفز».. إنه هنا. ودخلا أحد الفصول الخالية على الجانب الأيسر فى نفس اللحظة التى ظهر فيها فى نهاية الممر، فهمست «هيرميون»: «إنه فظيع، أراهن أنه فى غاية السرور؛ لأن الحراس سيقضون على

«سيريوس». ثم عادت تنظر فى ساعتها وقالت: «لم يبقَ سوى ثلاث دقائق يا «هارى»..».

انتظرا قليلاً حتى بدأ صوت «بيفز» يخفت، ثم تسللا خارج الفصل ببطء وبدأا يركضان، وسأل «هارى» «هيرميون»: «ما الذى سيحدث، إذا لم نعد قبل أن يغلق «دمبلدور» الباب؟».

كانا قد وصلا لنهاية الممر، فقالت «هيرميون» وهى تنظر فى ساعتها مرة أخرى: «لا أريد أن أفكر فى ذلك، لم يبق سوى دقيقة واحدة».

ووصلا إلى الباب، فعادت تقول: حسنًا، إننى أسمع «دمبلدور»، هيا يا «هارى» واختبأا قليلاً حتى انفتح الباب، وخرج «دمبلدور» قائلاً: «سأغلق الباب عليكما، لم يبق سوى خمس دقائق على منتصف الليل، حظ سعيد يا آنسة «جرانجر» وتذكرى ثلاث دورات»، ثم أغلق الباب وابتعد، فانطلق «هارى» و«هيرميون» نحو الباب وعندما نظر «دمبلدور» نحوهما ظهرت ابتسامة على وجهه وقال بهدوء: «حسنًا».

فقال «هارى» بأنفاس متلاحقة: «لقد فعلناها وذهب «سيريوس» على ظهر «باك بيك»».

اقترب «دمبلدور» منهما قائلاً: «عمل رائع، هيا ادخلا حتى أغلق الباب».

ودخلا إلى الحجرة التى لم يكن بها سوى «رون» الذى رقد فى فراشه بلا حركة، وأعادت «هيرميون» المحول الزمنى إلى داخل

ملابسها قبل أن تعود مدام «بومفرى» وتسأل بغضب: «هل أستطيع أن أعتنى بهؤلاء المرضى الآن؟».

وما إن دخلت عليهم حتى سمعوا ضجة كبيرة تأتى من الخارج، وأصواتًا غاضبة راحت تعلو وتعلو، فوقفت مدام «بومفرى» تحملق فى الباب قبل أن تقول: «سيوقظون الجميع!! ما هذا الذى يفعلون؟!» وكان «هارى» يحاول تمييز الأصوات وما يقولون، وكانت الأصوات تقترب فاستطاع أن يسمع البعض: «كان يجب أن تنزع سلاحه يا «سيفروس»، وكان يجب أن يظل معه أحد بالغرفة»، قال «سناب» بغضب: «لا يمكن أن يحدث مثل هذا الشىء فى هذه القلعة، هذا الأمر له علاقة بـ «بوتر»».

ردَّ عليه قائلاً: «كن عاقلاً يا «سيفروس»، إن «هارى» محتجز فى المستشفى. وفجأة، انفتح باب المستشفى ودخل كل من «فودج» و«سناب» و«دمبلدور» إلى المكان، وكان «دمبلدور» هو الوحيد الذى يبدو عليه الهدوء فى الحقيقة، كان يبدو كما لو أنه يستمتع بالأمر، أما «فودج» فكان غاضبًا للغاية، وصاح «سناب»: «اعترف يا «بوتر»، ما الذى فعلته؟».

صاحت مدام «بومفرى»: «أستاذ «سناب»، أرجو أن تسيطر على نفسك». ثم قال «فودج»: «كن عاقلاً يا «سناب»، لقد كان الباب مغلقًا ولقد رأينا لتونا...» فقاطعه «سناب» صائحًا وهو يشير نحو «هارى» و«هيرميون»: «لقد ساعداه على الهرب.. أعرف ذلك».

صاح فيه «فودچ»: «اهدأ يا رجل، إن ما تقوله هراء».

فعاد «سناب» يصرخ: «أنت لا تعرف «بوتر» لقد فعلها.. أنا أعرف أنه فعلها!».

قال «دمبلدور» بهدوء: «اسمع يا «سيفروس» إذا لم يكن لديك دليل على وجود «هارى» و«هيرميون» فى مكانين وفى وقت واحد، فلا داعى لإثارة هذه المشكلات».

وقف «سناب» لا يعرف ما يقوله قبل أن يخرج من الحجرة فى غضب، عاد «فودچ» يقول: «سيكون عدد «المتنبئ اليومى» زاخراً فقد استطعنا القبض على «بلاك» ثم هرب من بين أيدينا مرة أخرى، هذا بخلاف هرب ذلك «الهيبوجريف».. حسناً، سيسخر الجميع منى، ومن الأفضل أن أذهب؛ لأوضح لهم الأمر فى الوزارة».

فقال «دمبلدور»: «والحراس؟ هل سيتم إبعادهم عن المدرسة؟».

فأجاب «فودچ»: «نعم بالتأكيد، فسأرسلهم لـ «أزكابان» الليلة، ربما يمكن أن نفكر فى استخدام التنين عند مدخل المدرسة». ابتسم «دمبلدور» ابتسامة واسعة ، ثم قال: «سيحب «هاجريد» ذلك كثيراً». وما إن غادر «فودچ» المكان حتى أسرعت مدام «بومفرى» إلى الباب وأغلقته مرة أخرى وهى تغمغم فى غضب، وما إن عادت حتى سمعت صوت «رون» يتأوه فى الجانب الآخر من الحجرة قبل أن ينهض جالساً فى فراشه ويقول

بصوت متحشرج: «ماذا... ماذا حدث يا «هارى»؟ لماذا نحن هنا؟ أين «سيريوس» و«لوبين»؟ ما الذى يحدث؟».

تبادل «هارى» و«هيرميون» النظرات قبل أن يقول «هارى» وهو يأكل قطعة جديدة من الشيكولاتة: «عليك أنت أن تفسرى لنا».

غادر كل من «هارى» و«رون» و«هيرميون» المستشفى بعد ظهر اليوم التالى، وكانت الحرارة الشديدة فى نهاية الامتحانات تعنى أن الجميع يقومون بزيارة أخرى إلى «هوجسميد» إلا «رون» و«هيرميون» اللذين راحا يتجولان مع «هارى» فى فناء المدرسة، ويتحدثون عن الأحداث الغامضة التى حدثت فى تلك الليلة.. وأثناء جلوسهم، شاهدوا ظل عملاق يقترب منهم، وعندما نظروا وجدوا «هاجريد» يجفف عرقه بمنديل كبير جدا قبل أن يقول: «هل تعرفون أننى لست سعيداً لما حدث الليلة الماضية.. أعنى هروب «بلاك» مرة أخرى، وكل شىء، ولكن خمنوا ماذا؟».

فقالوا وهم يحاولون التظاهر بالفضول: «ماذا؟». فقال: «بيكى.. لقد هرب، إنه هو، وقد كنت أحتفل بذلك طوال الليل». فقالت «هيرميون» وهى تنظر نحو «رون» نظرة ذات مغزى؛ لأنه كان على وشك أن يضحك: «إنه أمر رائع».

فقال «هاجريد» فى سعادة: «نعم، لقد كنت قلقاً هذا الصباح من أن يقابل الأستاذ «لوبين» ولكنه أخبرنى أنه لم ير أى شىء بالأمس».

سأل «هارى» سريعاً: «ماذا؟».

فقال «هاجريد» وقد اختفت ابتسامته قليلاً: «ألم تسمعوا؟ لقد أخبر «سناب» كل تلاميذ «سليذرين» هذا الصباح.. أخبرهم أن الأستاذ «لوبين» ذئب متحول، وأنه على وشك الرحيل».

«لماذا؟».

فأجاب «هاجريد»: «لقد قال إنه لا يستطيع أن يخاطر بحدوث ذلك مرة أخرى»،نهض «هارى» واقفًا، ثم قال لـ «رون» و«هيرميون»: «سأذهب لمقابلته».

فقال «هاجريد»: «ولكنه استقال».

وقالت «هيرميون»: «ولا أظن أن لدينا ما يمكن أن نفعله».

فقال «هارى»: «لا يهمنى، سأذهب لمقابلته ثم أعود لكم هنا».

كان باب فصل الأستاذ «لوبين» مفتوحًا وقد جمع معظم حاجياته، وما إن اقترب «هارى» من الباب وطرقه حتى قال «لوبين» وهو يبتسم مشيراً للخريطة:

«لقد رأيتك وأنت تأتى».

قال «هارى»: «لقد قابلت «هاجريد» أتوى وأخبرنى أنك قد استقلت.. فهل هذا صحيح؟».

قال «لوبين»: «نعم للأسف، غداً فى مثل هذا الوقت سيصل البوم بالبريد من عند أهل التلاميذ، فلن يقبلوا أن يُعلِّمَ أبناءهم ذئب متحول! وأظن أنهم على حق».

قال «هارى»: «إنك أفضل معلمى الدفاع ضد السحر الأسود.. فلا تذهب».

هز «لوبين» رأسه فى أسفٍ قبل أن يقول: «لقد كنت فخوراً بتعويذتك التى أطلقتها بالأمس».

«هارى» فى تعجب: «كيف عرفت ذلك؟».

فأجاب «لوبين» ببساطة: «لا يوجد شىء آخر يمكنه أن يبعد الحراس»، ثم تناول عباءة الإخفاء الخاصة بـ «هارى» وقدمها له قائلاً: «لقد أحضرتها معى بالأمس»، وتردد قليلاً قبل أن يقدم له الخريطة وهو يقول: «أنا لم أعد معلمك؛ لذلك فأنا لا أشعر بالذنب عندما أقدمها لك، وأظن أنها ستفيدك». تناولهما «هارى» مبتسماً قبل أن يسمع صوت طرقات على الباب، فأخفى الخريطة والعباءة سريعًا فى جيبه.. وعندما استدار، وجد الأستاذ «دمبلدور» والذى لم يندهش لرؤية «هارى» وقال: «العربة تنتظرك عند البوابة يا «ريموس». فقال «لوبين»: «شكراً لك أيها المدير».

ثم التقط حقيبته وابتسم لـ «هارى» قائلاً: «حسنًا، إلى اللقاء يا «هارى».. لقد سعدت بالتدريس لك».

ثم وجه حديثه لـ «دمبلدور» قائلاً: «أنا واثق أننا سنتقابل قريبًا يا سيدى».

وشعر «هارى» أن «لوبين» يريد مغادرة المكان فى أسرع وقت ممكن، فودعه هو و«دمبلدور». قال «دمبلدور»: «لماذا كل هذا الحزن يا «هارى» يجب أن تكون فخوراً بنفسك وبما فعلته بالأمس».

فقال «هارى» بألم: «إننى لم أصنع أى فرق، لقد هرب

«بيتيجرو»، فقال «دمبلدور»: «لقد صنعت كل الفرق، وأنقذت شخصًا بريئًا من مصير مرعب»، وهنا تذكر «هارى» ما حدث فى اختبار التنبؤ بالأمس، فقال: «سيدى، لقد كانت الأستاذة «تريلاونى» غريبة جداً بالأمس».

فقال «دمبلدور»: «حقاً؟ هل تعنى أغرب من المعتاد؟».

فأجاب «هارى»: «نعم، لقد تغير صوتها وأخبرتنى أن خادم «فولدمورت» سيعود إليه قبل منتصف الليل وسيساعده على استعادة قوته، ثم عادت إلى طبيعتها مرة أخرى ولم تستطع أن تتذكر أى شىء قالته قبل ذلك.. فهل كان ذلك نبوءة حقيقية؟».

فكر «دمبلدور» قليلاً قبل أن يقول: «هل تعرف يا «هارى»، إننى أظن ذلك، وأظن أننى يجب أن أكافئها وأرفع راتبها».

نظر له «هارى» فى تعجب، ثم قال: «ولكننى منعت «بلاك» و«لوبين» من قتل «بيتيجرو» وهو ما يجعل الأمر خطئى أنا إذا ما عاد «فولدمورت»..».

أجابه «دمبلدور» بهدوء: «لا، إن التنبؤ بالمستقبل أمر صعب، وما قمت به عمل نبيل عندما أنقذت حياة «بيتيجرو»..».

قاطعه «هارى» قائلاً: «ولكن، ماذا لو ساعدت «فولدمورت»..».

أجابه «دمبلدور»: إن «بيتيجرو» مدين لك بحياته، فعندما يقوم ساحر بإنقاذ ساحر آخر تنشأ بينهما رابطة قوية، ولا أظن أن «فولدمورت» سيرغب فى أن يكون خادمه مدينًا لك».

قال «هارى»: «أنا لا أريد أن يربطنى به أى شىء؛ فلقد وشى

بوالدى». قال «دمبلدور»: «إن حياة السحرة معقدة وممتلئة بالأسرار.. ولكن، ثق يا «هارى» أنه سيأتى الوقت الذى ستفخر فيه بأنك أنقذت حياة «بيتيجرو»..».

نظر «هارى» مترددًا أيخبره أم لا، ثم قال أخيرًا:

«بالأمس.. ظننت أن أبى هو الذى أرسل هذه التعويذة التى أبعدت الحراس.. أعنى أننى عندما رأيت نفسى ظننت أنه أبى.. وأننى أراه». فقال «دمبلدور» ببساطة: «إنه مجرد خطأ، ولكن هذا لا يمنع من أنك تشبه «جيمس» كثيرًا فيما عدا عينيك، فهى تشبه عينى والدتك».

قال «هارى»: «لقد كانت حماقة منى أن أفكر فى ذلك، فأنا أعرف أنه ميت». قال «دمبلدور»: «هل تظن أن من نحبهم يتركوننا تمامًا عند موتهم؟ هل تظن أنك لا تستطيع أن تراهم بوضوح إذا ما أردت ذلك؟ إن والدك يعيش بداخلك ويساعدك بقدر ما تحتاج إلى مساعدته، وإلا فكيف كنت ستستطيع أن تفعل ما فعلت؟». استغرق الأمر دقيقة، حتى أدرك «هارى» ما كان يقوله «دمبلدور»، ثم قال:

«لقد أخبرنى «بلاك» بالأمس عن صداقته هو وأبى؟ وكيف أصبحا متحولين» فابتسم «دمبلدور» قائلاً: «لقد كان إنجازًا رائعًا، ليس فقط لأنهم أخفوه عنى وإنما لأنهم نجحوا فى استخدامه تمامًا مثلما فعلت أنت حينما حاول «مالفوى» أن يخدعك أثناء مباراة «رافنكلو»، لقد رأيت والدك يا «هارى»، رأيته بالأمس داخلك».

ثم تركه وغادر المكتب وسط كل هذه الأفكار المحيرة.

لم يعرف أحد فى «هوجوورتس» ما حدث فى الليلة الماضية، وقد قرأ «هارى» الكثير من التفسيرات لما حدث، ولكن لم يكن أى منها صحيحًا وكان «مالفوى» غاضبًا بسبب «باك بيك»، لقد كان مقتنعًا بأن «هاجريد» وجد طريقة ليهرب بها «الهيبوجريف» فى أمان، وبالطبع فقد كان والده غاضبًا مثله.

ورغم أن «هارى» كان يعرف أنه بذل كل ما فى وسعه لمساعدة «بلاك»، ورغم الطقس الرائع المحيط به، فإن «هارى» لم يسبق له أن يقترب من نهاية العام ومعنوياته منخفضة بهذا الشكل، صحيح أنه لم يكن الوحيد الذى شعر بالأسف لرحيل الأستاذ «لوبين»، وإنما كان كل زملائه بالفصل مثله، ولكن هذا لم يكن هو الأمر الوحيد الذى يزعج «هارى»، فلقد كان مشغولاً بتنبؤ الأستاذة «تريلاونى»، وكان يتساءل عن مكان «بيتيجرو»، وهل لحق بـ «فولدمورت» أم لا؟ ولكن أكثر ما كان يحزن «هارى» هو أنه كان مضطرًا للعودة لمنزل آل «درسلى»؛ فقد راوده حلم لم يستمر لأكثر من نصف ساعة أنه قد يعيش مع أفضل أصدقاء والده.. «سيريوس بلاك» ولكن مادام لم ترد أخبار عن «بلاك»؛ فهذا يعنى أنه سيضطر للعودة إلى شارع «بريفت دريف». وفى آخر أيام الفصل الدراسى، ظهرت نتائج الامتحانات وقد نجح «هارى» و«رون» و«هيرميون» فى اجتياز جميع المواد، وكان «هارى» مندهشًا لأنه اجتاز امتحان

الوصفات وشك أن «دمبلدور» ربما يكون قد تدخل لمنع «سناب» من إيذائه، خاصة مع هذه المعاملة التى كان يعامله بها «سناب»، وقد حصل «بيرسى» على أعلى الدرجات، وكذلك تفوق كل من «فريد» و«چورچ» وقدم لهما الشكر على أدائهما الرفيع ودورهما فى الفوز بكأس «الكويدتش». وبدأ الجميع الاحتفال بنهاية العام فبدأوا تزيين المكان، وبالطبع فقد كانت مائدة «جريفندور» صاخبة، وحتى «هارى» نفسه حاول أن ينسى رحلة عودته لمنزل آل «درسلى» وينخرط فى الاحتفال مثلما يفعل الجميع.

قدمت «هيرميون» الكثير من الأخبار المفاجئة إلى «رون» و«هارى» عند مغادرة قطار «هوجوورتس» السريع للمحطة فى اليوم التالى، فقالت: «لقد ذهبت للأستاذة «ماكجونجال» هذا الصباح قبل الإفطار مباشرة، فقد قررت أن أتخلى عن مادة دراسات العامة».

فقال «رون»: «ولكنك نجحت فى الامتحان بتفوق».

قالت «هيرميون»: «أعرف، ولكننى لن أستطيع أن أقضى عاماً آخر بهذا الشكل، لقد كاد ذلك المحول الزمنى أن يصيبنى بالجنون فأعدته لها، وبدون دراسات العامة «والتنبؤ» سينتظم جدول دروسى مرة أخرى».

عاد «رون» يقول: «أنا مازلت لا أصدق أنك لم تخبرينا بذلك، فالمفروض أننا أصدقاء».

أجابت: «لقد وعدت بألا أخبر أى أحد»، ثم التفتت نحو «هارى» وقالت: ««هارى»، هون عليك»، فأجابها «هارى» سريعًا: «أنا بخير.. ولكننى أفكر فى الإجازة».

فقال «رون»: «أنا أيضًا كنت أفكر فى ذلك.. «هارى»، لماذا لا تأتى وتعيش معنا، سأخبر أبى وأمى وأتصل بك، لقد تعلمت كيفية استخدام الهافت».

قالت «هيرميون»: «اسمه «الهاتف» يا «رون»، أظن أنك يجب أن تختار دراسات العامة فى العام القادم».

تجاهلها «رون» ووجه حديثه لـ «هارى» قائلاً: «ستقام كأس العالم فى «الكويدتش» هذا الصيف يا «هارى»، تعال لتعيش معنا، فأبى يحصل على تذاكر من العمل».

وكان هذا العرض كفيلاً بأن يسعد «هارى» لدرجة تجعله يفكر بالأمر جديًا.

ثم تساءلت «هيرميون»: «هارى»، ما هذا الشيء الذى على نافذتك؟

نظر «هارى» ليجد شيئًا رمادى اللون يصعد ويهبط خلف الزجاج، فنهض؛ حتى يرى بوضوح، فوجد بومة صغيرة تحمل خطابًا كبيرًا بالنسبة لجسدها الصغير، ففتح النافذة ومد ذراعه ليمسك بالخطاب ويفتحه ثم صاح: «إنه من «سيريوس»..»، فقال «رون» و«هيرميون» معًا: «ماذا؟ اقرأ بصوت مرتفع».

عزيزى «هارى»

أتمنى أن يصلك هذا الخطاب قبل أن تصل لمنزل خالتك، فأنا لا أعرف إذا كانوا يعرفون خدمة بريد البوم أم لا، إننى أعيش فى مخبأ مع «باك بيك»، ولن أخبرك عن مكانى فربما يسقط هذا الخطاب فى يد أحد آخر، أظن أن الحراس ما زالوا يبحثون عنى، ولكن لا أمل لهم فى أن يجدونى هنا، فأنا أخطط لأن أجعل بعض العامة يرونى فى مكان ما بعيد تمامًا عن «هوجوورتس» حتى يغادروا القلعة وترفع عنها الإجراءات الأمنية؟ وهناك شىء آخر أريد أن أخبرك به فلم يتسع الوقت لأن أخبرك.. أنا الذى أرسلت لك السهم النارى، لقد ذهب «كروكشانكس» إلى مكتب البريد من أجلى، ولكننى أخبرتهم أن يحصلوا على التكلفة من حسابى فى بنك «جرينجوتس» أرجو أن تعتبرها هدية عيد ميلادك الثالث عشر من أبيك الروحى، وأود أيضًا أن أعتذر عن الرعب الذى أظن أننى قد سببته لك فى العام الماضى عندما غادرت منزل عمك، لقد كان كل ما أريده أن أراك قبل أن أبدأ رحلتى نحو الشمال، ولكننى أظن أن رؤيتى قد أفزعتك.

هناك شىء آخر أرفقته فى هذا الخطاب، وأظن أنه سيجعل عامك القادم فى «هوجوورتس» أكثر متعة. إذا احتجت لى فاكتب لى خطابًا وستعرف بومتك كيف تجدنى».

سأكتب لك قريبًا.

«سيريوس»

نظر «هارى» بشغف داخل الظرف ليجد رقعة جلدية أخرى بالداخل، قرأها سريعًا فشعر بنشوة غريبة وكان المكتوب فيها:

أنا «سيريوس بلاك» الأب الروحى لـ «هارى بوتر»، أصرح له بزيارة قرية «هوجسميد» فى عطلات نهاية الأسبوع.

قال «هارى» بسعادة: «سيكفى هذا «دمبلدور»، ثم عاد ينظر للخطاب قائلاً: انتظِرا، فهناك ملحوظة».

أظن أن صديقك «رون» سيحب الاحتفاظ بهذه البومة فقد كان خطئى أنه لم يعد يملك فأرًا».

اتسعت عينا «رون» حينما رأى البومة تتجه نحوه وقال غير مصدق:

«هل أحتفظ بها حقًّا؟!»، ثم نظر لـ «هارى» و«هيرميون» فى دهشة قبل أن يقول فى سعادة: «إن ذلك يكفينى فعلاً».

وأخذ «هارى» يعاود قراءة خطاب «سيريوس» مرات ومرات طوال رحلة القطار حتى محطة «كينجزكروس» عندما غادر الثلاثة القطار وخرجوا من الرصيف رقم ٩ وثلاثة أرباع، ولمح «هارى» العم «فيرنون» على الفور، كان يقف بالقرب من السيد والسيدة «ويزلى» وينظر نحوهما فى شك، وعندما رأى السيدة «ويزلى» وهى تعانق «هارى»، تأكد له بالطبع ما كان يشك فيه، وسمع «هارى» «رون» يصيح خلفه وهو يودع «هيرميون»: «سأتصل بك من أجل كأس العالم» ووضع «هارى» صندوقه وكذلك قفص «هيدويج» على تلك العربة الصغيرة، ثم اتجه نحو

العم «فيرنون» الذى حيَّاه بطريقته التقليدية قبل أن يقول مشيراً إلى الظرف الذى كان «هارى» لايزال ممسكًا به: «ما هذا؟ هل هو تصريح آخر حتى أوقع لك عليه؟ إن لديك...».

قال «هارى» بسعادة: «لا، إنه خطاب من أبى الروحى».

تعجب العم «فيرنون» قائلاً: «أب روحى؟! ليس لديك أب روحى».

فقال «هارى» بفخر: «بل لدىَّ.. لقد كان أفضل أصدقاء أبى وأمى وهو قاتل مسجل ولكنه هرب من سجن السحرة وهو طليق الآن! وهو يحب الاتصال بى دائمًا ويحب معرفة أخبارى.. والتأكد من أننى سعيد»، ثم اتجه لباب خروج المحطة وهو يبتسم ابتسامة واسعة لرؤيته نظرة الرعب التى ارتسمت على وجه العم «فيرنون».. أما «هيدويج»، فقد كانت فى سعادة داخل قفصها، حيث يبدو أن هذا الصيف سيكون أفضل كثيراً من الصيف الماضى.

* * *

هارى بوتر

وسجين أزكابان

ارتكبَ «هارى» خطأً جسيمًا عندما استخدم السحر فى بيت خالته «بتونيا»، وهو ما يخالف تعليمات المدرسة التى تمنع استخدام السحر مع العامَّة. مما اضطره لترك بيت خالته، وأصبح لا يدرى أين يذهب.
أيضًا لم يكن يدرى أن أحد سجناء «أزكابان» قد هرب وأن هذا يعنى أن حياته أصبحت فى خطر ،
تُرى ،ماذا سيفعل «هارى»؟.. هذا ما ستعرفه عند قراءة أحداث هذه القصة المثيرة.

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع